اللزوميات
أو
لزوم ما لا يلزم

لأبي العلاء المعرّي
شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء

- الديوان الفلسفي الوحيد في اللغة العربية
- تجد فيه النقد المثير اللاذع لكل شيء في الحياة
- كما تحس في أبياته رغبة الشاعر في اخفاء اعتقاداته ومذاهبه الفلسفيّة عن عامة الناس، وجماهير القراء.

قدّم له وأشرف على اختياره وتصحيحه

عمر أبو النّصر

مختارات اللزوميات

مقدمة الكتاب

الأعمى الخالد

بين ابي العلاء المعري وبشار بن برد الشاعر المشهور ، مشاركة في المصيبة التي نزلت بهما لما استويا على الارض طفلين صغيرين .. فقد فقدَ الاول بصره وهو في الثالثة او الرابعة من عمره ، وشمل الظلام عيني الثاني في الرابعة .. فإذا هما من صرعى القدر ، وإذا هما من العجز والضعف بالمكان الأرفع .

وحظوظ المكفوفين في الشرق العربي محدّدة مقررة ، فهي في التحصيل لمن أوتي الارادة القوية ، والعزم المنيع ، وهي في تعلُّم بعض الصناعات الهينة لمن هانت نفسه ، وانهارت ارادته ، وفقد العزم على مصارعة الحياة .

* * *

ونعود الى مئات تقطعت من الأعوام ، والى بيت صغير من بيوت المعرّة ، وهي القرية النائية الصغيرة بين حمص وحلب .. والى يوم الجمعة الواقع في السادس والعشرين من كانون الاول سنة تسعماية وثلاثة وسبعين للميلاد ، حيث أبصر النور طفل من عائلة كريمة عربية ، أسماه ابوه (احمد) لما شاهده وتلمّسه .. وعُرف بين الناس بأبي العلاء بعد ذلك .. ولم يكن والده ليفطن

الى خطره وعظيم شأنه، ولا كان ممن يعلمون الغيب ، فيعرف ان فتاه الصغير سيكون من كبار الخالدين .

فاذا كان في الثالثة من عمره أُصيب بالجدري ، ففقد بصره ، فإذا به الضعيف الضرير .. يقف امام دنيا يجهلها ولا يدرك من أسرارها شيئاً . ويقول من حديث له عن نفسه ، ولما استوى شاباً : انه لم يتذكر من الألوان إلا الاحمر ، لأنه أُلبس لما مرض بالجدري ثوباً معصفراً .. اما سوى ذلك من خضرة الربيع ، وزرقة السماء ، وسواد الليل وبياض النهار ... فكان أصغر من ان يتذكرها لِما حرمته الحياة من النور والضياء .

فوارحمتاه لهذا الصغير الضرير ، لا يبصر ولا يستطيع ان يهتدي سبيله وحده !..

* * *

يقول صديق لوالده :

– لشدّ ما أشفق يا عماه على هذا الطفل الصغير .

– ما الذي يدعوك للإشفاق عليه ؟

– هذه الآفة التي نزلت به فأعمته ، بعد ان كان بصيراً .

– لا ضرورة لإشفاقك يا صديقي..فاني أحسّ في صغيري العزم والاصرار، وألمس فيه التحفز وحب الوثوب .. وما كان الله سبحانه ليخزيني فيه ، وأنا الذي صرفت العمر اخدم عباده وأعمل على مرضاته .

– ما اشد ايمانك وأعظم ثقتك برب العرش .

– سترى ايها الصديق .. والأيام بيننا .. ان هذا الصغير سيبزّ المبصرين في مقبلات الايام .

– وحدثت المعجزة..وأدرك الصغير،لما فقد نور الحياة سبزاً من اسرارها لم يدركه من منحهم الله نعمة النور والضياء .

– وفطن ، كما فطن غيره من العميان الخالدين، الى ان الخائفين لا يصنعون الحرية ، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لا تقوى ايـديهم المرتعشة على التعمير والبناء .

ومـــا كاد يدرك سر الخلود هذا حتى ألقى بالعبث واللهو جانباً ، وهما سنّة من كان في عمره من المبصرين ، وانصرف للعلم ودرس المعرفـة ، فتلقى مبادىء العلم عن ابيه ، وتلقف اسرار اللغة والنحو في بلده ، ثم نازعته نفسه السفر طلباً للعلم وسعياً وراء التخصص ، والاستماع الى كبار العلماء في حواضر العالم العربي .. فسافر الى حلب حيث درس على علمائهـا ، وزار مكاتبها .. وكان سيف الدولة صاحب المتنبي الشاعر اميرها .. ثم ذهب الى انطاكية ، وكانت تحت سلطان الروم في ذلك العهد . وبين هـــذه الدولة البيزانطية وسيف الدولة صاحب حلب وملحقاتها حروب وأهوال ، فلم يثن صاحبنا عن طلب العلم خوف ولا حرب ، فزار مكاتبها واختلف الى علمائها .. تمامـاً كما يفعل اليوم شبابنا حين يذهبون لجامعات الغرب لتلقي العلم او طلب المزيـد منه ، ولما قضى وطره من معارفها توجه الى اللاذقية ثم الى طرابلس الشام ، ثم عاد الى وطنه وقد حظي من علوم عصره بحظ وفير جليل .

* * *

جاء الصديق الى والد ابي العلاء يوماً يقول :

« جئت اهنئك بعودة ولدك ايهـا الصديق الكريم ، ولست اكتمك مـا اشعر بـه من السرور وأحسّه من الفرح بنجاحه وظفره ، وتمكنه من علوم العربية ، حتى اصبح الجميـع يتحدثون عنه ، ويجلّونه ، ويقدّرون نشاطه على ما يعرفونه من عجزه وعاهته » .

– هـــذا فضل الله يؤتيه من يشاء .. وقـد قلت لك لسنوات خلت اني كنت احسّ في نفسه هذه الروح الوثابة، وهذا الاندفاع نحو العلم والمعرفة

فالحمد لله الذي اكرمني بنجاحه ، وأعـاد الى نفسي الطمأنينة ، ولست ابالي بعـد هذا ان يأخذني الله اليه فلست اخشى على فتاي بعـد هذا من غدرات الزمن ، وطوارق الأيام .

واستقرّ ابو العلاء بين اهله وفي بلده ، يتعلم ويعلّم ، لا يفارقه طلاب العلم .. يأخذون عنه ما وعته حافظة العجيبة من مختلف العلوم والفنون .

وفي هذه الفترة من تاريخه انتقل والده الى رحمة الله فأسقط في يد اليتيم .. وضاق صدره ، وأحسّ بالدنيا تدور حوله ، فقـد كان يعتمد على والده في مقوّمات حياته المادية ، ويهيء نفسه للمضي في طلب العـلم في حياته ، فلما فقده ، خلص لأمه يلمس الدنيا في انفاسها ويأنس بعطفها وحنانها .. بارّاً بها محباً لها ، لا يُطيق فراقها ولا هي تطيق فراقه .

ولكنه كان برماً بنفسه ، ضيّق الصدر بالدنيا حوله ، هـذا بالتأكيد ما تفسّره لنا مؤلفاته ورسائله في هـذه الفترة من حياته ، اواخر القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر ، وكانت سورية في هذه الفترة لا تستقرّ ولا تعرف راحة ولا طمأنينة ، بسبب هذه الحروب التي كانت تدور سجالاً في أكثر الحالات بين سيف الدولة وأباطرة الروم .

وهذه حالة لا يستقرّ معها اقتصاد ، ولا يقوم فيها بناء ولا إعمار .

* * *

المؤرخون يصفون هـذه الفترة من حياته في المعرة بأنهـا هادئة ناعمة ، فالمعرة لم تتأذ بهـذه الخطوب التي كانت تدور حولها او تقع بعيدة عنها ، والمؤرخون يؤكدون انه كان طيّب المعشر ، فكِه الحديث ، يجلس اليه تلامذته ما بين حاشيتي النهـار وبعض الليل ، فيدارسونه ويدارسهم ، في الادب والشعر وفنون اللغـة ، يستمع الى الظرفاء ويستمعون اليه ، ويلعب

الشطرنج .. ويحمد الله على العمى ، كما يحمده غيره على البصر .. ممتنعاً عن أكل اللحوم ليعيش من وقف تركه له والده ، كان يدرّ عليه في العام ثلاثين ديناراً يعطي نصفها لغلامه ، ويصرف النصف الآخر على نفسه .

وفي ذات يوم ضاق بحياته ذرعاً ، وألفى المعرة قرية صغيرة نائية تضيق بمثله ويضيق بها .. ولولا هـذا الحب الذي كان يحمله في قلبه لأمه ، لفارقها بعد وفاة والده غير آسف.. ووجد في نفسه رغبة ملحّة في السفر الى بغداد، عاصمة الخلافة ومركز العلم والثقافة، فاستأذن امه في السفر فأذنت له، فسافر لبغداد في السنة السابعة بعد الالف للميلاد وأقام فيها سنة وسبعة اشهر وهي المدينة التي لم يكن لها نظير في الدنيا، سعة وكبراً وعمارة..وكان اهلها يعتقدون ان ليس عالم اعلم من عالمهم، ولا أروى من رواتهم.. ولا اجدل من متكلمهم، ولا اعرب من نحويّهم ، ولا أصحّ من قارئهم ، فسكن ابو العلاء في حي من أحيائها ، لا يدع بيت علم إلا ولجه، ولا مجلس ادب إلا حضره ، ولا بيئة من بيئات الفلسفة إلا كانت له مشاركة فيها.. فذاع صيته، وعلا مقامه، وأجلّه اهل العلم وأكرموه .. وظلّ هذا حاله في بغداد .. يتنقل فيها من نصر الى آخر، حتى حمل اليه البريد نبأ مرض امه فغادرها اسفاً في طريقه الى المعرة.

* * *

ويأبى القدر على الولد البار ، ان يتحسس جسم امه قبل وفاتها .. وأن يقبّل يديها قبل مواراتها التراب .. فإذا به يصل الى بلده بعد فوات الأوان وإذا به يجزع جزعاً شديداً ويبكي بكاء مراً ويلمّ حياته تشاؤم كان بيّن الأثر، بعيد الغايات في الباقيات من ايامه .

حبس الشاعر نفسه بعـــد الفاجعة ومال الى الزهد ولزم بيته .. ومضى يؤلف ويصنّف ويقول الشعر ويكتب الرسائل فملأت شهرته آفاق العربية ، وقصده الطلاب من كل بـــلد وقطر ، وكاتبه من لم يستطع الوصول اليه من

العلماء والادباء والشعراء وأصبحت المعرة وهي القرية النائية .. بنزوله فيها حاضرة من حواضر العلم في العالم العربي .

نحن امام نابغة من نوابغ العربية، من حيث حدة الذكاء وضخامة المعرفة وتلك الذاكرة العجيبة التي بهرت الناس في عصره فتحدثوا عنها ، وتندّروا بأخبارها وعجائبها ، أليس يقال انه كان يحفظ الكتاب اذا تلى امامه للمرة الواحدة ، وإنه كان يسمع الكلام الاعجمي فيحفظه دون ان يفهمه ، فإذا ثبت هذا فنحن امام اعجوبة من اعاجيب الدنيا ، ونادرة من نوادر الفلك .

ولكن الفواجع التي نزلت به جعلته ابداً حزيناً منقبض الصدر ضيقاً بنفسه وبالناس ، شديد التشاؤم يدفعه تشاؤمه الى العزلة فيلزم بيته ، ويبدأ حياة قاسية ، ويلتزم ما لا ضرورة له ولا سبب ، فيعتزل الناس ومن حقه ان يلقاهم ، ويلبس خشن الثياب ومن حقه ان يتخيّر لينها .. ويأكل غليظ الطعام ومن حقه ان يتذوّق رقائقه ، ويؤثر العزوبة ومن واجبه ان يسكن الى زوج تخدمه وتعطف عليه .. ثم يلتزم غير هذا من ألوان الحياة لا لسبب إلا هذه النزوة للغريبة .

ثم يمضي باحثاً في شعره عن اسرار الحياة ، واصفاً غرائب الوجود .. حفياً بالصراع الفكري في عهده، متوثباً لكل حركة تحريرية ، فإذا قصائده تنبع من اعماق الشعب.. واذا افكاره وآراؤه تفيض بالفكر العميق والروح الانسانية العاتية المتمرّدة .

* * *

والواقع اننا امام شخصية كريمة الاخلاق طيّبة الاعراق شديدة الحياء سريعة الانفعال ، تحرص على سمعتها، ولا تبالي اقبلت عليها الدنيا ام ادبرت، طعامها العدس والتين ، لا تعرف اللحوم ولا تتذوّق ما يصدر عن الحيوان ، لم تشرب الخمرة ، صالحاً مخلصاً مواظباً على الصلاة ، مسلّماً امره الى ربه ، عاش حياته الطويلة ، عاملاً نافعاً ، ينشر العلم ويوزع المعرفة ، افاد آلاف

الطلاب ، وخدم الأدب العربي ، والفكرِ الحر ، اشهر اثاره في الشعر (سقط الزند) و (واللزوميات) ، وفي النثر رسائـــله العديدة ورسالة الغفران ، والفصول والغايات وله رسائـــل وكتب كثيرة تربو على العشرات ضاعت ولم يبقَ إلا اقلها مما هو محفوظ في بعض المكاتب الاوروبية الكبرى .

ولد ابو العـــلاء المعرّي في يوم جمعه ، وتوفي في يوم جمعه في العشرين من شهر ايار سنة الف وسبعة وخمسين بعد الميلاد .

وماجت دنيا العرب لفقده ، وعظم مصاب العربية بوفاتـه ، ووقف على قبره ثمانون شاعراً يرثونه ويودعون فيه العالم النابه والشاعر المفكر ، والأديب العربي العظيم .

نفس أبيّة :

ولقــد كانت لأبي العلاء نفس أبيّة حملته على ان يقول حين ابصر شعراء عهده يقفون على ابواب الملوك والأمراء يستجدون ويسألون ويقولون :

لنا كل يوم من أياديك نعمة	تتيه بها الدنيا ورزق يقسمُ

فراح يقول :

ومـــا شعراؤكم إلا ذئاب	تلصّص في المـدائح والسبابِ

وكان قوي الحافظة حتى حكي عنه انه كان يحفظ كل ما يسمعه .. وكان طعامه العدس والتين ، ولباسه القطن ، وفراشه اللبد ، وكان أبيّ النفس تياهاً ، لا يريد ان يحمل منّة لأحد .

ومن نوادر ذكائه ما حكاه أسامة بن منقذ قال :

« كان بانطاكية خزانة كتب ، فجئت يومـاً الى خازنها ، فقـال : قد خبأت لك خبيئة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا كتاب منسوخ .

قلت : وما هي ؟

قال : صبي دون البلوغ ضرير يتردد إليّ وقد حفـّظته في ايام قلائل عدة كتب ، وكنت اقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة فلا يستعيد إلا ما يشكّ فيه ، ثم يتلو عليّ ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له .

قلت : فلعله كذلك .

قال : سبحان الله ، كل كتاب في الدنيـا يكون محفوظاً له ، ولئن كان ذلك فهو أعجب .

ثم حضر الصبي واذا بـه دميم الخلقة وعلى عينيه بياض من أثر الجدري كأنه ينظر بإحدى عينيه ، وهو يتوقد ذكاء .

فقال له الخازن : يا ولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم ما يختاره لك .

فقال : سمعاً .

قـال ابن منقذ : فاخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزيد ، فإذا مرّ شيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول : أعد هـذا ، فأردّده عليه مرة اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ، ثم استعدته ما أمليته عليه وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهى الى حيث وقفت ، فدهشت مما رأيت منه .. وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك ، وسألت عنه .

فقيل لي : هذا ابو العلاء المعري التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة .

وحكى بعض تلاميذه : انه كان لأبي العلاء جار اعجمي ، واتفق انـه رحل عن المعرّة لقضاء شؤونه ، فحضر رجل اعجمي يطلبه ، وكان قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المقام ، فأشار اليه ابوالعلاء ان تكلم . وأصغى اليه حتى فرغ من كلامه .. ولم يكن ابو العلاء يعرف الفارسية .

ومضى الرجل ، فلما قدم جاره ذكر له حال الرجل وجعل يقص ما ذكره بالفارسية حرفاً حرفاً .. والأعجمي يبكي ويلطم وجهه الى ان فرغ من حديثه ، فسأله عن حاله؟ فقال: انه أُخبر بموت أبيه وأخوته وجماعة من اهله.

وكان لا يأكل اللحم ولا يرى ايلام الحيوان .. ومكث على ذلك زهاء الاربعين عاماً حتى توفي ، وكان يسمي نفسه « رهن المحبسين » للزومه بيته وذهاب بصره .. وبالجملة ، فقد كان عجيبة زمانه ، وكان وافر الأدب ، غزير العلم ، خبيراً بأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم .. وأهمّ مصنفاته « رسالة الغفران » و « رسالة الطير » و « رسالة الملائكة » وله كتاب «سقط الزند» وفيه شعره ، وهو مشهور .. وله من النظم كتاب « لزوم ما لا يلزم » وهو الذي انتخبناه في هذا الكتاب .

وكان يميل الى المعقول دون المنقول .. ويرى ان باب الاجتهاد غير مقفول فرُمي بالزندقة .. ومرض ثلاثة ايام قبل موته ومات في اليوم الرابع من اوائل ربيع الاول سنة ٤٤٩ هجرية ، فيكون قد عُمّر ست وثمانين سنة . وأوصى قبل موته ان يكتب على قبره هذا البيت :

هذا جناه أبي عليّ ... وما جنيت على احد

نيسان ١٩٦٩ — عمر ابو النصر

- ١ -

ابو العلاء المعري

في رسالة الغفران

الرسالة العجيبة :

رسالة الغفران قرينة اللزوميات ولزوم ما لا يلزم في شطحات ابي العلاء ، وفلتات قلمه يعزوها بعض المؤرخين والنقاد الى مـــا لاقاه وهو صغير من المصائب والكوارث التي تولـّته مذ كان في الرابعة من عمره . فلم يكد ينسى او يتناسى اثر العمى في نفسه حتى صدم بوفاة ابيه .

وليس اقسى على نفس الطفل من ان يواجه الحياة بهاتين الصدمتين .

كان رفاقه يلعبون ويهزجون ويتندّرون ويثبون كالعصافير من غصن الى غصن - بينا هو في غم واكتئاب لا يتمتع بما يتمتع به رفاقه ولداته .

لقد صدم صدمة كبرى بموت ابيه ، وكان لا بدّ للفتى وهو في اول تفتحه للحياة ان يعبّر عن مصابه بقصيدة نجـــد في بعض ابياتها تصويراً ساذجاً لصور الحزن التي تتجلى في وصف نفسية طفل فقـد أعزّ سند له في الحياة ، فقد نقم على كل انسان لا يبكي بكاءه ، وبلغت ثورته النفسية ان سخط على كل شيء ، وفضّل الانطواء على نفسه حتى النهاية .

فنراه بعد ان يصف سجايا ابيه في قصيدة، يصب نقمته على الدنيا وينظر اليها نظرة الصوفي الى الزانية الفاجرة ويقول :

على ام (دفر) غضبة الله انها   لأجدر انثى ان تخون وأن تخني
كأن بنيها يولدون وما لهـا   خليل،فتخشى العار ان سمحت بابن

رسم في هـــذه القصيدة خلجات نفسه الحزينة ، وكانت بداية نقمته على الدنيا . وقد لازمه هذا الحزن حتى آخر يوم من حياته :

وأحمل فيك الحزن حياً ، فأن امت   وألقك لم اسلك طريقاً الى الحزن
وبعـــدك لا يهوي الفؤاد مسرة   وإن خان في وصل السرور فلا يهني

ترك المعرة الى حلب، وكانت إذ ذاك العاصمة الثانية بعد بغداد، وإحدى مراكز المعرفة والثقافة في الشرق الاسلامي . وكان فيها اخواله آل السبيكة فـــنزل عندهم ، واتصل بمحمد بن عبد الله بن سعيد النحوي – راوية المتنبي وتتلمذ عليه وفاقه علماً ومعرفة .

وبعـــد رحلة قصيرة الى انطاكية وطرابلس واللاذقية دارساً المذاهب الفلسفية في صدور الرهبـان وخزانات الأديرة ، عاد الى المعرّة ومنها الى بغـــداد التي كانت ملتقى كبار الأدباء والشعراء ، فاختلط بهم وحضر مجالس العـلم والأدب ، وجرت له حوادث أساءت اليه اكثر ممـا احسنت ، وقد منعه اباؤه وحياؤه من الاشارة الى الاسأءات التي لقيها ، فقابل كرم القوم بالثنـــاء عليهم ، وظل سنتين في بغداد الى ان تركها بعـد ان علم بمرض أمه ، فخفّ راجعاً الى المعرة ... فوجدها قد ماتت .

الانطواء :

وكان ان انتهى بعد هذه الحوادث الى حياة قاسية فرضها على نفسه.. فبعد ان طوّف في البلدان وعرف طوايا البشر ، وبعد هـــذه الارزاء التي واجهها في طفولته وشبابــه ، قرر ان يعيش بعيداً عن النـــاس ، ففرض على نفسه تلك الحياة القاسية .. حيـــاة العزلة والانكماش ، فلزم بيته خمسين سنة لا يخرج منه ابداً :

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر الخبيثُ
لفقدي ناظري ولزوم بيــتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

في بيته ، او في سجنه ، عاش مع الفلاسفة والأدباء يعبّ من ألوان الحكمة والفلسفة ، ويسمع قصص الامراء وطغيان الملوك ، وأخبار الحروب التي تثور هنا وهناك .. وأنباء الاضطراب الذي ساد العـــالم العربي ، وهـــذا التناحر على الدنيــــا والاندفاع وراء خسيس الغايات ، فكوّن لنفسه فلسفة صريحة واضحة في شتى قضايا الفكر والحياة ، اضفى عليها من مزاجه التشاؤمي ظلالاً معتمة .. فهو حائر قلق ... وحذر متشكك ... وما الى هذا من النزوات التي تلازم المفكرين .

النباتي :

ولقد رأى في تكالب البشر على جيف الحياة ما جعله يتقزّز من هـــذا الجشع فنبتت في نفسه نزعة انسانية دفعته ان يشفق حتى على الحيوان ، فكان نباتياً بالمعنى الفلسفي والواقعي معاً ، فقـــد امتنع عن اكل اللحوم ونفر منها واقتصر على تناول البقول .

ففي امتناعه عن اكل اللحوم والاسماك يقول :

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ... ولا تبغ قوتاً من غريب الذبائح
ولا تفجعَن الطير ، وهي غوافل ... بما وضعت ، فالظلم شرّ القبائح

حق العسل نصح بعدم تناوله ، لأن النحل لم تحرزه لكي يكون لغيرها ، ولا جمعته لتجود به على سواها :

ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من ازهار نبت فوائح

ووصلت به (النباتية) الى الامتناع عن شرب اللبن ، لأنه يرى ان اطفال البهائم أحق به من الانسان :

ولا بيض امات أرادت صريحة لأطفالها دون الغواني الصرائح

ولا شك ان نزعته الانسانية هي التي أملت عليه أُسس هذه الفلسفة ، بعد ان رأى الناس يأكلون بعضهم بالدس والكذب والنفاق والوشايات ، فانتهى الى ان طبيعة الشر في الانسان أغلب ، فوصف هذه الطباع أدق وصف ، فغضب المنافقون ومضوا يلفقون التهم عنه ، ويتهمونه بالتعطيل والزندقة والإلحاد ، فجعلوا ايمانه كفراً ، وهديه ضلالاً ، وحسناته سيئات .. وهو ما جعله يردّ على المنافقين الذين يظهرون غير ما يضمرون ، ويتسترون بمظاهر الدين والدين منهم براء :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وإنما هو ترك الشر مطّرحاً ونفضك الصدر من غلٍّ ومن حسد

نشأته وذاكرته :

أجمع المؤرخون على ان مولد ابي العلاء المعري كان سنة ٣٦٣ هجرية ، وكانت وفاته سنة ٤٤٩ اي سنة ١٠٥٧ مسيحية ، ومنزلته من علوم اللغة والصناعة الشعرية معروفة مشكورة ، ومكانه بين أمراء الكلام غير منكور ، وكان له وقوف على سائر علوم عصره ولاسيما العلوم الفلسفية والدينية والهيئة. اما ذكاؤه وحفظه فما يُعدّ من خوارق الآيات بل من المعجزات ، ولولا ما

لدينا من كتبه وشعره ، مع ثبوت فقده البصر منذ الرابعة من عمره ، لكان ما نُقل الينا من ذلك الى التكذيب أقرب منه الى التصديق .

بيد ان مَن كان يحفظ ذلك المقدار الجزيل من شتات اللغة والشعر والعلوم، ويتكلم بما تكلم به . نثراً ونظماً ، ويخوض في موضوعات سائر احوال عصره وعلومه ، لحقيق بأن يصدّق مـا نُقل الينا عنه . فمن ذلك انه كان قاعداً يوماً في دكان يهودي ببغداد ، واتفق ان جاءه خصم له وتكلما بالعبرية ، ثم مرّت على ذلك ايام تحاكما بعدها الى القاضي ، فقال للمدعي :

– هل عندك شاهدان على ما تقوله ؟

فقال : عندي رجل يهودي وثانٍ مسلم اعمى .

فأحضرهما القاضي ، ولما سأل ابا العلاء شهادته قال :

– اني اعرف احدهما بصوته ، ولعلي اعرف الثاني ايضاً بصوته ، وهما قد تكلما في حضوري بالعبرية ولم أفهم منها شيئاً ، ولكني أحفظ ما قالاه او مـا قاله احدهما ، وأعاد العبارة بالعبرية وهو لا يفهم ما يقول ، وكان في شهادته ربح الدعوى ...

ومـا اشتهر عنه انه حين كان في بغداد سنة ٣٩٩ هجرية ، أنشده احد الشعراء قصيدة – ولعله ابو الخطاب الجيلي – قـال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة تسع وثلاثين واربعمائة ، وفيها مات ابو الخطاب الجيلي الشاعر ، وقد مضى الى الشام ولقي المعري وعاد ضريراً ، ومن شعره :

ما حكمَ الحبُّ فهو ممتثلُ ... وما جناه الحبيب محتملُ
تهوى وتشكو الضنى وكل هوىً ... لا ينحل الجسم فهو منتحَل

فلما أتى على آخر القصيدة قال له : انت أشعر مَن بالعراق .

ثم عاد ابو العلاء الى الشام ولزم بيته في معرة النعمان ، وبعد خمس عشرة سنة من ذلك التاريخ جاءه شاعر فأنشده قصيدة ولم يذكر اسمه له ، فلما أتى على آخرها قال ابو العلاء : ومَن بالشام .. فعجب الشاعر من فطنته وحذقه، وسُئل ما معنى ما قال لك، فذكر للسامعين حكايته معه في بغداد وقوله له: انت أشعر مَن بالعراق وانه عرفه الآن بنفسه، فعطف على عبارته تلك بقوله ومَن بالشام .

وأمثال هذه الروايات عن ابي العلاء كثيرة، أكدتها كل المصادر والاخبار.. من قديم وحديث .

الخصوم والحسّاد :

والواقع انــه قلما نبغ شاعر في فنون المنظوم ، او جاء عالم برأي جديد في علم من العلوم ، إلا وقام له من الخصوم والحسّاد ، او المساجلين والنقّاد ، قوم تدفعهم غرائزهم للتعريض به والطعن عليه ، وقـــد يكون بينهم أفراد لا غرض لهم إلا تمحيص الحقائق، وقليل ما هم. هذا شأن البشر في كل عصر، ولاسيما في القرون السابقة، يوم كانت الأديان في الشرق والغرب تجارة يتزلّف بها العلماء الى مستبدّي الحكام والأمراء ، بعضهم للتمسُّك بالرمق ، وبعضهم للتكسُّب كيفما اتفق، وآلة قاطعة في أيدي الملوك والحكام، توصُّلاً لمطامعهم السياسية وأهوائهم النفسانية . ولهذا لم يكن بدّ للفلاسفة والعلمـاء من إلباس مـــا يكتبون في اي علم غير علوم الدين ، ثوباً من التديُّن والورع ، ليأمنوا غائلة عدو يقدح ... او حسود يشي بهم وينمّ .

رسالة الغفران :

لقـد انتقدوا طول رسالة الغفران ، وهي رسالة من صديق الى صديقه ، ويُعتذَر عن ذلك ان رسائلهم لذلك العهـد كانت طويلة لعُسر وسائل النقل وبُعد المسافات، مع ما كانت عليه حالة الطرق في تلك العصور من فقد الأمن،

ولم يكن البريد إلا لحاجات الخلفاء والحكومات ، فاذا همَّ القريب او الصديق بالمكاتبة ، لم يكن له بدّ من البحث عن مسافر أمين يودع بين يديه رسالته ، وهذا لم يكن ميسوراً . ولذلك كانت رسائلهم طويلة ، إلا ان المسافة بين معرة النعمان وحلب ليست إلا ساعات على القافلة ، فلا ينطبق عليها ما ينطبق على الرسائل التي تقتضي خوض البحار وقطع المسافات الشاسعة في الصحاري والقفار .

ثم ان هذه وإن كانت جواباً عن رسالة وردت لأبي العلاء من صديقه ابن القارح ، فلم تكن رسالة اخوانية ، إذ ان طولها وما فيها من الأغراض التي لا احسب المعري إلا قصدها وتوخّاها ، يخرجها عن الاخوانيات ، وينزلها منزلة معجم لعويص كلام العرب وغريب اشعارهم في ظاهرها ، وهي في الحقيقة مفاكهة بين صديقين في الاعتقاد متبادلين، ولا احسب الشيخ ابن القارح إلا على مذهب الفلاسفة الزنادقة ، وسيأتيك الدليل فيما يجيء . اما ابو العلاء فقد كان فيلسوفاً قولاً وفعلاً ، أقول فعلاً لأنه لم يكن بين فلاسفة العرب كلهم مَن طابق بين قوله وفعله سواه .

أما ابن الصائغ وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد فكلهم ممن اشتغل مع العلم بالسياسة ، ولم تصرفه الفلسفة عن الرئاسة ، بل ان أكابر فلاسفة اليونان قبلهم ، لم يحصلوا على منزلة المعري العالية، فإن (ديوجينوس) المشهور بالكلبي لتقشفه وزهده في الدنيا ، قد اشتغل في صباه مع ابيه الصرّاف بالتزوير والتزييف ، ونفي من وطنه بعد التحقير والتعنيف ، وارسطو نُسب اليه عقوق استاذه افلاطون ، وأشياء ، ان صدقت ، ألصقت به العار على مرّ القرون، بل ان افلاطون نفسه اشتغل بالسياسة وحام حولها ونُسبت اليه افعال لم يجزم بصحتها ولم يقطع بتكذيبها .

وأين من هؤلاء كلهم ابو العلاء .. فقد أجمع حساده وخصومه على زهده وتنسكه ، قال بالعفاف ونهي عن الدنس ، ومات وقد جاوز الثمانين ولم يدنس له عرض ، وحرّض على الفضائل ولزمها ، وذمّ الدنيا وأعرض عنها ، حرّم ذبح الحيوان منذ الاربعين من عمره ، فمكث خمساً وأربعين سنة لم يذق لحماً ، سمّى نفسه رهين المحبسين لفقده بصره ولزومه منزله .. فمكث اثنتين وخمسين سنة بعد عودته من بغداد لا يغادر بيته.

ولست أراه أراد برسالة الغفران إلا الانتقاد والشك في المعتقدات والتقاليد والآراء السائدة في عهده .

وأما ظاهر ما فيها من ألفاظ التقوى ، فليس بحجة على نفي ما أقول ، واليك عبارته عن المتنبي : واذا رُجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبىء عن اعتقاد الانسان .. لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل ان يظهر الرجل تديُّناً ويجعل ذلك تزيناً .

ولم يكن ابوالعلاء ممن يحسب لفظ الزنديق شتماً او تحقيراً وإنما هو وصف يراد به ان الموصوف بهذا اللفظ لا يدين بمذهب من المذاهب ، وهو المعبّر عنه في كتب اللغة، وقد وصف به كثيرين ممن ذكرهم في رسالة الغفران، لا تحقيراً بل بياناً وتمييزاً .

ورسالة الغفران بالتأكيد كتبت جواباً على رسالة لابن القارح صديق ابي العلاء ، عنوانها : (في تقبُّل الشرع) وذمّ من ترك الوقوف عند حدوده .. وقد ذهب فيها يمازح صديقه هذا ، ويعبث به ، ويشير من طرف خفي ، الى ان ابن القارح هذا ليس من المؤمنين كما قد يظن بعض القراء ، وإنما هو من المشككين بالتأكيد .

ثم يمضي ابو العلاء بعد هذا فيصف لنا الجنة ، كما شاهدها في منامه ، ومن اجتمع اليهم من الشعراء فيها ، وما قالوه وذكروه له .

الطواف في الجنة :

فيقول بعد وصف خمور الجنة : فأما الانهار الخمرية فتلعب فيها اسماك هي على صور السمك بحرية ونهرية ، وما يسكن منه في العيون النبعية ، ويظفر بضروب النبت المرعية ، إلا انه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة بالنور الباهر ، فإذا مدّ المؤمن يده الى واحدة من ذلك السمك شرب من فيها عذباً لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع ماءه الشارب ، لحلت منه أسافل وغوارب .

وقد اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس ... كأخي ثمالة وأخي دوس ، ويونس بن حبيب الضبي .. وهو ايّد الله العلم بحياته معهم كما قال الشاعر :

نازعتهم قضب الريحان مرتفقاً وقهوةً مزةً راووقها خضل

وأبو عبيدة يذكرهم بوقائع العرب .. وتهشّ نفوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية في انهار الرحيق .

ثم يرينا الشيخ علي بن منصور وهو ابن القارح نفسه يتنقل في امصار الجنة فيسأل حميد بن ثور : وهو الذي يقول :

ارى بصري قد رابني بعد صحةٍ وحسبك داءً ان تصحّ وتسلما

– كيف بصرك اليوم ؟

فيقول : اني لأكون في مغارب الجنة فألمح الصديق من اصدقائي وهو بمشارقها وبيني وبينه مسيرة ألوف اعوام للشمس التي عرفت سرعة مسيرها في العاجلة .

ثم يخطر له الحديث عنشيء يسمىالنزهة في الدار الفانية فيركب نجيباً من نجب الجنة خلق من ياقوت ودرّ .

ثم يصنع مأدبة في الجنان يجمع فيها ما امكن من الشعراء ويعدّد ما فيها من ضروب الماعون العسجدية ، والخون الذهبية ، والفواثير [١] من اللجين والصحاف العجيبة والأقداح والكؤوس ذوات التصاوير والأباريق والزجاجات، والبواطي والطاسات ، من اشكال الجواهر وأنواع الأطعمة وأجناس الطير والحيوان ، وكل طهاة حلب منذ عمرت الى ما بعد البعث ، وجميع المغنين والمغنيات ، تخدم بين ايديهم جوارٍ من الحور العين ، وغلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، وينشيء الله بحكمته شجرة جوز تنفض عدداً لا يحصيه إلا الله تنشق كل جوزة عن اربع جوارٍ يرقصن على ابيات الخليل فتهتز ارجاء الجنة ثم يرى بين من يخاطبهم من الشعراء عُبيداً فيقول : السلام عليك يا اخا بني اسد..فيقول:وعليك السلام - وأهل الجنة أذكياء،لا يخالطهم الاغبياء - لعلك تريد ان تسألني بمَ غفرلي .. ثم يساجل الشعراء ويحضر مهاتراتهم وتشاتمهم ويفترق اهل ذلك المجلس بعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا اضعافاً كثيرة .

ومن هزله فيها : وبينما هو (أي الشيخ علي القارح) يطوف في رياض الجنة لقيه خمسة نفر فيقول ما رأيت احسن من عيونكم من اهل الجنان فمن انتم خلد عليكم النعيم...فيقولون: نحن عوران قيس .

ومن هذا الباب طلب رضوان جوازاً منه ليدخله الجنة،ونظمه قصيدة الى آخر هذه الحكاية البديعة .

وأبدع من ذلك وأغرب قصصه على لسان ابن القارح .. كيف حُشر وحوسب الى ان يقول : فلما خلصت من تلك الطموش [٢] قيل هذا الصراط

---

(١) خوان الطعام او الموائد .

(٢) البلايا والمصاعب .

فاعبر عليه ، فوجدته خالياً لا عريب[1] عنده، فبلوت[2] نفسي في العبور، فوجدتني لا أستمسك ، فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جواريها : يا فلانة ، أجيزيه ، فجعلت تمارسني[3] وأنا أتساقط عن يمين وشمال، فقلت:

- يا هذه ، ان أردتِ سلامتي فاستعملي معي قول القائل :

ستّ ان أعياكِ امري فاحمليني زَقَفونَه

فقالت : وما زقفونه ؟

قلت : ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ويحمله وبطنه الى ظهره ، أما سمعتِ قول الجحجلول من كفر طاب ؟

صلحت حالتي الى الخلف حتى صرت أمشي الى الورى زقفونه

فقالت : ما سمعت بزقفونه وكفر طاب إلا الساعة .

فتحملني وتجوز كالبرق الى آخر ما قال .. ومن هذا الباب ايضاً عربدة نابغة بني جعدة والأعشى ومنها : ويثب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب فيقول : أصلح الله به وعلى يديه لا عربدة في الجنان انما يعرف ذلك في الدار الفانية بين السَّفِلَة والهجاج وانك يا ابا ليلى لمُتترّع[4].

ومن بدائع مفاكهاته : فيأخذ سفرجلة او رمانة او تفاحة او ما شاء الله من الثمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء تبرق لحسنها حوريات الجنان ، فتقول : من انت يا عبد الله ؟

---

(١) أي لا احد .

(٢) جربت .

(٣) تلاعبني .

(٤) متسرع الى الشر .

فيقول : انا فلان بن فلان .

فتقول : اني أمنـّى بلقائك قبل ان يخلق الله الدنيا بأربعة آلاف سنة .. ويخطر في نفسه وهو ساجد ان تلك الجارية على حسنها ضاوية[1] فيرفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهي كثبان عالج ، وأنقاء الدهنا، ورملة يبرين وبني سعد [2] ، فيهال من قدرة الله اللطيف الخبير . ويقول : يا رازق الشرفة سناها ، ومبلغ السائلة مناها ، والذي فعل ما أعجز وهال ، ودعا الى الحلم الجهال ، أسأل ان تقصر بَوْصَ هذه الحورية على ميل في ميل، فقد جاز بها قدرك حد التأميل .

العفاريت :

ثم يطوف ابن القارح في جنة العفاريت او يطوف بـــه عليها ابو العلاء ولنسمع ما يقول : فيركب بعض دواب الجنة ويسير فـإذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ولا عليها النور الشعشعاني وهي ذات ادحال [3] وغماليل [4] . فيقول مـــا اسمك ايها الشيخ ؟. فيقول : انا الخيتعور احد بني الشيصبان ، ولست من ولد ابليس ولكنا من الجن الذين يسكنون الارض قبـل ولد آدم (صلعم) .

فيقول : اخبرني عن اشعار الجن فقـد جمع منها المعروف بالمرزُباني قطعة صالحة .

فيقول ذلك الشيخ : إنمـا ذلك هذيان لا معتمد عليه وهل يعرف البشر

---

(١) نحيفة .
(٢) أسماء تلال من الرمل كالجبال الصغيرة مشهورة عند العرب .
(٣) حفر غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل شديدة الغم .
(٤) جمع غملول الوادي الضيّق الكثير النبت الملتف .

من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض.. وإن لنا لآلاف اوزان ما سمع به الإنس .

وفيما هو في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني .. اذا هو بأسد يفترس من صيران الجنة وحسيلها [1] فلا تكفيه هُنيدة ولا هند [2] فيقول في نفسه : لقد كان الأسد يفترس الشاة العجفاء [3] فيقيم عليها الايام لا يطعم سواها شيئاً ، فيلهم الله الأسد ان يتكلم وقد عرف ما في نفسه فيقول :

– يا عبدالله أليس احدكم في الجنة تقدّم له الصحفة وفيها البهط والطريم مع النهيدة [4] فيأكل منها مثل عمر السموات والارض يلتذ بما اصاب فلا هو مكتفٍ ولا هي الفانية ، وكذلك انا افترس ما شاء الله فلا تأذي الفريسة بظفرٍ ولا ناب ولكن تجد من اللذة كما اجد بلطف ربها العزيز ، أتدري من انا أيها البزيع ، انا اسد القاصرة .. وأدخلت الجنة بما فعلت .

حديث مع جني :

ومن بديع ما يرويه عن الجني الجيتعور فيقول له : ما كنيتك لأكرمك بالتكنية ؟

فيقول : ابو هدرش ولقد لقيت من بني آدم شراً ولقوا مني كذلك .

فيقول : يا ابا هدرش اخبرني وأنت الخبير هل كان رجم النجوم في الجاهلية .. فإن بعض الناس يقول انه حدث في الاسلام .

فيقول : هيهات ولكن الرجم زاد في اوان المبعث وإن التخرّص لكثير

---

(١) السمكات المملوحة وأولاد البقر .
(٢) مائة ولا مائتان .
(٣) الهزيلة .
(٤) الأرز باللبن والسمن .. والطريم العسل والنهيدة الزبدة .

في الانس والجن ، وإن الصدق لمعوز قليل، وهنيئاً في العاقبة للصادقين . وفي قصة الرجم اقول :

القصيدة الانيقة :

مكةُ اقوت من بني الدردبيس فما لجنيٍّ بهــا من حسيس

* * *

وكم عروس بات حرّاسها كجُرهمٍ في عزّها او جديس
غرت عليهـا فتخلـّجتـُها بواشكِ الصرعةِ قبل المسيس
لا انتهي عــن غرضي بالرُقى اذا انتهى الضيغمُ دون الفريس
وأُدلج الظلماء في فتيةٍ مِلجنّ فوق الماحل العربسيس

* * *

تحملـُنا في الجنح خيل لهــا اجنحة ليست كخيل الانيس

* * *

لا نُسْكَ في ايامنـــا عندنا بل نُكـِسَ الدين فما ان نكيس
فالاحدُ الأعظمُ والسبتُ كالا اثنين والجمعــة مثل الخميس
لا مُجُسٌ نحن ولا هوّدٌ ولا نصارى يبتغون الكنيس

يريد ان ليس جنٌ في اعتقاد اهل هذه المذاهب .

والقصيدة كلها على هذا النسق الأنيق . ومن هذا الرويّ العجيب، تقرأها فلا تخرج منها بالكثير ولا القليل .. وقــد نسبها ابو العلاء لأبي هدرش الجني المؤمن .

ثم يقول : فيعجب .. لا زال في الغبطة والسرور لما سمعه من ذلك الجني ويكره الإطالة عنده فيودّعه ويذهب في كل سبيل .

« أقصى الجنة » وكأنه المطهر :

فاذا هو ببيت في أقصى الجنـة كأنه حِفْش[1] أمة راعية ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة[2] ثمرها ليس بزاكٍ .

فيقول : يا عبد الله ، لقد رضيت بحقيرٍ شقِن .

فيقول : والله ما وصلت اليه إلا بعـد هياط ومياط[3] وعرق من شقاء وشفاعة من قريش وددت انهـا لم تكن .

فيقول : مَن انت ؟

فيقول : انا الحطيئة العبسي .

فيقول : بمَ وصلت الى الشفاعة ؟

فيقول : بالصدق .

فيقول : في اي شيء ؟

فيقول : في قولي :

أبت شفتاي اليوم إلا تـكلـّماً بهُجر فلا ادري لمن انا قائله
أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقُبِّح من وجهٍ وقُبّح حامله

ويمضي (ابن القارح) فاذا هو بامرأة في أقصى الجنـة قريبة من المطـّلع الى النار ، فيقول : مَن انتِ ؟

---

(١) البيت الصغير الحقير .
(٢) ذليلة صغيرة .
(٣) مجيء وذهاب واضطراب شديد .

فتقول : انا الخنساء السُّلمية ، احببت ان انظر الى صخر فاطلعت فرأيته كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه .

فقال لي : لقد صحّ مزعمك فيّ ، يعني قولي :

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به   كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

طوافه حول جهنم :

فيطلع فيرى ابليس – لعنه الله – وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية [1] .

فيقول : الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله وعدو أوليائه ، لقد اهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها إلا الله .

فيقول : مَن الرجل ؟

فيقول : انا فلان من اهل حلب .

فيقول ابليس : أسألك عن شيء تخبرنيه ، ان الخمر حرّمت عليكم في الدنيا وأُحِلّت لكم في الآخرة – وهي خمرة لا كخمرة الدنيا من قريب ولا بعيد –

ويقول ابليس ايضاً : ان في الجنة لأشربة كثيرة غير الخمر ، فما فعل بشار ابن بُرد ، فان له عندي يداً ليست لغيره من وُلد آدم ، كان يفضلني دون الشعراء ، وهو القائل :

ابليس أفضل من أبيكم آدمٍ   فتبيّنوا يا معشر الأشرارِ
النــار عنصره وآدم طينة   والطين لا يسمو سموّ النار

---

(١) الموكول اليهم تعذيب المحكومين .

لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين، فلا يسكت من كلامه إلا ورجل في اصناف العذاب يغمض عينيه حتى لا يرى الى ما نزل به من النقم، فيفتحها الزبانية بكلاليب من نار، واذا هو بشار بن برد قد أعطي عينين بعد الكمه لينظر الى ما نزل به من النكال .

ويسأل عن امرىء القيس بن حجر فيقال :

ـ ها هو ذا بحيث يسمعك فيقول : يا ابا هند ، ان رُواة البغداديين ينشدون : قِفا نبكِ ...

وينظر فاذا عنترة العبسي متلدّد في السعير ... فليت شعري ، ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ فيقال : ها هو ذا من تحتك، إن شئت ان تحاوره فحاوره.

ويرى رجلاً في النار لا يميّزه من غيره ، فيقول : مَن انت ايها الشقي ؟ فيقول : انا ابو كبير الهزلي .

واذا هو برجل يتضوّر ، فيقول : مَن هذا ؟ فيقال : الاخطل التغلبي .

فيقول له : ما زالت صفتك للخمر ، حتى غادرتك أكلاً للجمر . فيزفر الاخطل زفرة تعجب لها الزبانية .

فيقول: آه على ايام (يزيد) أسوفُ عنده عنبرا ، ولا اعدم لديه سيسنبرا ، وأمزح معه مزح خليل ، فيحتملني احتمال جليل .

فيقول : جعل الله أوقاته كلها سعيدة عليك البَهَلة قد ذهَلت الشعراء من اهل الجنة والنار عن المدح والنسيب وما شُدِهْتَ عن كفرك ولا إساءتك . وإبليس يسمع ذلك الخطاب كله .

تلاعن ابليس وابن القارح :

فيقول ابليس للزبانية : ما رأيت أعجز منكم اخوان مالك ، ألا تسمعون

هذا المتكلم بما لا يعنيه، قد شغلكم وشغل غيركم عما هوّ فيه، فلو ان فيكم صاحب نحيزة [1] قوية لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه الى سقر، فيقولون : لم تصنع شيئاً يا ابا زوبعة ليس لنـا على اهل الجنه سبيل ... فـاذا سمع بأمر الله ما يقول ابليس اخذ في شتمه ولعنه وإظهار الشماتة به، فيقول عليه اللعنة : ألم تُنهوا عن الشمات يا بني آدم، ولكنكم بحمد الله ما زُجرتم عن شيء إلا وركبتموه .

فيقول : انت بدأت آدم بالشماتة والبادىء اظلم .

العودة الى الجنة :

ويملُّ من خطاب اهل النار فينصرف الى قصره المشيد.. ويلقى آدم عليه السلام في الطريق، فيقول : يا أبانا صلى الله عليك قد رُوي لنا عنك شعر.. فيقول : ولكني لم اسمع به حتى الساعة، فيقول : لعلك يا أبانا قلته ثم نسيت فقد علمت ان النسيان متسرع اليك .

فيقول آدم ﷺ : أبيتم إلا عقوقاً وأذية، انمـا كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة، فلمـا هبطت الى الارض نُقل لساني الى السريانية فلم أنطق بغيرها الى ان هلكت، فلما ردّني الله الى الجنة عادت عليّ العربية فأي حين نظمت هذا الشعر ؟ ثم يضرب سائراً في الفردوس .

مروره بجزيرة الرُجّز :

ويمرُّ بأبيات ليس لها سوق أبيات الجنة فيسأل عنها فيقال : هـذه جنة الرجّز ويكون فيها أغلب بني عجل والعجّاج ورؤبة وأبو النجم .. وكل من

---

(١) طبيعة او مروءة .

ُغفر له من الرجّاز .. فيقول : صدق الحديث ان الله يحب معاليَ الامور ويكره سفاسفها ، وانّ الرَجَزَ لمن سفاسف القريض ، قصّرتم أيهــا النفر فقـُصّر بكم .

ويتكىء علىمفرش من السندس ويأمر الحور العين ان يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر الجنة وإنما هو زبرجد او عسجد، فيكوّن الباري فيه َحلـَقاً من الذهب تطيف به من كل جوانبه حتى يأخذ كل واحـــد من الغلمان ، وكل واحـــدة من تلك الجواري المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحـلـَق فيُحمل (الشيخ علي بن القارح) على تلك الحال الى محله المشيّد بدار الخلود ، فكلما مرّ بشجرة نضحته اغصانها بماء الورد قد ُخلِط بماء الكافور ، وبمسكٍ ماجني من دماء الغور ، وتناديه الثمرات من كل أوب وهو مستلق على الظهر : هل لك يا ابا الحسن هل لك ، فاذا اراد عنقوداً من العنب او غيره ، انقضب من الشجرة بمشيئة الله وحملته القدرة الى فيه ، وأهل الجنـة يلقونه بأصناف التحية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

ولما انتهى بابن القارح الى قصره في الفردوس وأتكأه على مفرش من رائع الديباج الأسنى ، فوق سرير من الذهب او الزبرجد بين الحور والغلمان ، على ما أتى من ذلك الوصف البديـع ، حتى تركه يتمنى لو ُيقبض لساعتـه ... شرط ان يضمن له ضامن تحقيق تلك الرواية بل خيال خيالها ، عـــاد الى الجواب عن الرسالة فقال :

« ونعود الآن الى الاجابة عن الرسالة .. وهنا طفق يعدّد له جماعة من المتألهين (١) والزنادقة والملحدين ، وأصحاب البدع من المتقدمين والمتأخرين ، ويذكر طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونحلهم وأهوائهم، ينتقدها انتقاد الصيرفي

(١) المتحيرين .

الدينار ، ويمحصها محص الصائغ الفضة في النار ، وبين ذلك يقول : وقد تجد الرجل حاذقاً في الصناعة بليغاً في النظر والحجة ، فاذا رجع الى الديانة ألفي كأنه عَيرٌ [١] مقتاد ، وانمـــا يتبع ما اعتاد ، والتأله موجود في الغرائز ، يُحسب من الالجاء الحرائز [٢] ، ويلقن الطفل الناشىء ما سمعه في الأكابر ، فيلبث معه في الدهر الغابر [٣] .. واذا المجتهد نكـّب عن التقليد ، فما ينطق بغير التبليد [٤] ، واذا المعقول جعل هاديا ، نقع [٥] بريّه صاديا ، ولكن أين من يصبر على احكام العقل ، ويصقل فهمه أبلغ صقل .. وربٌ زارٍ بالجهالة على اهل ملة ، وعلته أدهى عِلة .

ثم عاد الى ممازحته فقال : وقـــد تحدّث بعض طلاب الادب أدام الله تزيـــين المحافـل بحضوره ، فذكر التزويج ، فسرّني ذلـــك لأنـــه دل على اقامة في الوطن ، وفي قربه الفرحة لأهل الفطن .. وهو يعرف حكاية الخليل عن العرب ، اذا بلغ الرجل الستين فإياه والشوابّ [٦] ، ولا خير عند النوَّابّ [٧] ، ولكن النصف ، ممن يوصف .. الى ان يقـول له : ولو نشط لهذه المأربة لتنافست فيه العُجُز [٨] والمكتهلات، وعلت خطبه المتبّلات [٩] :

---

(١) حمار .
(٢) الحصون .
(٣) الغابر من الاضداد يعني الماضي ويعني الحاضر .
(٤) التحير .
(٥) روى الظمآن .
(٦) الشابات .
(٧) العجائز .
(٨) جمع عجوز .
(٩) اللواتي فقدن حبيبهن او اعز اولادهن .

فانظر مـا اضحك هذا الوصف وما ألطف هذه المهازحة ، لأنه كما علمت يخاطب شيخاً جاوز الستين .

ثم يزيـد فيقول له : فليس بأول من طلب نجوزاً [١] ، فتزوج على السن عجوزاً، وما زالت العرب تحمد الحيزبون[٢] والشهلة[٣]، ولا تكره مع الشرخ الكهلة .. الى ان يقول: وأما حججه الخمس فهو ان شاء الله يستغني في المحشر بالأولى منهن ، وينظر في المتأخرين من اهل العلم ، فلا ريب انه يجد فيهم من لم يحجّ فيتصدّق عليهم بالأربـع . وكأني به وعماعم الحجيج ، يرفعون التلبية بالعجيـج ، وهو يفكر بتلبيات العرب .

ولما كنت اوضحت اعتقادي في الشيخ ابن القارح ايضاً ، فـلا بأس في تعزيزه في هذا المقام .

قال ابو العلاء في تضاعيف جوابه : وأما شكواه إليّ فانني وإياه لكما قيل في المثل « والثكلى تعين الثكلى » كلانا بحمد الله مضلّ...فعلى مَن نحمل وعلى مَن ندلّ .

ثم انه لم يترك اسم ملحدٍ او زنديق في المخضرمين والاسلام إلا ذكره له مع ابيـات او قصائد هي ابلغ مـا قالوه في عقيدة كفرهم وإلحادهم ، ثم قال بعد ذلك : ولم يزل الإلحاد في بني آدم على مرّ الدهور.. وبعض العلماء يقول:
– ان سادات قريش كانوا زنادقة وما أجدرهم بذلك، وقال الشاعر يرثي قتلى بدر :

ألمّتْ بالتحية أم بكرٍ   فحيّوا ام بكر بالسلامِ

---

(١) حاضراً مهيئاً .
(٢) العجوز ، السيئة الخلق .
(٣) اي التي في سواد عينيها زرقة .

الى ان يقول :

ألا من بلـّغ الرحمان عني بأني تارك شهر الصيامِ
أيوعدنا ابن كبشة ان سنحيا وكيف حياة أصداء وهام
أتترك ان تردّ الموت عني وتحييني اذا بليت عظامي

ثم يقول : ولما أجلى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه اهل الذمة عن جزيرة العرب ، شقّ ذلك على الجالين ، فيقال ان رجلاً من يهود خيبر يُعرف بسمير ابن ادكن قال في ذلك :

يصول ابو حفص علينا بدرّةٍ رويدك ان المرء يطفو ويرسبُ
كأنك لم تتبع حمولةَ ماقطٍ لتشبعَ ان الزاد شيءٌ محبّب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتمُ علينا ولكن دولةٌ ثم تذهب
ونحن سبقناكم الى المين فاعرفوا لنا رتبة البادي الذي هو أكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا وبُغيتكم في ان تسودوا وتُرهبوا

وكقوله بعد ذلك : وأما غيظه على الزنادقة والملحدين فأجرَه الله عليه كما أجرَه على الظمأ في طريق مكة واصطلاء الشمس بعرفة ومبيته بالمزدلفة .. وكثير مثله قبله وبعده .

فاذا نظر الناقد في ما تقدم بعينٍ لا يطرفها الرياء، وحكـّم رأياً لا تتجاذبه الاهواء يجد لا مندوحة عن القول معنا في مذهب الشيخين . وقد ورد في الامثال السائرة: « مَن أحب شيئاً اكثر من ذكره » وهذا هو شأن ابي العلاء في هذه الرسالة وسواها .

ونرجع الى الكلام عن الرسالة ، فان اهم ما ينتقَد عليه فيها ، حشوها بلفظ كثير من غريب اللغة وعويصها ، حتى ليحتاج العالم معه الى مراجعة المعاجم الكبيرة ، وقد يفسر بعض اللفظ في خلال الجملة ، مما يفقد الكلام

كثيراً من فكاهته ، على اننا ننتقد على الرجل صنعه ونحن في القرن العشرين، وبيننا وبينه عشرة قرون، وأنت لست تجهل ان لكل عصر طريقة من التعبير، وضرباً من الانشاء يألفها اهله .

ثم ان الرسالة أنشئت لغرض مخصوص فلا ينكر على منشئها إغرابه فيها وكلها عجيب في عجيب وكأنه قصد فيها المشاكلة التامة .

ولما كانت المخاطبة في اغلبها مع شعراء الجاهلية، فلا نخطىء الظن اذا قلنا انه اراد ان لا يكون لفظه بعيداً عن ألفاظهم ، لأننا نرى شعره في « سقط الزند » بل في نفس اللزوميات ، من اكثر شعر ذلك العصر وضوحاً، مع أنه مقيَّد بالوزن والقافية ولزوم ما لا يلزم وحصر المعنى في جمل محدودة ، وقد يكون اراد الافادة بذكر الكلم العويص وتفسير اكثره كما فعل ، وأنت تعلم ان معاجم اللغة – وقد كانت قليلة جداً – وكتب علومها ، لم تكن متيسرة لأكثر محبي العلم وطلابه في تلك القرون .

وعلى الجملة ، فان الرسالة قد جمعت من بدائع الابتكار ، وبدائه الخيال ، ودقائق التصوُّر، وغرائب التشخيص ، ومحاسن التصوير، ولطائف الانتقال، وروائع المنظوم ، وإشارات الى كثير من العلوم والفنون والاستقصاء في شاذ اللغة وغريبها ، والتبحر في عقباتها ورحيبها ، طائفة وافرة، وفوائد باهرة ، فلا تكاد تنتهي من حسن حتى يبدو لك ما هو احسن ، ولا تمرّ بفكاهة حتى تقع على ما هو اطيب منها وأفكه، ولا بغريبة حتى تقرأ ما هو اغرب منها، فلا عجب اذا تناقلها الركبان وتهاداها أهل كل زمان ، وباتت حَليَ الاذان في كل مكان .

ولا ريب في شيوع رسالة الغفران منذ عهد مؤلفها وتداولها بين اهل المغرب ، ولا سيما اهل الاندلس ، وكان يحكمها لذلك العهد ، ملوك الفضل وبدور السعد بنو عبّاد ، ثم حكمها بعدهم يوسف بن تاشفين .

قال التميمي في تاريخه: « فانقطع الى امير المسلمين من الجزيرة من اهل كل علم فحوله .. حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم .. واجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار » وذكر اسماء طائفة كبيرة من الأعلام .

ثم حكمها بنو عبد المؤمن ، قال التميمي في كلامه عن ابي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن : « ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء ، وخاصة اهل علم النظر ، الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك الغرب » . وكان ممن صحبه من العلماء المتفننين ابو بكر محمد ابن طفيل احد فلاسفة المسلمين ، قرأ على جماعة من المتحققين بعلم الفلسفة ، منهم ابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه .. ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار .. وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن رشد .

فاذا علمت ان مؤلفاته ومؤلفات من سبقه من كبار فلاسفة العرب ، قد ترجمها الى اللاتينية او العبرانية ومنها الى اللاتينية علماء اليهود من العرب في الاندلس ، وان الاندلس كانت منذ وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٩١٢ م (سنة ٣٥٠ هـ) منتجع العلوم ومحطّ رحال العلماء من كل صقع ، وكان لا يظهر كتاب علم او ديوان شعر لنابغة من نوابغ العرب في المشرق إلا تهاداه أكابر الاندلس وعلماؤهم واستنسخوه وتداولوه ، واذا علمت ان الامم الافرنجية كانت تأخذ العلوم عن إسلام الاندلس منذ القرن العاشر، أي قبل وفاة ابي العلاء بخمسين سنة . وقد جاء في موسوعات العلوم الفرنسوية الكبيرة ما تعريبه :

« قد عرف أمم اوروبا يومئذ - أي عند مخالطتهم عرب الاندلس — ان من كانوا يزعمونهم بربراً ، هم أرقى كعباً في المعارف من اوروبا المسيحية ، وإنه يجب الإقرار طوعاً او كرهاً ، بأن العرب كانوا يعرفون فنون السلم كمعرفتهم فنون الحرب ، وإن مدرسة قرطبة التي طبّقت شهرتها الآفاق ،

قـــد تخطت بسرعة جبـال البيرينية ، فسار اليها احد الشمامسة من اهـالي اوفيرن وهو المدعو جيربير ، فأخذ العلوم عن الاسلام ولم يكن ذلك ليصدّه عن الارتقاء الى عرش البابوية باسم سيلفستر الثاني ، ثم قام بعده بثلاثة قرون باكون احد مشاهير العلماء في القرون المتوسطة فنصح وافر النصح بتعلم اللغة العربية بعد ان درسها هو . ومن أقواله المأثورة : ان الله يحب الحكمة لمن يشاء ولم يرَ ان يهبها للاتين، وإن الفلسفة لم تكمل منذ اقـدم العصور إلا على دفعات ثلاث ؛ وذلك عند العبرانيين ، واليونان ، ثم العرب :

وفيها ايضاً: « ثم قام بعده بقليل من الزمن البابا اكليمندوس الخامس فأمر بتدريس العربية في مدارس باريس واكسفورد وبولونيا وسلامنك ، وممـا لا ريب فيه انه كان قـــد ترجم كثير من الكتب العربية ، وإنما الضعف اخذ بمخنقها فتعاورتها الاغلاط ، لأنها ترجمة عن اصلها ترجمـة حرفية دون تضلع من العلم او خبرة في النقد ، وذلك بـأن يضع المترجم الكلمة اللاتينية تحت اللفظ العربي ، وعندما كان يفوته فهم الاصل العربي ، كان يدعه دون ترجمة، وكم من كتاب نشر باسم استاذ في إحدى المدارس يومئذ ولم يكن له فيه سوى اسمه، بيد انه وجدت كتب اخرى كان حظها من حسن الترجمة اوفر، وتلك بأقلام بعض متنصرة اليهود .

وقال بعد ذلـك : فقد رأيت كم كانت انوار المعارف التي أنارت المشرق شديدة الضياء ، وإن مـا وصل منها الى عالمنا الغربي ، لم يكن إلا شفقاً من ذلك النور، إذ انه لم يصل الينا إلا عند تراجع العرب وانحطاطهم واضمحلال دولهم : انتهى ما ورد في الموسوعات الكبيرة المذكورة .

فـــإذا علمت ذلك كله ، لن يبقى في نفسك سبيل الى الشك في ترجمة (رسالة الغفران) في جمـــلة الكتب الى اللاتينية . وإفادة (دانتي) شاعر الطليان منها ، ونظمه (الكوميديا) على غرارها .

الرقص وأبو العلاء :

وعلى ذكر الرقص عند العرب في رسالة الغفران وسبق العرب للغرب في هذا اللون من العبث والرياضة اقول ان الاستاذ احمد حسن الزيات قارن بين ما قاله او وصفه ابو العلاء عن الرقص في كتابه (رسالة الغفران) وبين الرقص المعاصر في باريس اليوم ، فقال :

« ما من شيء كان يخلب لبّ الشرقي في باريس مثل مناظر الرقص في مسرح (الفولي برجير) او (الطاحونة الحمراء) .. هناك ترى عيناه الستار قد انفرج عن جنة من ورق ، نضّرته الاصباغ ، وأنعشته الأنـمـار .. قامت فيها اشجار تتساقط من بين اغصانها حور عاريات .. يهبطن المسرح راقصات مغنيات .. لا ذلك الرقص الذي نراه في بلادنا مقصوراً على هزّ الثدي والأرداف .. ولكنه رقص هو الى الشعر اقرب.. فما مجموعة الراقصات هناك إلا بيت من الشعر .. كل امرأة فيها كلمة .. وكل كلمة ذات معنى خاص من حسنها الذاتي .. واذا الكلمات او الراقصات يتجمعن في عبارة من حركاتهن المتسقة ، لها معنى أشمل وأعمّ ، كمعنى بيت منظوم له دويّ ونغم .. كنا نشاهد ذلك عقب الحرب العالمية الاولى ، ونقول في انفسنا معجبين : يا لخيال الغرب » .

لقد أنستنا براعة الاخراج ما في بطون الكتب.. ذلك ان العجب الاكبر هو ان أبا العلاء المعري تخيل اكثر من ذلك منذ الف عــــام .. ولنرجع الى تصوُّره لحدائق الحور ورقص الحور في (رسالة الغفران) .. ولنصغ اليه حيث يصف : ويمرّ ملك من الملائكة فيقول :

« يا عبد الله ، اخبرني عن الحور العين أليس في الكتاب الكريم : إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكاراً ، عرباً أتراباً ، لأصحاب اليمين » .

فيقول الملك: إقفِ اثري... فيتبعه فيجيء به الى حدائق لا يعرف كنهها إلا الله. فيقول الملك: « خذ ثمرة من هذا الثمر فاكسرها، فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور ».

فيأخذ سفرجلة او رمانة او تفاحة، او ما شاء الله من الثمار، فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء...

ومضى ابو العلاء يروي ان الشاعر الخليل بن احمد، دخل الجنة، وكانت له أبيات تصلح لأن يرقص عليها.. فأنشأ الله شجرة من الجوز.. تونع لوقتها، ثم تنفض عدداً من الثمر..تنشق كل جوزة منه على اربع جوار يرقن الرائين، يرقصن على أبيات الخليل:

ان الخليط تصدع ... فطر بدائك او قع
لولا جوار حسان ... مثل الجآذر اربع
لقلت للظاعن اظعن ... اذا بدا لك او دع

* * *

أكان ينقص هــذا الخيال غير مخرج يقيمه فوق مسرح؟ ولكن الذي يدهشني حقاً هو ان فكرة ابي العلاء عن الرقص لا نرى لهـا اثراً فيما ورثناه من ذلـك الفن.. لقـد كان ذلك الضرير مثل (هومير) يتخيل الأشياء في سموّها وعلوّها.. لقد استطاع ان يرى فن الرقص على ما ينبغي له من نبل وارتفاع.. ولكن المحيط الاجتماعي فيما أعتقد هو الذي طبع الرقص الشرقي بهذا الطابع الذي نعرفه.. فقد كان هذا الفن مما تزاوله الجواري.. لا ليعرض امام الجماهير في مكان رحب.. ولكن ليعرض امام مولى او سيد في لحظات انس ومتعة في خدر من الخدور او مجلس من مجالس الشراب والسرور.. هذا المكان الضيق وهـذه الظروف الخاصة حدّدت شكل ذلك الذي نسميه اليوم بالرقص الشرقي.. فكان مجاله كما نرى جسم الجارية.. والحركة فيه لا تتعدّى

حركة اعضائها .. فالراقصة بلحمها وحدها هي كل مدار الرقص .. وكل مسرحه.. ومعاني فنها لا تتجاوز ابراز محاسن اعضائها على النحو الذي يروق لرجل في يده كأس .. أما الرقص الغربي فقد ورث اصوله عن الاغريق .

والمجتمع الاغريقي عرف الرقص فناً يعرض في الهواء الطلق امام الجماهير. وكان لشيوع الألعاب الرياضية (الجمباز) ، وازدهار النحت والتراجيديا ، اثر ولا ريب في طبع الرقص الاغريقي بذلك الطابع الذي نرى صوره اليوم على بقايا الاواني وأفاريز المعابد .. رقص ليس الجمال فيه جسم الراقصة وحده .. بل حركة ذلك الجسم في اطار المكان .. وليس روّيه ونظمه ونغمه في التناسق بين حركة ردف وبطن .. بل بين تماوج راقصة وراقصة .. في الرقص الشرقي يدور الحوار دائماً بين عضو وعضو في جسم راقصة .. اما الرقص الغربي فالحوار يدور بين الراقصة والهواء .. وبين مجموعة من الراقصات والفضاء .. وإن الاذرع والسيقان والاقدام ، لتتحرّك وتتماوج ، ولكنها لا تفقد ابداً الصلة بينها وبين الطبيعة المحيطة بها من ارض او فضاء .

ان الراقصة الشرقية دائماً فوق الارض ، كأنها في الطين مغروسة . أما الراقصة الغربية ، فكأنها تريد ان تثبت انها تمشي في الهواء مرتفعة عن الارض .. فهي تخطو على اطراف الانامل ، وتثب كأنها جواد .

ان الصلة بين الجواد والراقصة يلمحها كل من نفذ الى روح الرقص .. لقد حدثنا (بول فاليري) فيما حدث عن المصور (دجاس) .. الذي حذق تصدير راقصات (الباليه) ان ذلك الفنان لم تغب عنه تلك العلاقة بين الراقصة والجواد .. فقد كان يدرس خيل السباق فيما يدرس من مصادر فنه. فالجواد هو الآخر يمشي على اطراف حوافره متبختراً .. انامل اربع تحمله .. أما من حيوان غيره يشبه الراقصة الاولى في مجموعة (الباليه) .. ولقد ذكر لنا ان (دجاس) وصف جواداً ببيت من الشعر قال فيه « عصبي المزاج ، في عريه الكامل ، وثوبه الديباجي » .

هنا ايضاً نجد شعراء العرب قــد فطنوا الى ذلك الشبه وتلك الصلة .. وقالوا في الجواد مثل ذلك قبل قرون .. وها هوذا البحتري يقول :

جذلان تحسده الجياد اذا مشى عنقاً بأحسن حــلة لم تنسج

وقبله قال زهير :

وملجمنا مــا ان ينال قذاله ولا قدماه الارض إلا انامله

وكما قال كذلك ابن المعتز :

اذا مال عن اعطافه قلت شارب عناه بتصريف المدامــة طافح

ما قصّر شعراء الشرق اذن في فهم روح الرقص .. ولكن الذي جنى على هذا الفن هو روح المجتمع الشرقي .. لولا ذلــك لكان ابو العلاء المعري هو خالق (الباليه) الاول .

- ٢ -

ابو العلاء المعري

وفلسفته في اللزوميات والفصول والغايات

وعلاقة الكتابين الواحد بالآخر

بقلم : الدكتور طه حسين

اشتهر ابو العلاء بلزومياته ، كما اشتهر بكتابه (الفصول والغايات) الذي نفد اكثره ولم يبقَ إلا أقله . وقد كتب الدكتور طه حسين فصلاً عن هذا الكتاب رأينا ضمّه الى كتابنا ، يصف فيه هذا الكتاب الفريد العجيب ، ويقابله باللزوميات ، ويتحدث عن فلسفة ابي العلاء في الدين والدنيا والحياة الآخرة ، وغير ذلك من الشؤون والاسرار .

وطه حسين قد كتب عن ابي العلاء بروحه ، واستبان من تاريخه لم يستبنه غيره ... فلنترك العميد يتحدث عن زميله الفريد العجيب :

(الفصول والغايات) :

كان القدماء يظنون بهذا الكتاب الظنون ، ويقولون فيه عن علم وعن غير علم ، منهم من لم يقرأه وإنما سمع عنه ، ومنهم من قرأه ولم يفهم عن ابي العلاء فيه .

منهم من أساء الظن بالشيخ فقضى في الكتاب بما استقرّ في نفسه من سوء الظن ، ومنهم من احسن الظن بالشيخ فأحسن الظن بالكتاب . فرأى بعضهم ان الكتاب معارضة للقرآن ورأى فيه لوناً من ألوان الكفر ، ورأى بعضهم ان الكتاب تمجيد لله وثناء عليه فرأى فيه لوناً من ألوان الدين والتقوى .

وأقبلتُ أنا على الشيخ وهو يملي هذا الكتاب ، لا احفل برأي الناس فيه وإنما احفل بما سيتركه في نفسي من أثر ، وأحفل بهذه النغمات التي يترنم بها الشيخ حين يتحدث الى نفسه بما ألـّف من هذه الفصول حين تستأثر به الخلوة فيردّد ما ألـّف ، يجري بـه لسانه ليسمعه وليحقق أمستقيم هو او معوج ، وحين كان يملي هذا الذي ألـّفه على طلابه راضياً عنه معجباً به ثم يملي عليهم تفسير ما وقع فيه من غريب .

وأشهد لقد تصورت الشيخ في حالين مختلفتين . كان في احداهما فيلسوفاً مفكراً وفي الاخرى استاذاً معلماً . وكان في احداهما ساخطاً على نفسه مصغراً لها .. وكان في الاخرى راضياً عن علمه معجباً به .

كان فيلسوفاً ساخطاً في الليل حين يخلو الى نفسه ، فتضاف ظلمة الليل الى ظلمة بصره وإلى ظلمة بأسه ويأسه ، ويتردّد في هذه الظلمات المتكاثفة المتراكبة ضوء ضئيل ولكنه قوي عزيز، هو ضوء عقله وقلبه يهديه من ضلال، ويرشده حين تشتبه عليه الطرق . يهديه الى هذه المعاني الكثيرة المختلفة المختلطة التي حفظها من علم الاولين . وإذا هو يميّز منها ما يلائمه ويهديه الى هذه الالفاظ الكثيرة المختلفة التي حفظها من لغة الاولين ، واذا هو يميّز منها ما يلائم معناه ويهديه في طريقه الفنية ، فإذا هو يصبّ معناه في ألفاظه صبّاً ، ثم يتناولها بالتقريب والترتيب ، وبالحذف والزيادة ، حتى تستقيم له فصلا ممتعاً يسيراً او عسيراً ، منتهياً الى غايته التي ارادها له على كل حال . فإذا بلغ من ذلك ما اراد اجرى هذا الفصل على لسانه فسمعته اذنه، وطابت عنه نفسه ، واستأنف السير في طريقه يلتمس معنى آخر وألفاظاً اخرى

ليضيف فصلاً الى فصل وغاية الى غاية ، وما يزال كذلك حتى يبلغ منه الجهد ويدركه الاعياء ويضمه النوم في رفق بين ذراعيه . ومـا أرى إلا ان نفسه كانت تعمل نائمة كما كانت تعمل مستيقظة ، وما أرى إلا ان لسانه كان يدور في فمه ببعض الاسجاع ، حتى اذا استيقظ وجد في ضميره آثار هـذا الجهد النائم فأدخره الى ان يأتي المساء .

وكان استاذاً معلماً حين يقبل عليه طلابه مع الضحى فيملي عليهم ما أعدَّ لهم من ليلته فيبسمون ويرضون ويعجبون ويكتبون ويستفسرون ويستوضحون. ويملي عليهم الشيخ تفسير ما عمي عليهم من الالفاظ مكتفياً بالبيان حيناً مستشهداً على ما يقول حيناً آخر. وما أرى إلا انه كان يرضى عن نفسه حين كان يفسر فيرضي العقول ويشفي الصدور وينفع غلة طلاب المعرفة .

ولكن لِمَ ألّف ابو العلاء كتاب (الفصول والغايات) ؟ انـه هو ينبئنا بهذا حين يقول: « علم ربنا ما علم، أني ألفت الكلم آمل رضاه المسلّم،وأتقي سخطه المؤلم ، فهب لي ما أبلغ به رضاك من الكلم والمعاني الغراب » .

وأبو العلاء صادق فيما يقول فهو انما ألف الكلم يبتغي بها رضا الله ويتقي سخطه . كتابه اذن نوع من أنواع التقرُّب الى الله ، ولون من ألوان العبادة له والامعان في تسبيحه والثناء عليه . ولكن ابا العلاء يعبد الله ويتقرّب اليه كما يريد هو ويختار .. لا كما يريد الناس ويختارون .

فهو يثني على الله ما في ذلك شك وما اعرف ان احداً أثنى على الله كما أثنى عليه ابو العلاء ، ولكنه يثني عليه ثنـاء الرجل الحر الذي جمع بين خصلتين متناقضتين : هو حر فلا يمنعه شيء من ان يتحدث الى ربه حديث المؤمن بـه المطمئن اليه .. يصارحه بما فهم وبما لم يفهم ، ويجاهره بما رضي وبما لم يرض، ويظهره على ما يعرف وما ينكر ، في هدوء واطمئنان وثقـة ، وفي خوف وفزع وهلع ايضاً. هو مؤمن بالله ولكنه مؤمن بعقله ايضاً ، فإيمانه بالله يدفعه

الى الحب والامن والثقة حيناً ، ويدفعه الى الخوف والاشفاق والقنوط حيناً آخر .

وإيمانه بالعقل يدفعه الى الشك والانكار مرة ، ويدفعه الى الايمان واليقين مرة اخرى،وهو اذن متردد في الفصول والغايات كما هو متردد في اللزوميات.

يقطع بشيئين : احدهما وجود الله وحكمته .. والثاني انقطاع الصلة بين الله والناس إلا من طريق العقل ومن طريق العقل وحده.وإذن فهو في حاجة الى ان يفهم حكمة الله ، وهو عاجز عن فهم هـذه الحكمة ، وإذن فهو غـير مطمئن الى بعض المعتقدات ، وهو محتاط الى اعلان شكه فيها .

وأنت تقرأ هذا الجزء الذي نشر من « الفصول والغايات » فترى انه قد ذكر النبي ﷺ فيـه نيفـاً وعشرين مرة ... ذكره ليستشهد بكلمة قالهـا او قيلت له ، او ليستدل بحديث من الاحاديث استدلالاً لغوياً ليس غير . وهو اذا ذكر النبي مجّده وصلى عليه، ولكنه لا يزيد على ذلك . وهو ينكر في «الفصول والغايات» ما انكر في « اللزوميات » من امر الحج ، ويثبت في الفصول والغايات ما اثبت في اللزوميات من وجوب الطاعة والتقوى وإقامة الصلاة والبر بالفقراء ورياضة النفس وأخذها بما تكره من الشدائد .

وهنا تعرض مسألة لا بد من التفكير فيها : ما عسى ان تكون الصلة بين اللزوميات والفصول والغايات من ناحية الفلسفة العلائية اولاً ، ومن ناحية الفن اللفظي ثانياً ؟

فأمـا انا فرأيي في ذلك صريح واضح لا لبس فيه ولا غموض : وهو ان احد الكتابين صورة صادقة للآخر.. صورة تطابق الاصل كل المطابقة بحيث يجب ان يفسّر احدهما بصاحبه ، وأكبر الظن ان الفصول والغايات هو الذي أنشأ اللزوميات من الناحية اللفظية على اقل تقدير .

اكبر الظن ان ابا العلاء تصوّر كتاب(الفصول والغايات)اولاً،فلما استقامت له طائفة من هذه الفصول خطر له ان ينظّمها او ان ينظّم شيئاً قريباً منها، وأن يلتزم في الشعر مثل ما التزم في النثر .

وواضح جداً ان الشعر يكلف صاحبه من المشقة اكثر مما يكلفه النثر.ففي النثر حرية لا تستقيم للشاعر.. يستطيع الكاتب ان يلتزم هذه القيود او تلك فاذا ضاق بها او سئمها تحوّل عنها الى الحرية ان شاء ، والى قيود اخرى إن اراد ، دون ان يفسد ذلك عليه نثره ، ولكن الشاعر لا يستطيع ان يمنح نفسه هذه الحرية في الشعر لأنه لا يكاد يعدل عن هذه القيود التي التزمها حتى يضطرب نظام القصيدة ، وإذاً هو مضطر الى ان يستأنف قصيدة اخرى يصطنع فيها الحرية او يلتزم ما شاء فيها من قيد .

ومهما يكن من شيء ، فان الآراء الفلسفية التي صوّرها ابو العلاء في اللزوميات هي بعينها الآراء الفلسفية التي صوّرها في الفصول والغايات ، وأن قاريءّ الكتابين يخرج من قراءته بصورة واحدة لأبي العلاء ، هي صورة الرجل المؤمن بإله حكيم ، المضطرب ، المتردّد ، فيما عدا ذلك من الأمر .

ومهما يكن من شيء ايضاً فان القيود الفنية التي فرضها ابو العلاء على نفسه في اللزوميات قد فرضها على نفسه في الفصول والغايات . ولعله ان يكون قد عذّب نفسه في هذا الكتاب المنثور اكثر مما عذّبها في ذلك الديوان المنظوم. فقد أفتن في القيود التي فرضها على نفسه في هذا الكتاب ، وأفتن في تنويعها والاستزادة منها حتى لم يكن مصدر ضيق لنفسه فحسب ، بل كان مصدر ضيق لقارئيه وسامعيه ايضاً . كان مصدر ضيق وكان مصدر اعجاب لا حدّ له .. فما اعرف ان احداً وعى اللغة العربية كما وعاها ابو العلاء . وما اعرف ان احداً راض اللغة العربية كما راضها ابو العلاء .

ليت آماله في الحياة استقامت له كما استقامت له اللغة العربية .. وليت

مانيه انقادت له كما انقادت له ألفاظ هـذه اللغة وأساليبها ! اذن لكان احسن الناس حظاً وأبعدهم عن التشاؤم، وأشدّهم إغراقاً في التفاؤل والرضا، ولكن ابا العلاء حرّم تحقيق الاماني ورُدّ عن ادراك الآمال ، وعزّي عن هذا كله بهذه الالفاظ وهذه المعاني ، يعبث بها كما يعبث الطفل بلعبه ، حتى يدركه الملل وحتى يدرك الملل قارئيه وسامعيه ، وحتى تستحيل هذه التعزية همّاً ثقيلاً ، وعناء لا يطاق .

* * *

وأول ما التزم ابو العلاء في « الفصول والغايات » هذه الغاية التي يختم بها فصوله ، فقد اراد – ويا لعبث الأطفال الكبار ! – ان يختم كل فصل من فصوله بكلمة يلتزم آخرها في جملة من الفصول،وأراد أن يرتب هذه الكلمات على حروف المعجم كلها فيلتزم الهمزة في بعض غاياته ، حتى اذا بلغ منها حاجته انتقل الى الباء ثم الى التاء ثم الى الثاء حتى يبلغ آخر الحروف.والجزء الذي بين ايدينا ينتهي بالخاء .

وقد اراد – ويا لعبث الاطفال الكبار ! – ان تكون غايته ساكنة لأنه يقف عندها في آخر الفصل ، فلا بدّ له من ان يستريح ، ومن ان يريح قارئه وسامعه . والسكون الذي هو علامة الوقف ادنى الى الراحة وأجدر ان ينتهي اليه المسافر بعد شدة النشاط وكثرة الحركة والاضطراب . وقد أراد ان يكون هذا السكون مريحاً حقاً فاشترط ان يسبق الحرف الساكن بألف ساكنة . فهو يلتزم في الغاية حرفين ، يتغيّر احدهما بتغيّر حروف المعجم ، ولا يتغيّر ثانيهما بحال من الاحوال ، وهو هذه الألف الساكنة .

وهو من هذه الجهة يشقّ على نفسه في «الفصول والغايات» اكثر مما يشق عليها في اللزوميات .. ومـا رأيك في رجل يلتزم الألف في غايات الكتاب كله ، وقد رتبت هذه الغايات على الحروف كلها ونظمت كتاباً يقع في اربعة

مجلدات ضخام ؟ ولكن ابا العلاء لا يكتفي بهذين القيدين الثقيلين ، وإنما يضيف اليها قيوداً اخرى ، ينوّعها ويفتن في تنويعها .. فقد لا يكتفي بالتزام الألف في غاياته وإنما يلتزم قبلها حرفاً آخر في طائفة من الغايات ، حتى اذا ضاق بهذا الحرف او ضاق الحرف به تركه الى حرف غيره فالتزمه وقتاً طويلاً او قصيراً .

قيود :

هذه هي القيود التي فرضها ابو العلاء على نفسه في غاياته . ولكن ابا العلاء ينكر نفسه ويجحد فنه وبراعته ان اكتفى بهذه القيود ، فلا بدّ له من قيود اخرى يفرضها على نفسه في الفصول نفسها . وأنت هنا ترى الاعاجيب ، فأبو العلاء يلتزم السجع احياناً ، ولكنه لا يسجع كغيره من الكتّاب .. وإنما يلتزم في السجع ما يلتزمه في قافية اللزوميات فيفرض على نفسه حرفين ، وقد يفرض على نفسه اكثر من حرفين ، وهو قد يتجاوز هذا السجع الذي التزمه الى نوع آخر من القيد في الفصل نفسه . فاذا فرض على نفسه سجعات بعينها انتهى الى الهمزة واستأنف سجعات اخرى ، ثم انتهى الى الباء ، ومضى كذلك حتى يتمّ حروفِ المعجم قبل أن يبلغ الغاية .

وقد لا تعجبه هذه القيود كلها فيفرض على نفسه قيوداً اخرى يلتزمها لا في فصل واحد بل في فصول مختلفة : يجعل غايته الحاء والخاء ، ويلتزم في الفصول من امام هذه الغايات ومن ورائها حرفاً بعينه بحيث يكون الالتزام مؤتلفاً ومختلفاً .. التزام في الغايات والتزام في الفصول على تباعدها وتباينها . وفصول ابي العلاء تقصر وتطول ، تقصر حتى تتألف من جُمَل ، وتطول حتى تصبح وكأنها فصل طويل من كتاب .

وفصول ابي العلاء تستقلّ احياناً ويتبع بعضها بعضاً احياناً اخرى .

تستقل فـلا تكون بينها صلة ، وترتبط ، فـإذا طائفة منها تؤلف قصة واحدة ، كلما انتهى جزء من القصة ختم الفصل بغاية واستؤنف جزء آخر من القصة في فصل آخر ينتهي بغاية اخرى ، ويستأنف بعده جزء ثالث . وما يزال الأمر كذلك حتى تتم القصة في عدد من الفصول والغايات .. كثير او قليل .

وقد ذكرت القصة وما اكثرها فيما بين ايدينا من الفصول والغايات .. ما اكثرها وما اروعها ، وما اشدّ اختلافها وتنوّعها ! منها مـا يقصر حتى يؤدى في جُمَل ، ومنها ما يطول حتى يؤدى في فصول . والخيال فيها رائع ومتواضع معاً .. رائع لطرافته ولغرابة الملائمة بينه وبين مـا قصد اليـه ابو العلاء من تمجيد الله ، ومتواضع لأن ابا العلاء لا يبتكره ولا يستأنفه استئنافاً وإنما يستمدّ عناصره من الشعر العربي القديم ومن الاساطير العربية القديمة ، ومن اخبـار التاريخ ومن اصول العلوم اللغوية وقواعدها . فكل مـا صوّر الشعر العربي القديم من وصف الصيد قـد سلكه ابو العلاء في الفصول والغايات قصصاً جميلاً رائعـاً يدور حول الوعظ والارشاد ، وحول تمجيد الله والثناء عليه .

* * *

وكثير ممـا صوّر اصحاب النحو والصرف من اصولهم وقواعدهم قـد سلكه ابو العلاء في كتابه قصصاً جميلاً رائعاً ، او حواراً بديعاً ممتعاً يدور حول تمجيد الله والثناء عليه . وقلّ مثل ذلك في العروض والقافية ، بل قلّ مثل ذلك في الموسيقى نفسها .

وليس تفسير ابي العلاء لفصوله وغاياته بأقل طرافة وغناء من الفصول والغايات نفسها . فما اكثر ما يشتمل هذا التفسير على كنوز لا تقوّم في تاريخ اللغة العربية وعلومها وآدابها ، بل في تاريخ الحيـاة الفنية للمسلمين

بنوع خاص . ولو أني ذهبت افصّل خصائص هذا الكتاب وما يمكن ان يستكشف فيه الباحثون من حقائق التاريخ الادبي العربي ، لما فرغت من هذا الحديث ...

فالأقف عند طائفة من الفصول لا بدّ من الوقوف عندها ، لأنها تصوّر نفس ابي العلاء كما نعرفها من اللزوميات ، ومن الحق لي ايضاً ان اثبت هذا وأسجّله ، بل لعل بعض هذه الفصول يصوّر لنا نفس ابي العلاء خيراً مما صوّرتها اللزوميات .

العزلة والانطواء :

اقرأ هذا الفصل :

« انا كسير الجناح فمتى نهضت أنهضت ، ولو صلحت للبِذلة لكنت السعيد ، ولكن حال الجريرُ دون البرير . انما انا حيٌّ كالميت او ميت كالحي ! وما اعتزلت إلا بعد ما جدَدت وهزَلت ، فوجدتني لا أنفذ في جدٍ ولا هزل ، ولا أخصِب في التسريح ولا الأذل ، وعليَّ بالصبر ، لا بدّ للمبهمة من انفراج [1] » .

فأبو العلاء يعلّل لنا في هذا الفصل إيثاره للعزلة بعد ان علّل قبلاً إيثاره للحياة الفلسفية . وهو في ذلك الفصل ينبئنا بأنه ظلّ ثلاثين سنة يأمل الخير ويرقبه ويعاني مع ذلك ألوان الشدة والسهول ، يعدُّ في هذا الانتظار اعوامه بل ايامه ولياليه ، فلما بلغ الثلاثين ولم يبلغ الخير استيأس منه واستأنف حياة جديدة .

---

(١) الفصول والغايات ص ٢٩٧ .

وهو في هـذا الفصل ينبئنا بأنه كسير الجناح لا يستطيع ان ينهض وحده وانما هو مستطيع بغيره .. كما قال في غير هذا الموضع ولو استطاع بنفسه لكان سعيداً . وفقد بصره هو الذي اضطره الى هذا العجز . وهو ينبئنا بأنه قـد شارك الناس في جدّهم وهزلهم ، فرأى انه لا ينفذ في جد ولا في هزل . وليس فُقـد بصره وحده هو الذي أعجزه من ان ينفذ في الجد والهزل فقد جدّ قبله بشار وهزل . وإنما أعجزه عن ذلك فُقد بصره ، وأعجزته عن ذلك طبيعته التي كانت انسية الولادة وحشية الغريزة ، وأعجزته عن ذلك فلسفته التي اضطر اليها ، بعـد ان ارتقب الخير ثلاثين عاماً فلم يظفر بـــه . وإذن ، فلم يكن له بدّ من ان يتمّ حياته الفلسفية الجديدة بهذه العزلة التي ينقطع بها عن الناس وعما يكونون فيه من هزل وجد . والعزلة شاقة عسيرة الاحتمال فليستعن عليها بالصبر فلا بدّ للمبهمة من ان تنفرج حين يأتي الموت فيريحه ويريح منه .

وما أعرف أروع من هذين الفصلين في تصوير الناحية الانسانية من شخص ابي العلاء ، على ان الصبر لم يكن هيناً عليه دائماً ، وإنما كان يعوذه احياناً فيكاد يخرج عن طوره ، لولا فضل من قوة الاراده وحزم الامر وضبط النفس . فاقرأ هـذا الفصل الذي يصوّر ضيقه بالعزلة ويأسه مما كان قدّر انه قـد يظفر به فيها من الأمن وراحة الضمير والعزاء عن تركه بغداد .

فاذا هو لا يظفر من هذا كله بشيء ، واذا هو يندم على ترك العراق بعد ان انقطعت الاسباب بينه وبين العراق ، كالراهب يفرض على نفسه لزوم الدير ، ثم يتبين له بعد فوات الوقت انه قـد حاول ما لا يطيق فيندم حين لا يغني الندم عنه شيئاً .

* * *

وقـــد كان ابو العلاء يرى ترك العراق ولزوم بيته لوناً من ألوان الطاعة والبر والتواضع والاعراض عن غرور النفس وكذب الشهرة والصيت. فلما تمّ له من ذلك ما اراد رأى انه قـــد حرم خيراً لا تطيب عنه نفسه، فما عسى ان يكون هذا الخير؟

الشاعر القلق:

ليس خيراً مادياً، فلم يكن ابو العلاء ناعم البـــال في العراق ولا مستمتعاً بطيبات الحياة، وإنما هو عقلي، هو هذه الحياة العلمية الفلسفية التي كان يحياها بين اخوانه واصفيائه من العلماء والادباء والمفكرين: «لا عُتيبة بقي ولا قُتيبة، كم فتى من هذيل، يضرب بالذيل، كان العُذيق والجذيل، غودر برمل او رُميل، ما خلـّفه النضر بن شميل، خير مما خلـّف ابي مُليل، والفرخ ابي العُديل. عيلا عيلا! قد ورث كعب جميلا وترك عتر قيلا، وثار في توبة رثاء ليلى ثم اضحوا بالتراب هيلا، لم يصيدوا جميلا. طويت المنازل عـــن العراق كأنني في الطاعة وأظن ذاك بعض المعصية، وأحسبني لو وفقتُ لانقلبت عائداً على ادراج [١]».

وقد يبلغ الضيق بأبي العلاء أقصاه وينتهي الحرج به الى أبعد آماده فيفكر في ان يصوم عن الطعـــام والشراب حتى يدركه الموت. ولكنه خائف دائماً، خائف ممـــا بعد الموت، فهو مضطر الى ان يصبر والى ان يحتمل، يؤثر ذلك على ان يسرع الى الموت فيلقى من ورائه ما يكره. فاقرأ اول هذا الفصل:

«لو أمنت التبعة لجاز ان امسك عن الطعام والشراب حتى أخلص من ضنك الحياة، ولكن أرهب غوائل السبيل» [٢]!

---

(١) الفصول والغايات، ص ٣٠٨.
(٢) الفصول والغايات، ص ٣٦٠.

هو إذن في الفصول والغايات كما هو في اللزوميات ، يائس من الخير لنفسه وللناس ، مضطر الى الفلسفة والعزلة ، يأخذ بذلك نفسه لأنه يقدر عليها ، ولا يأخذ بذلك الناس لأنه لا يقدر عليهم ، فهو ينصح لهم حين يأمرهم باصطناع الخير واجتناب الشر وإيثار العافية ما وجدوا الى ذلك سبيلاً . والآلام الكبار التي يشكو منها ابو العلاء في اللزوميات وفي الفصول والغايات ، والتي دعته الى هذه الفلسفة والى هذه السيرة العنيفة الشاقة ، قليلة إن أردنا إحصاءها ، ولكن آثارها ونتائجها لا تُحصى . فأبو العلاء يشكو فقد بصره وفقد أبويه واضطراره الى ترك بغداد . وكل ما يكون في حياته من ألم يمسّ شخصه ، انما يتصل بهذه الألوان من الحرمان فُرضت عليه فكوّنت له هذا المزاج الحاد ، يحسّ كل شيء كأدق ما يكون الحس ، ويشعر بكل شيء كأقوى ما يكون الشعور المظلم الذي لا يكاد يتصل بشيء حتى يسبغ عليه ظلمته القاتمة مهما يكن مشرقاً مضيئاً .

شكوى وحزن :

وليس كتاب الفصول والغايات أنيناً وشكاة على هذا النحو الذي رأيته فيما رويت لك من الفصول ، وإن كان من العسير ان تجد في كتاب الفصول والغايات فصلاً لا شكاة فيه ولا حزن ، فقد كان ابو العلاء كله شكاة وحزناً ! ولكن ابا العلاء يخرج احياناً عن حزن نفسه وملها الى جمال الفن الخالص وروعته . يأخذ في القصة فتعجبه فيمضي في تصويرها ، ولعله يجد في هذا التصوير تسلية وعزاء فيبسط ويطيل ، ويأخذ في التفسير بعد ذلك فيعجبه العلم ويروقه فيطنب فيه ويطيل ، ويظهرنا كما قلت على كنوز لا تحصى كهذا التفسير الذي عرض فيه لأضرب الغناء ففسرها لنا

تفسيراً واضحاً جلياً ارجو ان يعني به اصحاب الموسيقى والغناء فسيجدون فيه حلاً لرموز الاغاني [1] .

وما اكثر ما يطرفنا به ابو العلاء في تفسيره مما يمسّ تاريخ العروض وتاريخ ما يعرف الجاهليون وما لم يعرفوا من اوزان الشعر ، وقد تغلبه الطبيعة الفنيــة على نفسه فاذا هو يتـكلف الوعظ تـكلفاً ، يتخذه وسيلة الى عرض ما يريد ان يعرضه من الصور . وربما كان من الظريف ان تقرأ هــذا الفصل الغريب الذي اسجله لغرابته ولأنه يوشك ان يكون لغزاً ، وأمثاله في الفصول والغايات كثير ، فاقرأه وسل نفسك عما أراد به ابو العلاء .

« عجبتُ وفي القدرة عجب ، فوحّد الله فيمن وحّد له لدابة لا رجل لها ولا يد ، اذ اغفل عن الجسد من كان له يتعهد ، نشأتْ من الإهاب ، فاذا ظفر بها البائس جعلها بين ُظفريه فأسمعَ اذنه لها صوتاً ، افّ لها عقيرةً وأفّ له طالب ثأر ! ان الله لصفوح وهاب .

« لو تركها البائس لنشأ لهــا اخوات ، فكثرن ككثرة النبات ، فأوقعن البَشرة في التهاب .

« سبحان خالق النسمة ، الباكية والمبتسمة . ما تقول غبراء مترنمة ، هي بالتسبيح مهينمة ، تستتر في الأوقات الشبِـمة ، وتبرز أوان الغـَـتمة ، القسة بهــــا موسّمة ، ُتنفذها بولمة ، أحدّ من غروب السلمة ، توقظ المؤمن الى الحسنات الجمّة ؛ والـكافر لغير مكرُمة ، أمجوسية هي ام مسلمة ، اما القراءة

---

(١) الفصول والغايات ص-٨٨ .

فزمزمة ، ليست عن الدم بملجمة ، بل من الأمم المتقدمة ، لا ترى اجتناب النسمة . وتقنع بفصيد السنمة ، قينة غير معلمة ، تجيبها الف رنمة ، لا يفهم عنهن الفهمة ، لو جاءت كل واحدة بكلمة ، أوفين على نظام النظمة ، تقع على الخادر بالأجمة ، بين القصرة والجمجمة ، انها لمتجهمة ، كأنها في القصب تراسل القصاب [1] » .

فواضح جداً ان الناحية الفنية هي التي غلبت ابا العلاء على هذه الفصول ، وإن استطاع ان يجعل بينها وبين الحكمة والموعظة سبباً .

اللعب بالألفاظ :

وهناك فن يكثر منه ابو العلاء في الفصول والغايات كما أكثر منه في اللزوميات، وهو الملاءمة بين أسماء النجوم والكواكب وأسماء الناس والحيوان، والعبث بهذه الملاءمة في شيء من السخرية بالناس وما سموا ، وبالاوهام وما خيلت لأصحابها . وهو في ذلك يذهب المذهب الذي أشرنا اليه اثناء الحديث عن بعض قصائد اللزوميات مذهب لوكريس في انكار اوهام الناس ، والعبث بما يكون بين الالفاظ من تشابه يضربه مثلاً لما يكون بين الصور من تشابه ، وربما كان بعض هذا الفصل مغنياً في الدلالة على هذا الفن الذي يستغله ابو العلاء فيستخرج منه كثيراً من الحكم والمواعظ ، وكثيراً من روائع الفن ايضاً .

قال ابو العلاء :

« هل مازنُ وهوازن القبيلتان في ملك الله إلا كمازن النملة ، والهوازن

(١) الفصول والغايات ص ٨٠ .

من الطير النافرة ؟ وكذلك كلاب بن ربيعة وكلب بن وبرة ، إنما هما كلب مفرد وكلاب مستنبجة . وقضاعة بن مالك كالدابة الخارجة من خضارة ، وقريش كذاك . وفرقد السماوة كفرقد السماء ، والجرباء ذات النجوم بمنزلة الناقة الجرباء »[1] .

وفي اثناء هـذا اللعب الفني الكثير بالالفاظ والمعاني على اختلافها وتباينها .. يلقي ابو العلاء هنا او هناك هذا الفصل او ذاك ، فيضطرك الى ان تقف حائراً مبهوتاً تسأل ماذا اراد ، والام قصد ، وفيم فكر . ولا تكاد تطيل النظر في هذا الفصل او ذاك حتى تستكشف ان ابا العلاء قد عرض لمشكلة من اشد المشكلات الفلسفية خطراً فأمضى فيها رأيه الذي خطر له في اللحظة التي كان يكتب فيها ، وأمضاه مسرعاً لبقاً كأنما يسترقه منك استراقاً او كأنما يسترق طريقه الى نفسك فيلقي فيها هذا الرأي الخطير مسرعاً ، ثم يمضي في طريقه فيستأنف فصلاً من هذه الفصول المألوفة التي يكثر فيها العبث اللفظي والمعاني القريبة .

الانسان الغريب :

ولأضرب لذلك مثلاً هذا الفصل الذي تقرأه فتبتسم وقد تضحك ، ولكنك لا تكاد تمضي في قراءته حتى يأخذك شيء من الدهش يعظم قليلاً قليلاً ، فاذا فرغت من قراءة الفصل وقفت حائراً مبهوتاً ، ثم لا تكاد تفكر حتى ترى انك بإزاء مشكلة من أخطر المشكلات .. فاقرأ هذا الفصل اولاً :

---

(١) الفصول والغايات ، ص ٤ .

« يقدر ربنا ان يجعل الانسان ينظر بقدمه ، ويسمع الاصوات بيده ، وتكون بنانه مجاري دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشمّ الروائح بمنكبه ، ويمشي الى الغرض على هـــامته ، وان يقرن بين النير وسنير ، حتى يُريا كفرسي رهــان ، ويُنزل الوعل الرعل من النيق ، ومجاوره السوذنيق . حتى يُشدّ فيه الغرض ، وتُكرب عليه الارض . وذلك من القدرة يسير . سبحانك ملك الملوك عظيم العظماء[1] » !

أترى الى هذا الانسان الذي صوّره ابو العلاء بخياله هــذا الغريب ، ناظراً بقدميه ماشياً على رأسه سامعاً بيديه باكياً بأصابعه ذائقاً بأذنيه ؟ أترى الى هذين الجبلين قد استقرّ احدهما في الشام والآخر في نجد وقد جمع بينهما في قرن فهما يستبقان ؟ أترى الى الوحش التي ألفت أعالي الجبال وقد تغيّر ألفها فاطمأنت في السهول المنخفضة ؟ أترى على الجملة الى هذه المفارقات التي تكثر في الفصول والغايات كثرة تثير الدهش حقاً ؟ مــاذا أراد بهـــا ابو العلاء ؟ اما ظاهر هــذا الفصل فواضح لا غموض فيه ، فأبو العلاء ينبئنا بأن قدرة الله الشاملة تسَع كل شيء ممكن في رأي العقل ، وان هــذا العالم كما هو ليس إلا صورة ممكنة من صوَر اخرى ممكنة ايضاً ، وان الذي أوجد هذه الصورة الممكنة قادر على ان يوجد غيرها من الصور . وهـــذا كما ترى لون من ألوان التمجيد لله والإشادة بقدرته الشاملة . ولكن أمن الحق ان ابا العلاء لم يقصد إلا هــذا ؟ أمن الحق اننا نستطيع ان نكتفي منه بظاهر القول وهو الذي يقول :

لا تقيّد على لفظي فإني مثلُ غيري تكلّمي بالمجازِ

---

(١) الفصول والغايات ، ص ٣١ .

وهو الذي ينبئنا في غير موضع وفي غير كتاب بأنه يؤثر الرمز ويصطنع الألغاز ولا يكره التحرُّز بالتقيّة . وإذن فماذا أراد بهذا الفصل وأمثاله ؟ وماذا أراد بهذه المفارقات التي بثّها فيما ترك من شعر ونثر ؟

فلسفة ابي العلاء :

اما انا فما أشك في ان ابا العلاء قد قصد بهذا الفصل خاصة الى رأي من أشدّ الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً ، وهو إنكار العلة الغائية وإثبات ان العالم كما هو لم يُخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها نحن ونزعم ان الأشياء قد خُلقت لتحقيقها .

وقد صوّر (بيقور) وصوّر (لوكريس) من بعده هذا الرأي تصويراً قوياً رائعاً ، فليس الحق عند الأبيقوريين ان العين خُلقت ليبصر بها الناس ثم ليحققوا بهذا الإبصار ما تعوّدوا ان يحققوا من أغراضهم ومآربهم ، وليس من الحق ان القدمين قد خُلقتا ليمشي عليهما الناس ، وإنما أبصر الناس بالأعين لأنها وُجدت كذلك ، ومشى الناس على الأقدام لأنها وُجدت كذلك . او قل كما يقول (لوكريس) ان الاعضاء قد اوجدت غاياتها ولم توجد هي لتحقيق هذه الغايات . وإذن فمن الكبرياء المسرفة ان يظن الانسان انه قد اهتدى الى اسرار الكون . ومن الكبرياء المسرفة ايضاً ان يظن الانسان ان يقتصد ويتواضع في حياته العقلية والعملية ايضاً .. في حياته العقلية فلا يزعم انه قد عرف الحقائق كلها واستكشف الاسرار كلها . ولا يزعم ان بارىء هذا الكون قد فكّر كما يفكّر الانسان وقدّر كما يقدّر الانسان . وأنشأ الاشياء لأغراض يسيرة ضئيلة كهذه الاغراض التي يتصوّرها الانسان .

وفي حياته العملية فلا يغلو في إكبار نفسه وفي انتحال ما ينتحل لها

من السلطان على الكائنات . ولا يزعم انه ُخلق ليسود الطبيعة فيجب ان تستذل له الطبيعة كلما اراد لها اذلالاً .

وليس الذي يعنيني ان يكون هذا الرأي الذي يراه الأبيقوريون ملائماً او غير ملائم لأصول الديانات السماوية . وإنما الذي يعنيني هو ان أبا العلاء قد اخذ بهذا الرأي الابيقوري كما اخذ بغيره من آراء ابيقور . فإذا كانت قدرة الله تستطيع ان توجد العالم على غير صورته التي نعرفها ! وأن تضع ملكة الابصار في القدمين وملكة الشم في المنكبين ، وملكة السمع في اليدين ! وملكة الذوق في الأذنين ! وتستطيع ان تجعل سهول الارض وجبالها في غير الاماكن التي قسمت لها . وأن ُتقرّ في السهل ما ألف الجبل . وفي الجبال ما ألف السهل ! فلماذا اختارت قدرة الله هذه الصورة الواقعة دون غيرها من الصور الممكنة ؟

اما ابو العلاء فجوابه يسير لا غبار عليه وهو يوافق الأبيقوريين من ناحية ويخالفهم من ناحية اخرى . وجوابه يسير ، وهو ان لله حكمة لا يفهمها الانسان ولا يستطيع العقل ان يبلغ كنهها .

ايمان ابي العلاء :

وإذن فكل ما يصل الانسان اليه من التحليل والتعليل في قضية العقل .. وكل ما يصل الانسان اليه من الغرور والتسلط على الاحياء والأشياء باطل لا اصل له ! ليس من حق الانسان ان يأكل الشاة لأنها لم تخلق ليأكلها ! ولا ان يشرب اللبن لأنه لم يخلق ليشربه ! ولا ان يختلس ضرب النحل لأن النحل لم تجمع ضربها له وإنما جمعته لأنفسها .
وقصيدة ابي العلاء في « اللزوميات » صريحة واضحة في هذا كله :

غدوت مريض العقل والدين فألقني لتسمع أنباء الأمور الصحائح

فأبو العلاء هنـا موافق ومخالف الأبيقوريين .. يوافقهم في انكار العلة الغائية ، ويخالفهم في اعترافه بحكمة الله هـذه التي لا يفهمها العقل . فالأبيقوريون ، كما هو معروف ، ماديون لا يعترفون بقدرة الإله على شيء من الخلق .

وأبو العلاء ليس مؤمناً بالله كما قلنا غير مرة فحسب ، ولكنه شديد الحرص على تنزيهه .. يبلغ به حرصه على هذا التنزيه ان يشارك المعتزلة في الارتفاع بالله من الصفات فيقول :

« لا اعلم كيف أعبّر عن صفات الله وكلام الناس عاةٌ واصطلاح ؟ وإن فعلت ذلك خشيتُ التشبيه ، وأشركت الضعفة العاجزين مع القوي القادر في بعض المقال ، اذا قلت فعل الاول وفعل النعمان . وهيهات ! ما ابعد بين الفعلين ! لولا اجتهاد الناطق لفضلت السكوت . كيف يوصف بشيء خالق الصفات ؟ »[1] .

ومع انه ينكر الصفات كالمعتزلة وينكرها لنفس الاسباب التي حملت المعتزلة على انكارها وهي خشية التشبيه ، وأن خالق الصفات لا يمكن ان يوصف بها ، فهو يخالف المعتزلة اشد الخلاف في اهم اصل من اصولهم الاولى ، وهو تخليد صاحب الكبيرة في النـار . فأبو العلاء يثبت العفو ويثبته في غير تحفظ ولا اقتصاد . فاسمع له كيف يصور مـا يمكن ان يقترف من الذنوب وما يمكن ان يمحو هذه الذنوب من عفو الله في كلام رائع لا ينقصه من الشعر إلا الوزن .

---

(١) الفصول والغايات ص ٨٨ .

« لا آيس من رحمة الله ، ولو نظمتُ ذنوباً مثل الجبال سوداً كأنهن بنات جمير ، ووضعتهن في عنقي الضعيفة كما يُنظم صغار اللؤلؤ فيما طال من العقود ، ولو سفكت دم الابرار حتى أستنّ فيه كاستنان الحوت في معظم البحر ، وثوباي من النجيع كالشقيقتين ، والتربة منه مثل الضرَبة ، لرجوت المغفرة ان ادركني وقت للتوبة قصير ، ما لم يحُل الغصصُ دون القصص ، والجريضُ دون الغريض ، ولو بنيت بيتاً من الجرائم اسود كبيت الشّعر يلحق بأعنان السماء ويستقلُّ عموده كاستقلال عمود الوضح ، وتمتد اطنابه في السهل والجبل كامتداد حبال الشمس ، لهدمه عفو الله حتى لا يوجد له ظلٌّ من غير لبّاث ! »[1] .

وأين يقع من هذا الجد الرائع هذا الشعر العابث لأبي نواس حين يقول في ظرفه المعروف :

فقلْ لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت امرءً فطناً فانّ حظركهُ بالدين ازراء

البعث :

ولا بدّ من ان اصوّر لك تردُّد ابي العلاء بإزاء البعث في كتاب الفصول والغايات كما تردُّد بآرائه في اللزوميات . فهو في هذا الفصل القصير يقطع بوجود الارواح متعالية عند ربها بعد ان تبلى الاجسام في القبور ، ولكنه لا يعرف أمنعّمة هي ام معـذّبة ؟ فيقول : « الديار خالية ، والاجساد في الحفر بالية ، والارواح عند ربنا متعالية ، لا يُعلم أنعيم هي فيه ام عذاب[2] » ؟

---

(١) الفصول والغايات ص ١٧٩ .
(٢) الفصول والغايات ، ص ٨٠ .

ومن قبل هذا صوّر شكه في البعث تصويراً رائعاً مؤلماً ، فذكر انه يرى الموتى فيما يرى النـائم فيسمع منهم ويتحدث اليهم ، ويكاد يصدّق ما يسمع لولا انه يتهم خواطر الاحلام بالكذب ، وذلك حيث يقول :

« سبحانك مؤبّد الآباد ، هل للمنية نسب الى الرقـاد ؟ لا اتخيّل اذا انتبهت احداً من الاموات ، واذا هجعت لقيني قريب عهد بالمنيـة ، ومن قد فقد منذ أزمان ، أسألهم فيجيبون ، وأحاورهم فيتكلمون ، كأنهم بحبل متعلقون . لو صدق الرقاد لسكنت الى ما يخبر عن سكان القبور ، ولكن الهجعة كثيرة الكذاب[1] » !

وما احب ان ادع البعث دون ان أروي هذا الفصل المؤثر الممتع الذي يذكر فيه اباه فيصلي عليه ، ويهدي اليه التحية ، ويعلن اليأس من لقائه . ولكن لماذا يعلن هذا اليأس ؟ ألأنه يائس من البعث جملة ؟ ام لأنه واثق بأن اباه يستمتع بنعيم الله ومشفق من ان تضطره سيئات اعمـاله الى الجحيم ؟ قال ابو العلاء :

« ادعوك وعملي سيء ليحسن ، وقلبي مظلم لكي ينير ، وقد عدلتُ عن المحجة الى بُنيات الطريق ، وانت العدل ومن عدلك أخاف ! يا مَن سبّح له زرقة الأفق ، وزرقة الماء وحمرة الفجر وحمرة شفق الغروب ! وإن كان الدمع يطفىء غضبك فهَبْ لي عينين كأنهما غمـامتا شتيّ تبلّان الصباح والمساء ، واجعلني في الدنيا منك وجلاً لأفوز في الآخرة بالأمان ، وارزقني في خوفك بِرّ والدي وقد فاد ، برّه اهداء الدعوة له بالغدوّ والآصال ، فأهدِ اللهم له تحية أبقى من عُروة الجدْب ، وأذكى من ورد الربيع ،

(١) الفصول والغايات ، ص ٨٠ .

وأحسن من بوارق الغمام، تسفر لها ظلمة الجدث، ويخضرّ اغبر السفاة، ويأرج ثرى الارض، تحية رجل للـُقيا ليس براج[1] ».

المعارضة الفاشلة:

وبعد، فهل أراد ابو العلاء الى معارضة القرآن في الفصول والغايات كما ظنَّ بعض القدماء؟ نعم ولا. نعم إن فهمنا من المعارضة مجرّد التأثر ومحاولة المحاكاة، إن فهمنا من المعارضة ان ابا العلاء قد نظر الى القرآن على انه مثل أعلى في الفن الادبي، فتأثر به وجدّ في تقليده كما يتأثر كل اديب بما يعجب به من المُثل الفنية العليا.

ذلك شيء لا شك فيه، فأيسر النظر في كتاب « الفصول والغايات » يشعرك بأن ابا العلاء حاول ان يقلـّد قصار السوَر وطوالها. وليس المهم انه وُفّق في هذا التقليد او لم يوفّق، بل المحقق ان التوفيق لم يقدّر له كما لم يقدّر لغيره، بل المحقق انه لم يظفر إلا بمثل سجع الكهان، ولكن المهم ان هذه المحاولة ظاهرة ملموسة في الكتاب، وهي لا تضير الشيخ ولا تلزمه إثماً ولا حوباً.

وأنا لا افهم من المعارضة الاستجابة للتحدّي ومحاولة الإتيان بسورة او سوَر مثل سوَر القرآن. فهذا خاطر مـا احسبه خطر لأبي العلاء، فقد كان أشدّ تواضعاً من ان تبلغ به الكبرياء الى هذا الحدّ، وقد كان أعقل من ان يطاول مـا لا سبيل الى مطاولته، وقد كان أحرص على الاحتياط والتحفظ من ان يعرّض نفسه لمثل هذا الخطر العظيم.

---

(١) الفصول والغايات، ص ٢٥٩.

أرأيت الى كتاب (الفصول والغايات) كيف يشبه اللزوميات من كل ناحية ولا يخالفها إلا من ناحية واحدة ، وهو انه منثور وديوان اللزوميات منظوم ؟ الموضوعات واحدة ، والمذاهب الفلسفية واحدة ، وطريقة عرضها مفرقة مختلطة طريقة واحدة . واضطراب الشيخ فيها وتردُّده بين متناقضاتها هو بعينه الذي نلحظه في الكتابين . والتقيُّد بهذه القيود العسيرة الثقيلة هو بعينه الذي نلحظه في الكتابين ايضاً .

الفصول والغايات لا يناقض اللزوميات في شيء ... وحسبك ان بعضه يناقض بعضاً ، كما ان بعض اللزوميات يناقض بعضاً . ليس بين الكتابين تناقض ، ولكن احدهما متمم للآخر ومفسر لما غمض فيه . واذا كنت آسف لشيء فإنما آسف لأن هذا الكتاب قد ذهب عنا اكثره ولم يبقَ لنا إلا أقله ، ومع ذلك ففي هذا الجزء الذي بقي منه غناء عظيم .

اللزوميات

او

لزوم ما لا يلزم

تاليف

ابي العلاء المعري

- ٣ -

اللزوميات

هناك ظاهرة غريبة في مؤلفات ابي العلاء لحظها القارىء في الفصلين السابقين ، وهي إيثاره الغريب من كلمات اللغة والاستكثار منه ، وقد فسّر بعض العلماء القدامى سبب ذلك برغبته في إظهار مقدرته اللغوية وبراعته في قرض الشعر بهذه الكلمات المعقّدة الغريبة .

وذهبت طائفة الى غير هذا ، قالوا انه فعل هذا حتى يخفي أغراض الكتاب على كثير من الناس ، وهو كما يقول (طه حسين) سبب حبه للرمز والإيماء ، وإيثار الألفاظ الجافية للمعاني الغريبة .

والذي لا شكّ فيه ان الرجل كان يودّ لو عمى امر كتابه على المتشدّدين في الدين حتى لا يتخذوه وسيلة الى هدر دمه ، وقد اعترف ابو العلاء بذلك في المقالة الخامسة ، فقال انه يصطنع الألغاز لإخفاء اغراضه على كثير ممن يتناولون كتابه [١] .

---

(١) طه حسين في (تجديد ذكرى ابي العلاء) .

وأكثر اللزوميات متين اللفظ فخم الاسلوب ، وقليل منه السهل الرقيق ، والاصطلاحات العلمية منبثة فيها بغير حساب ، كما انتشرت الاصطلاحات الفلسفية في الكتـاب كثيراً ، إذ الفلسفة هي المقصودة في تأليف اللزوميات .. وكذلك الامثـال السائرة في اللزوميات كثيرة لا تُحصى .

وأبو العلاء يمتاز عن غيره من شعراء العرب في كونه أحدث فناً في الشعر لم يعرفه السابقون .. وهو الشعر الفلسفي الذي وضعه في كتـابه اللزوميات .. ومَن يقول ان زهيراً وعديّ بن زيد وأبو العتاهية والمتنبي سبقوه الى ذلك ... لا يفرّق بـين مَن يزجّ بعض الحِكَم في شعره ، وبين من يؤلّف كتاباً فلسفياً يخرجه للنـاس شعراً على طريقته واسلوبه ، ويتناول فيه كل المشاكل الفلسفية التي كانت معروفة في عصره .

الهمزة

أولو الفضل في اوطانهم غرباءُ تشِذُّ وتنـأى عنهم القرباءُ
وحسبُ الفتى من ذلـّة العيش انه يروح بأدنى القوتِ وهو حِباء[1]
وما بعد مر الخمس عشرة من صبا ولا بعد مر الاربعين صباء
تواصَل حبلُ النسل ما بين آدم وبيني ولم يوصل بلامي باء [2]

---

(١) بالكسر وبضم .. ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به .

(٢) (لام) الانسان شخصه .. او هو عظم الظهر ويسمى عنـد الاطباء بالعظم اللامي . والباء النكاح يريد ان حبل النسل قد انقطع عنده .. ولم يتصل بينه لأنه لم يقرب امرأة .

وزهّدني في الخلق معرفتي بهم　　وعلمي بأنَّ العالمين هباء
على الوُلد يجني والد ولو انهم　　ولاةٌ على امصارهم خطباء [١]

* * *

تُكرّم اوصال الفتى بعد موته　　وهنّ اذا طال الزمان هباء
وأرواحنا كالراح ان طال حبسها　　فلا بدّ يوماً ان يكون سِباء [٢]
هل الدين إلا كاعب دون وصلها　　حجاب ومهرٌ معوزٌ وحباء
وما قبلت نفسٌ من الخير لفظه　　وإن طال ما فاهت به الخطباء

* * *

أرى فلكاً ما زال بالخلق دائراً　　له خبرٌ عنّا يصان ويخبأ
فلا تطلب الدنيا وإن كنت ناشئاً　　فإني عنها بالأخلّاء اربأ
وما نوب الايام إلا كتائبٌ　　تبث سرايا او جيوش تُعبأ

* * *

بني الدهر مهلاً إن ذممتُ فعالكم　　فإني بنفسي لا محالة أبدأُ
متى يتقضّى الوقت والله قادرٌ　　فنسكنَ في هذا التراب ونهدأ
تَجاور هذا الجسم والروح برهة　　فما برحت تأذي بذاك وتصدأ [٣]

* * *

يأتي على الخلق إصباح وإمساءُ　　وكلنا لصروف الدهر نَسّاءُ [٤]
خسستِ يا أمّنا الدنيا فأفٍّ لنا　　بنو الخسيسة اوباشٌ أخسّاء

---

(١) تفسير هذا البيت : ان الآباء يجنون على اولادهم بإخراجهم الى هـذه الدنيا ، وتوريطهم في مأزق لا قبل لهم باحتماله ولا طاقة لهم على اجتياز اهواله ومصاعبه .
(٢) سباء : حمل الخمرة من بلد الى آخر .
(٣) اي جاورت نفسي جسمي ، فلم تصب منه غير الأذى والصدأ الذي افسد معدنها .
(٤) نساء : كثير النسيان .

وقد نطقتِ بأصناف العظات لنا وأنتِ فيما يظنُّ القوم خرساء
يموج بحركِ والأهواء غالبــةٌ لراكبيه فهل للسُّفن إرساء ؟

* * *

ان مازت الناس اخلاق يُعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسواءُ (١)
او كان كل بني حوّاء يشبهني فبئس ما ولَدت في الخلق حوّاء
بُعدي من الناس برءٌ من سَقامهم وقربهم للحجي والدين ادواء

يقول : أتجنب الناس لأبرأ من ادوائهم وأعتصم من شرورهم .

* * *

قد حُجب النور والضياء وإنمــا ديننا رياءُ
كم وعظ الواعظون منــا وقام في الارض أنبيــاء
فانصرفوا والبــلاء باقٍ ولم يزل داؤك العيــاء
حكم جرى للمليك فينــا ونحن في الأصل أغبياء

* * *

وما لي لا اكون وصيّ نفسي ولا تعصي اموري الأوصياءُ
وقد فتشت عن اصحاب دين لهم نسك وليس لهم رياء
فألفيتُ البهــائمَ لا عقولٌ تقيم لهــا الدليل ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيــال كأنهم لقوم أنبياء
فأمــا هؤلاء فأهل مكرٍ وأما الأولون فأغبياء
نحبُّ العيش بغضاً للمنــايا ونحن بمــا هوينا الأشقياء

---

(١) اسواء : جمع سواء . وماز الشيء : عزله وفرزه.

يموت المرء ليس له صفيٌّ — وقبل اليوم عزّ الأصفياء
أتدري الشمس ان لها بهاء — فتأسف ان يفارقها البهاء

* * *

بعادٌ واقع فمتى التداني — وَبَيْنٌ شاسع فمتى اللقاءُ
ودرعك إن وقتك سهام قوم — فما هي من رَدى يوم وقاء
لقد أفنت عزائمك الدياجي — وأفراد الكواكب ارفقاء (١)

* * *

طال الثواء فهل أنى لمفاصلي — ان تستبدّ بضمّها صحراؤها (٢)
مُلّ المقام فكم اعاشر امة — أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها — فعدوا مصالحها وهم اجراؤها (٣)
فرقاً شعرت بأنها لا تقتني — خيراً وان شرارَها شعراؤها
سبحانَ خالقك الذي قرّت به — غبراء توقّد فوقها خضراؤها
ووجدت دنيانا تشابه طامثاً — لا تستقيم لناكح اقراؤها (٤)
هُويت ولم تسعف وراح غنيُّها — تعباً وفاز براحة فقراؤها (٥)

---

(١) الدياجي : حنادس الليل . وارفقاء : جمع رفيق ، وهو المرافق .

(٢) الثواء : طول المقام . وأنى الشيء : حان وأدرك ، ومعناها ألم يئن لك ؟ استبد فلان بكذا : انفرد به دون غيره . وصحراؤها : مقبرتها هنا .

(٣) اجراء : جمع اجير ، اي من تستعمله عل عملك .

(٤) الطامث : الحائض . اقراؤها : طهرها .

(٥) الاسعاف : المساعدة .

وتجادلت. فقهاؤها من حبهـــا وتقرّأت لتنالهـــا قراؤها [1]
وإذا زجرت النفس عن شغف بها فكأن زجر غوّيها إغراؤها [2]

* * *

جدّ مقيمٌ وخاب ذو سفر كأنه في الهجير حرباءُ [3]
أقضية لا تزال واردة تحـــار في كونها الالباء [4]
قـــام بنو القوم في اماكنهم وغيّبت في التراب آباء [5]
وزال عزّ الامـــير وافترقت احباؤه عنـــه والاحباء

* * *

فُقدت في ايامك العلمـــاء وادلهمّت عليهم الظلماءُ
للمليك المذكـّرات عبيدٌ وكذاك المؤنثات إمـــاء [6]
فالهلالُ المنيفُ والبدر والفر قد والصبح والثرى والمـــاء
والثريا والشمس والنار والنثرة والارض والضحى والسماء [7]
هـــذه الشهب خلتها شبك الدهر لهـــا فوق اهلها إملاء [8]

---

(١) يريد ان الفقهاء والقراء يتجادلون ويقرأون في الدنيا.. لا في خير الدين وصلاحه .
(٢) الزجر : المنع والنهي .
(٣) جد : صار ذا حظ وغنى .
(٤) أي قضاء سبقت به الكلمة .
(٥) بنو القوم الذراري .
(٦) أي لله الذكور والأناث عبيد .
(٧) النثرة نجم من النجوم .
(٨) الملاء : الاحتواء والاشتمال .

ويقال الكرام قولاً ومـــا في العصر إلا الشخوص والاسماء
وأحاديث خبّرتها غواة وافترتهـــا للمكسب القدماء
غلب المــين منذ كان على الخلق وماتت بغيظها الحكماء
حيوانٌ وجامد غـــير نام ونباتٌ له بسقيا نمـــاء (١)
وغضبنا من قول زاعم حق اننـــا في اصولنا لؤماء
والبرايا حازوا ديون منايا سوف تقضي ويحضر الغرماء
فهم الناس كالجهول ومـــا يظفر إلا بالحسرة الفهماء
إن رب الحصين المشيد بينا تولى وخلّفت تـــيماء

* * *

رويدك قد غررت وأنت حرٌ بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرّم فيـــكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمـــد مساء
يقول لكم غدوت بـلا كساء وفي لذاتهـــا رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهـــة اساء

* * *

توحّد فـإن الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء
فأفٍّ لعصريهم نهارٍ وحندسٍ وجنسيْ رجالٍ منهم ونساء

* * *

علموهن الغزل والنسج والردن وخـــلوا كتابة وقراءه
تهتك الستر بالجلوس امام الستر ان غنت القيـــان وراءه

* * *

---

(١) النماء : الزيادة والكثرة .

نرجو الحياة فإن همّت هواجسنا بالخير قــال رجاء النفس إرجاء
وما نُفيق من السكر المحيط بنا إلا اذا قيل هذا الموت قد جاء

* * *

اذا كان علم الناس ليس بدافع ولا نافــع فالخسرُ للعلمــاء
قضى الله فينا بالذي هو كائنٌ فتمّ وضاعت حكمة الحكماء
وهل يأبق الانسـان من ملك ربه فيخرج من ارض له وسماء [1]
وقد بان ان النحس ليس بغافل له عمل في أنجُــمِ الفهماء
أفيقوا أفيقوا يا غواة فانمــا ديانتكم مكر من القدمــاء
ارادوا بها جمع الحطام فأدركوا وبادوا وماتت سنة اللؤمــاء
يقولون إن الدهر قد حان موته ولم يبق في الايام غير ذماء [2]
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه فلا تسمعوا من كاذب الزُّعماء
وكيف اقضّي ساعة بمسرّة واعلم ان الموت من غرمائي
خذوا حذركم من أقربين وجانب ولا تذهلوا عن سيرة الحزماء [3]

* * *

اذا صــاحبت في ايام بؤس فلا تنسَ المودة في الرخــاء
ومن يُعدِم اخوه على غنــاه فــا أدى الحقيقة في الاخــاء
ومن جعل السخاء لأقربيــه فليس بعارفٍ طُرق السخاء

* * *

(١) أبق : هرب واستخفى .
(٢) ذماء : قليل .
(٣) جانب : الاجانب الغرباء .

يرتجي الناس ان يقوم إمامٌ ناطـق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمــام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
فــاذا مــا أطعته جلب الرحمة عنـد المسير والإرساء [1]
انمـــا هذه المذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يُضحي ثِقلاً على الجلساء [2]

* * *

اوصيت نفسي وعن ودّ نصحت لها فما أجابت الى نُصحي وإيصائي
والرمل يشبهُ في اعداده خطأي فمـــا اهمّ له يومـــاً بإحصاء

* * *

القلب كالمـاء والأهواءُ طافيـةٌ عليه مثل حباب المـاء في الماء
والقول كالخَلْق من سيءٍ ومن حسنٍ والنـاسُ كالدهر من نور وظَلماء
يُقـــال إن زماناً يستعيد لهم حتى يبدّل من بؤس بنعماء [3]
ولست احسب هذا كائناً ابداً فابغ الورود لنفس ذات اظماء [4]

* * *

مـا خصّ مصراً وباءٌ وحدها بـل كائن في كلّ ارضٍ وبـأ
أنبـأنا اللبُّ بلقيـا الردي فالغوث من صَحـة ذلك النبأ

---

(١) الارساء والرسو واحد .
(٢) الثقل : ثقيل الدم .
(٣) اشارة الى زمن نزول المهدي .
(٤) الاظماء : جمع ظمأ ، وهو العطش .

هل فارسٌ والروم والترك او   ربيعةٌ او مضرٌ او سبأ
ناجيــــة في عزّ املاكها   أن يظهر الدهر لهـا مـا خبأ

* * *

موتٌ يسيرٌ معه رحمةٌ   خير من اليُسر وطول البقاء
وقد بلونا العيش اطوارَه   فمـا وجدنا فيه غير الشقاء
تقدم النـــاس فياشوقنا   الى اتّباع الاهل والأصدقاء
مـا اطيب الموت لشرّابه   ان صحّ للأموات وشك التقاء

* * *

قد فُقد الصدق وماتَ الهدى   واستُحسن الغدر وقلّ الوفاء
واستشعر العـاقلُ في سُقمه   ان الردى ممـا عناه الشّفاء

- ٤ -

فصل الالف

قضى الله ان الآدميّ معذّبٌ الى ان يقول العالمون به قضى
فهنّي ولاة الميت يوم رحيله أصابوا تراثاً واستراح الذي مضى

* * *

أقيمي لا أعدُّ الحجّ فرضاً على عُجز النساء ولا العذارى
متى آداك خير فافعليه وقولي إن دعاك البرُّ آرى [1]
لعل قران هذا النجم يثني الى امم الهدى امماً حيارى
أتتهم دولة قهرت وعزّت فباتوا في ضلالتها اسارى
وظنوا الطهر متصلاً بقوم وأقسمُ انهم غير الطهارى
وما كريتْ عيون الناس جمعاً ولكن في دجنّتها تكارى [2]
لهم كلٌّ تخالف ما أجنّوا ولكن في دُجُنّتها تمارى [3]

* * *

(١) آداك خير : توفرت لك اسبابه . وآرى : كلمة فارسية بمعنى نعم .
(٢) كريت : نامت . وتكارى : تناوم وتغافل .
(٣) تمارى : الشك والكذب .

اذا قيل لك : اخشَ الله مولاك ، فقل : آرى[1]
وقد اصبحت مع الدنيـــا اداريها كمن دارى

* * *

سرينا وطالبنا هـــاجعٌ وعند الصباح حمدنا السُّرى[2]
بنو آدم يطلبون الثرا ء عنـد الثريا وعنـد الثرى
فهـذا بعين وزاي يروح وذاك يؤوب بضاد ورا[3]
هو الشرُّ قد عمَّ في العـــالمين اهل الوهود وأهل الذُّرا[4]
وقالوا بدا المشتري في الظلام فيا ليت شعري ماذا اشترى
وكم نزل القيل عن منبر فعـاد الى عنصر في الثرا[5]
وأُخرج عن مُلكه عارياً وخلـّف مملكة بالعرا
ونومي موتٌ قريب النشور وموتي نوم طويل الكرى
فهل قــام من جدث ميتٌ فيخبر عن مسمع او مرى[6]
ولو هبَّ صدّقه معشرٌ وقـال أُناس : طغى وافترى
فلا تدنُ من جاهلٍ آهلٍ لو انتزعت خمسه مـا درى
نزول كما زال أجـــدادنا ويبقى الزمان على مـا ترى
نهـــار يضيء وليل يجيء ونجم يغور ونجم يُرى

* * *

(١) آرى : فارسية بمعنى نعم .
(٢) هاجع : نائم في الليل . السرى : سير الليل .
(٣) اي هذا يروح بعز ، وذاك يرجع بضر . والرواح : السير بالعشي .
(٤) الوهود : جمع وهد ، الهوة .
(٥) القيل : الملك .
(٦) مرى : مرأى .

حيـــاةٌ عناءٌ وموتٌ عَنى | فليت بعيدَ حِمــام دنا (١)
يحاول من عاش سترَ القميص | وملءَ الخميص وبُرءَ الضنى
ومن ضمّه جدث لم يُبلْ | على ما أفـاد ولا ما اقتنى
يصير تراباً سواء عليه | مَسٌّ الحرير وطعن القنا
يُهنأ بالخير مَن ناله | وليس الهناءُ على ما هَنا (٢)
أعائبةٌ جسدي روحُه | وما زال يخدم حتى وفى
تغيّر حنـّاؤه شيبه | فهل غيّر الظهر لما انحنى
وسيّان من أمه حرة | حَصانٌ ومن أمه فرتنى (٣)
ولي موردٌ بإناء المنون | ولكن ميقاته ما انى
زمان يخاطب أبنـاءَه | جِهاراً وقد جهلوا ما عَنى
يبدّل باليُسر اعدامه | وتهدم أحداثه ما بنى
لقد فزت ان كنت تعطي الجنان | بمكة ان زرتها او مِنى

---

(١) عنى : قصد ونزل .
(٢) الخير هنا الموت .
(٣) فرتنى : زانية .

- ٥ -

فصل الباء

يدلُّ على فضل الممات وكونه ... اراحةَ جسم انَّ مسلكه صعب
ألم ترَ ان المجـــد تلقاك دونه ... شدائدُ من أمثالها وجبَ الرُعب
اذا افترقت أجزاؤنا حُطَّ ثقلنا ... ونحمل عبئاً حين يلتئم الشعب

* * *

نقمتَ على الدنيا ولا ذنب أسلفتْ ... اليك فأنت الظـالم المتكذّب
وَهبها فتـاةً هل عليها جنـايةٌ ... بِمن هو صبٌّ في هواها مُعذَّب
وقـد زعموا هذي النفوس بواقياً ... تشكـّل في أجسامها وتَهذَّب
ولو كان يبقى الحسُّ في شخص ميّتٍ ... لآ ليت ان الموت في الفم أعذب

* * *

اذا رام كيداً بالصلاة مُقيمها ... فتاركها عمـداً الى الله أقرب
فلا يُمسِ فخّاراً من الفخر عائد ... الى عنصر الفخّار للنفع يُضرب
لعل إناءً منه يصنع مرةً ... فيأكل فيه من أراد ويشرب
ويُحمل من ارض لأخرى وما درى ... فواهاً له بعـد البلى يتغرّب

* * *

اذا كان إكرامي صديقي واجباً فإكرام نفسي لا محالة أوجبُ
وأحلف ما الانسان إلا مذمّم أخو الفقر منا والمليكُ المحجّب
أيعقِل نجمُ الليل او بدرُ تمّه فيصبح من أفعالنا يتعجب

* * *

على الموت يجتاز المعاشر كلّهم مقيمٌ بأهليه ومن يتغرّب
وما الارض إلاّ مثلنا الرّزق تبتغي فتأكل من هـذا الأنام وتشرب
كأن هلالاً لاح للطعن فيهم حناهُ الردى وهو السّنان المجرب

* * *

أتذهبُ دارٌ بالنضار وربُّها يخلّفها عما قليل ويذهبُ
أرى قبساً في الجسم يطفئه الردى وما دمت حياً فهو ذا يتلهب

* * *

يحق لمن يهوى الحياة بكاؤه اذا لاحَ قرنُ الشمس او حين تغربُ
فِشمْ صارماً واركز قناةً فللردى يدٌ هي أولى بالحمام وأدرب

* * *

اذا أقبل الانسان في الدهر صُدّقت أحاديثه عن نفسه وهو كاذبُ
أتوهمني بالمكر انك نافعي وما انت إلا في حبالك جاذب

* * *

لو تعلم الارض ما افعالُ ساكنها لطال منها لما يأتي بـه العجب
وما احتجبت عن الاقوام من نسك وإنما انت للنكراء مُحتجبُ

* * *

مـالي أرى الملك المحجوب يمنعه ان يفعل الخـير مناع وحجّاب
ويعتري النفس انكار ومعرفـةٌ وكل معنى له نفيٌ وايجـــاب
والموت نوم طويل ما له امـد والنوم موت قصير فهو منجاب (١)

* * *

نفوس للقيامة تشرئبُ وغيٌّ في البطالة مستتبُّ
وإن الناس طفلٌ او كبير يشيب على الغواية او يشبّ
تحب حياتك الدنيا سفاها وما جادت عليك بما تحب
وإن طال الرقاد من البرايا فإن الراقدين لهم مهبّ (٢)

* * *

أيجلو الشمس للرائي نهـارٌ وقد شرقت ومشرقها مضبّ (٣)
ولم يدفع ردى سقراط لفظٌ ولا بقراط حامى عنه طب

* * *

أقرّوا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيّ ولا كتاب
ووطء بناتنا حـــلٌّ مباح رويدكم فقـد بطل العتاب
تمـادوا في العتاب ولم يتوبوا ولو سمعوا صليل السيف تابوا

* * *

---

(١) منجاب : زائل .
(٢) مهب : من هب من نومه ، اذا انتبه .
(٣) ذو ضباب .

دنا رجـــل الى عرس لامر وذاك لثالثٍ خلق اكتسابُ
فمـــا زالت تُعاني الثّقل حتى أتاها الوضع واتصل الحساب
تردُّ الى الاصول وكل حي له في الاربع القُدم انتساب (١)

* * *

رغبنا في الحياة لفرط جهـلٍ وفقـدُ حياتنا حظٌ رغيبُ
شهدتُ فلم اشاهد غير نُكر وغيّبني المـــنى فمتى أغيب

* * *

الشر في الجَدّ القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضاربُ
ولسيد الاقوام عنـــد حجابه طبع يقاتله الردي ويُحارب

* * *

علم الامام ولا اقول بظنّه ان الدعاة بسعيها تتكسّبُ
هـذا الهواء يلوح فيه لناظر صور ولكن عن قليل ترسب
والناس جنسٌ ما تميّز واحد كلُّ الجسوم الى التراب تنسّب

* * *

إن عذُبَ المينُ بأفواهكم فإن صدقي بفمي أعذبُ
طلبتُ للعـــالم تهذيبهم والناس ما صفّوا وما هُذّبوا
وأكثروا الدعوى بـلا حجة كلٌ الى حيزه يجـــذب

* * *

---

(١) مراده العناصر الاربعة وهي رأي الاقدمين .

يحسن مرأى لبني آدمٍ	وكلهم في الذوق لا يعذبُ
ما فيهم بِرٌ ولا ناسك	إلا الى نفع له يجذب
أفضلُ من أفضلهم صخرةٌ	لا تظلم الناس ولا تكذب

* * *

أقررت بالجهل وادعى فهمي	قومٌ فأمري وأمرهم عجبُ
والحق اني وانهم هدَرٌ	لست نجيباً ولا هم نُجب[1]

* * *

أبينا سوى غش الصدور وإنما	ينــال ثواب الله أسلمنا قلبا
وأيٌّ بني الأيام يحمد قــائل	ومن جرّب الاقوام أوسعهم ثلبا
كلاب تغاوت او تعاوت لجيفة	وأحسبني أصبحت ألأمها كلبا

* * *

يقولون هلّا تشهد الجمع التي	رجونا بها عفواً من الله او قربا
وهل ليَ خير في الحضور وإنما	أذاحم من أخياركم إبلاً جربا
لعمري لقد شاهدت عجماً كثيرة	وعرباً فلا عجماً حمدت ولا عربا

* * *

لعمرك ما غادرت مطلعَ هضبة	من الفكر إلا وارتقيت هضابها
أقل الذي تجني الغواني تبرّجٌ	يرى العين منها حليها وخضابها
فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها	وحاول رضاها واحذرن غضابها[2]
فكم بكـّرت تسقي الأمرّ حليلها	من النار إذ تسقي الخليل رضابها

* * *

---

(١) الهدر : ما يطل من دم وغيره .
(٢) الكعاب جمع كاعب وهي الجارية الناهد . وصادها : ودارها من المداراة .

اذا ما عراكم حادث فتحدثوا   فإن حديث القوم ينسي المصائبا
وحيدوا عن الأشياء خيفة غيّها   فلم تجعل الأشياء إلا نصائبا
وما زالت الايام وهي غوافل   تسدّد سهماً للمنية صائبا

* * *

الله لا ريب فيه وهو محتجب   بادٍ وكل الى طبع له جذبا
سألتموني فأعيتني إجابتكم   من ادّعى انه دارٍ فقد كذبا

* * *

لا تكذّبن فان فعلت فلا تقل   كذباً على رب السماء تكسّبا
واذا انتسبت فقلت اني واحد   من خلقه فكفى بذاك تنسُّبا
روح اذا رحلت عن الجسم الذي   سكنت به فمآله ان يرسبا

* * *

يا راعي المصر ما سوّمت في دعة   وعرسك الشاة فاحذر جارك الذيبا
تروم تهذيب هذا الخلق من دنس   والله ما شاء للأقوام تهذيبا

* * *

لم يقدر الله تهذيباً لعالمنا   فلا ترومنّ للأقوام تهذيبا
ولا تصدق بما البرهان يبطله   فتستفيد من التصديق تكذيبا
إن عذّب الله قوماً باجترامهمُ   فما يريد لأهل العدل تعذيبا

* * *

أوى اخوك فلم يسكب نوافله وحلّ رزءٌ فظلّ الدمع مسكوبا
أما تبـــالي اذا علّتك غانيةٌ من كوبها الراح إن اصبحت منكوبا[1]

* * *

خلّ الزمان وأهليه لشأنهمُ وعِشْ بدهرك والايام مرتابا
سار الشبابُ فلم نعرف له خبراً ولا رأينـا خيالاً منه منتابا[2]
خطُّ استواءٍ بدا عن نقطة عجبٌ أفنَت خطوطاً وأقلاماً وكتّابا

* * *

اذا تفكّرت فكراً لا يمازجه فساد عقلٍ صحيحٍ هان ما صعبا
فاللبُّ إن صحّ أعطى النفسَ فترتها حتى يموتَ وسمّى جِدّها لعبا
ومـا الغواني الغوادي في ملاعبها إلا خيالات وقتٍ أشبهت لُعبا
زيادة الجسم عنّت جسم حامله الى التراب وزادت حافراً تعبا

* * *

كُتِبَ الشقاءُ على الفتى في عيشه وليبلغنّ قضاءَه المكتوبا
يبغي المعاشرُ في الزمان وصرفه رُتباً كأنّ لهم عليه رتوبا[3]

* * *

(١) علّ فلان فلاناً : اذا سقاه تباعاً . والراح : الخمر .
(٢) انتابهم : أتاهم تباعاً .
(٣) الرتوب : الإقامة .

لا تطيعي هواكِ أيتها النفسُ 		فنعمَ المليك فينـا ربيبه
والزمي النُّسْكَ إن علقتِ وفرّي 		من ذوي الجهل كي تُعَدّي لبيبه

* * *

زاره حتفه فقطّب للمو 		ت وألقى من بعدها التقطيبا [1]
نام في قبره ووسّد يمنا 		ه فخِلْناه قام فينا خطيبا

* * *

إن يقرب الموتُ مني 		فلستُ أكره قُربَه
كلٌ يحاذر حتفاً 		وليس يعدم شُربه
والنّزْعُ فوق فراشٍ 		أشقُّ من ألف ضربه
واللّبُّ حارَب فينا 		طبعاً يكابد حربه
وما أظنُّ المنايا 		تخطو كواكب جربه
فتَشْنَ عن كلّ نفسٍ 		شرق الأنام وغربه
وزُرْنَ عن غير برّ 		عجم الأنام وعربه

* * *

أبدى العتاهيّ نسكاً 		وتاب عن ذكر عتبهِ [2]
والله ينقل من شا 		ءَ رتبة بعد رتبه

* * *

---

(١) قطب بالتشديد : عبس وكلح . والتقطيب : العبوس .
(٢) العتاهي هو ابو العتاهية الشاعر ، كان ماجناً ثم تنسك .

اذا المرء مرت له اربعون فليس بعاتب ان حنبا[1]
وأن يفر خطباً فأهل له وإلا فكم من حسام نبا[2]
ولا عقلَ للدهر فيما ارى فكيف يعاتب ان اذنبا

* * *

صحبت الحياة فطال العنـاء ولا خير في العيش مستصحبا
حبا الشيخ لا طامعاً في النهوض نظير الصبي اذا ما حبا
ولم يحبني أحد نعمةً ولكن مولى الموالي حبا
نصحتك فاعمل له دائبـاً وإن جاء موت فقل مرحبا

* * *

يؤدبك الدهر بالحادثات اذا كان شيخاك ما ادّبا
بدت فتن مثل سود الغمام القت على العالم الهيدبا

* * *

تناهبت العيش النفوس بغرة فان كنت تستطيع النهاب فناهبُ
بقائي في الدنيا عليّ رزية وهل أنا إلا غابر مثل ذاهب
تقادم عمر الدهر حتى كأنما نجوم الليالي شيب هذي الغياهب[3]
تألف غي الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

* * *

(١) انحنى ظهره .
(٢) نبا ينبو : ارتد ولم يمض .
(٣) الغياهب : الليالي .

وجدتك اعطيت الشجاعة حقها   غداة لقيت الموت غير هيوبِ
اذا قُرن الظن المطيب من الفتى   بتجربة جاءا بعلم غيوب
وانك ان اهديت لي عيب واحد   جدير الى غيري بنقل عيوبي

* * *

لقد ترفّع فوق المشتري زحل   فأصبح الشر فينا ظاهر الغلَبِ
وكم طلبت اموراً لست مدركها   تبارك الله من اغراك بالطلب
وما امنت زماني في تصرفه   ان ينقل الملك من مصر الى حلب

* * *

استنبط العرب لفظاً وانبرى نبطٌ   يخاطبونك من افواه أعراب
كلمت باللحن اهل اللحن اونسهم   لأن عيبي عند القوم إعرابي
دنياي لا كنت من ام مخادعة   كم ميسم لك في وجهي واقرابي
كقينة الكأس إذ باتت مطرّبة   بين الندام وليست ذات إطراب
السيف والرمح قد أودى زمانهما   فهل لكفك في عودٍ ومضراب

* * *

الحمد لله ما في الارض وادعة   كل البرية في هم وتعذيب
جاء النبي بحق كي يهذبكم   فهل احسّ لكم طبع بتهذيب
ولو علمتم بداء الذئب من سغب   اذا لساحتم بالشاة للذيب

* * *

هذي الحياة أجاءتنا بمعرفـة الى الطعـام وستر بالجلابيب
ترجو انفساحاً وكم للماء من جهة إذا تخلص من ضيق الانابيب
أما رأيت صروف الدهر غاديةً على القلوب بتبغيض وتحبيب
وكل حيٍّ اذا كانت له أذن لم تخله من وشايات وتخبيب [1]
فاهجر صديقك ان خفت الفساد به ان الهجاء لمبدوء بتشبيب
والكفُ تقطع ان خيف الهلاك بها على الذراع بتقدير وتسبيب

* * *

دنياك تُكنى بـأم دفرٍ لم يكنها الناس ام طيب [2]
فـأذنْ الى هاتف مجيد قـام على غصنه الرطيب
يكون عند اللبيب منـا ابلـغ من واعظٍ خطيب

* * *

إذا كشّفت اجناس البرايا وجدتَ العالمين ذوي عيوب
تحدثك الظنون بمـا تلاقي كأن الظن عـلاّم الغيوب

* * *

بـني لآداب غرتكم قديمـاً زخارف مثل زمزمة الذباب [3]
ومـا شعراؤكم إلا ذئاب تلصّص في المدائح والسباب
اقارضكم ثناء غـير حقٍ كانا منـه في مجرى سباب
أأذهب فيـكم ايام شيبي كما أذهبت ايام الشباب

---

(١) التخبيب : الخداع والغش .
(٢) الدفر : النتن . وأم دفر : اسم الارض .
(٣) الزمزمة : صوت ضعيف .

معـاذ الله قد ودّعت جهلي فحسبي من تمـيم والرّباب [1]
وألقيت الفصاحة عن لساني مسلمة الى العرب اللبـاب [2]
ذروني يفقـد الهذيان لفظي واغلـق للحِـمام عليّ بابي

* * *

جدَثٌ أريح وأستريحُ بلحده خيرٌ من القصر الذي آذى به
ولأشربن من الحِمام كؤوسه مـا بين جامده وبين مذابه
عذبٌ يعذبني البقاء وللردى يومٌ يخلص من فنون عذابه

* * *

كم أمة لعبت بهـا جهالها فتنطست من قبل في تعذيبها [3]
الخوف يلجئهـا الى تصديقها والعقل يحملهـا على تكذيبها
وجبّلة الناس الفساد وقلٌ من يسمو بحكمته الى تهذيبهـا

* * *

قـد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت به
ان كان يصحبها الحجى فلعلهـا تـدري وتفطن للزمان وعتبه
او لا .. فكم هذيان قوم غابر في الكتب ضاع مداده في كتبه [4]

* * *

---

(١) احياء بني ضبه .
(٢) اللباب : الالباء .
(٣) تنطس في الامر : تأنق فيه .
(٤) المداد : الحبر .

سنؤُب في عقبي الحياة مساكناً لا علم لي بالأمر بعد مآبها
لا تأمنن من الدهور تغيراً حتى تكون ظباؤها كذئابها
لا ريب ان الله حق فلنعد باللوم انفسكم على مرتابها
وغدت عقولكم تعاتب أنفسا ليست تريع لنصحها وعتابها

* * *

لا تلبس الدنيا فان لباسها سقم وعَرّ الجسم من أثوابها
فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها
واذا لصوص القوم أعيت والياً ألقى السؤال بها على توابها
في بيته الحكم الذي هو صادق فأتوا بيوت القوم من ابوابها
وتخالف الرؤساء يشهد مقسماً ان المعاشر ما اهتدت لصوابها

* * *

دنياك دار ان يكن شهّادها عقلاءَ لا يبكوا على غيّابها
ما الظافرون بعزّها ويسارها إلا قريبو الحال من خيّابها
ان المنية لم تهب متهيباً فالعجز والتفريط من هيّابها
ومن العجائب ان كلا راغب في (ام دفر) وهو من عيّابها

* * *

قل للمدامة وهي ضدٌ للنهى تنضو لها ابداً سيوف محارب
لو كان لم يحظرك غير أذية شيء لبتّ مباحة للشارب

* * *

ان كؤوس المدام تشبهها السـ يوف والموت في مضاربها
شموسها شمس باطل شرقت فلا يكن فوك من مغاربها
وغلها ان تدبّ في جسدٍ أضرّ للنفس من عقاربها
وكل ما أذهب العقول وان خالفهـا فهو من أقاربهـا
جرّبها عـالم بشيمتها ويذهب اللبّ في تجاربهـا
وقد تقضي الحيـاة راضيةٌ بدون ما نيل من مآربهـا
ان شربت راحها زنت وجنت فلتتق الله في مشاربها

* * *

خِفْ دنيّاً كما تخاف شريفاً صال ليث الشرى بظفر وناب
والصلال التي يخـاف رداها شرّها في الرؤوس والأذناب [1]
لا تدرّع من القضاء فمـا سيـ ف المنايا عن الدروع بناب [2]
كلّ علم الطبيب عن مرض المو ت وقـد ناب فيه كل مناب
نطقت ألسن الحمـام وبالأيـ جاز جاءت وكثرة الأطناب
لا يـكاد الفتى يجهّز إلا عن بديل مكانه مستناب

* * *

أسطرٌ لاب حولهن جهولٌ فهو يرجو هدْياً بأسطرَ لاب [3]
لا تقسني على الذي شاع عني ان دنياك معدن للخلاب

---

(١) الصلال جمع صل : وهو الحية ذات الجرس .

(٢) قوله بناب : أي بمرتد .

(٣) لاب: أي حام ودار، والاسطر لاب : آلة تعرف بها حركات الكواكب وهي مستديرة من نحاس قطرها نحو اصبع وتحتوي على جملة صفائح منقوش عليها شظايا الكواكب ودوائر كثيرة مختلفة وكانت مستعملة عند العرب .

قـد يسمي الفتى الجبان ابوه اسداً وهو من خساس الكلاب
والبرايا لفظ الزمان ولا بـــدّ (م) له من تغير وانقلاب

* * *

أيا جسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيِّبِ
فلا تجزعنّ اذا ما الحمـــام صاح بوفـــد الضنا هيّ بي
تصير طهوراً اذا ما رجعت الى الاصل كالمطر الصيّب

* * *

جاءتك مثل دم الغزال بكأسها مقتولة قتلتك فألـه عن السلب
حلبية في النسبتين لأنهـا حلب الكروم وان موطنها حلب
والعقل أنفس ما حبيت وان يضع يوماً يضع فغوى الشراب وما حلب (١)
والنفس تعلم انهـــا مطلوبة بالحادثات فمـــا تراع من الطلب
وأرى الملوك ذوي المراتب غالبوا أيامهم فانظر بعينك من غلب
سيّان عندي مادح متحرّضٌ في قوله وأخو الهجاء اذا ثلب (٢)

* * *

للرزق اسباب تُسبب والعيش مأمول محبّب
وصبابة الانسان بالد نيا أرتك دماً تصبّب
والموت طب ليس يبر ئه الحكيم وان تطبّب
والصمت يلزمـــه الفتى من بعد ما غنى وشبّب

* * *

(١) يضع على البناء للمجهول من الاضاعة .. والثانية التي هي جواب الشرط من الضعة .
(٢) سيان : أي شبيهان ، أعني سواء عندي الخ . وثلب : سب وعاب .

قدْ كثرت في الارض جهالنا　　والعاقل الحازم فينا غريب
وأن يكن في موتنا راحـة　　فالفرج الوارد منـا قريب

* * *

ضريبك في بني الدنيا كثيرٌ　　وعزّ الله ربك عن ضريب (١)
ومـا العلماء والجهال إلا　　قريب حين ينظر من قريب
متى مـا يأتني اجلي بأرض　　فنـاد على الجنازة للغريب

* * *

ذا وهب الله لي نعمـة　　افدت المساكين ممـا وهبْ
جعلت لهم عشر سقي الغمام　　وأعطيتهم ربع عشر الذهب
وإلا فليس على قـادحٍ　　إذا ما كبا الزند رفع اللهب
ولو أرسلت في المهب الجنوب　　لمـا عجزت عن سلوك المهب

* * *

تنافس قوم على رتبـة　　كأن الزمان يديم الرتب
ودنياك غُرّ بهـا جاهلٌ　　فتبت على كل حال وتب
ولي عمل كجناح الغراب　　او جنحليل اذا ما رتب (٢)
فإن كان يكتبه كاتب　　فقد سوّد الصبح مما كتب

---

(١) مثيل .
(٢) أي اقام .

- ٦ -

فصل التاء

يرى الاحدَ النصريّ عيداً لأهله　　وجمعتنا عيد لنا ولك السبت
وما الناس إلا خالف بعد سالف　　كذلك نبت الارض يخلفه النبت

* * *

ألم ترَ للدنيا وسوء صنيعها　　وليس سوى وجه المهيمن ثابت
مضلّ ودهريّ وغاوٍ وناسك　　وازهر مكبوت واسود كابت

* * *

رأيت جماعات من الناس أولعت　　بإثبات اشياء استحال ثبوتها
فقد اخبرت عن غيّها سنواتها　　كما اخبرت آحادها وسبوتها
وما هي إلا النار توقدُ مرة　　فتذكو وتاراتٍ يحين خبوتها

* * *

واعملتني رجال في مآربها　　كأنني جمل للناس أبريت (١)

(١) ابرى الناقة : جعل في انفها برة ... وهي حلقة من نحاس لتذلل بها .

ناس اذا نسكوا عدواً ملائكةٌ وإن طغوا فهم جنٌ عفاريتُ
بريتُ للأمر لم أعرف حقائقه فليتني من حساب الله برّيت (١)

* * *

أرى الأشياء ليس لها ثباتٌ وما أجسادنا إلا نباتُ
وهل أرواح هذا الخلق إلا عواريٌّ المقادر لا الهبات
وما يدري الفتى والظنُّ جهلٌ وأقضية المليك مغيّبات
لعلّ بناتَ نعشٍ والثريّا وإشراق الرّدى متأهّبات

* * *

سحائبُ مبرقاتٌ مرعداتٌ لمهجة كلّ حيٍّ موعداتُ
ومَن تخلقه ايامٌ طوالٌ فإن شجونه متجدّدات
فما بين المقابر نادباتٌ وما بين الشروب مغرّدات
وفي مُهج الأنيس مثلّثاتٌ على علاتها وموحّدات
فهل علمت بغيبٍ من امورٍ نجومٌ للمغيب معرّدات (٢)
وليست بالقدائم في ضميري لعمرك بل حوادث موجدات
وقد زعموا بأن لها عقولاً وأقضية المليك مؤكدات

* * *

اما المكان فثابتٌ لا ينطوي لكن زمانك ذاهبٌ لا يثبتُ
والمرءُ مثل النار شبّت وانتهت فخبَت وأفلحَ في الحياة المخبت
إن كانت الأحبار تعظم سبتها فأخو البصيرة كلّ يومٍ مسبت

* * *

---

(١) قوله بريت في اول البيت : اي خلقت . وفي آخر البيت بالتشديد : من البراءة .
(٢) معردات النجم بالتشديد : اذا ارتفع .

أترغب في الصيت بين الأنام — وكم خملَ النـــابه الصيِّتُ
وحسْبُ الفتى انه مــائتٌ — وهل يعرف الشرفَ الميِّت

* * *

لا تتبعنَّ الغانياتِ ممــاشياً — ان الغواني جمَّــةٌ تبعاتُها
ذرْها وتلك نصيحةٌ معروفةٌ — عظـُمَتْ منافعها وقلَّ وُعاتها
جُمعَت جسومٌ من غرائز اربعٍ — وتفرّقت من بعـد مجتمعاتها
أوقاتُ عاجلة كأنَّ مضيَّها — ومْض البروق خواطفاً لمعاتها
واذا رجعت الى النهى فذواهب — الايام غير مؤمَّل رَجعاتها
ويخـالف الايام حكمٌ واقعٌ — فيها ومثل سبوتها جمعاتها
تستعذب المهجات ورد بقائها — فتـلذُّه وتغصّها جرعاتها
وتظلُّ حبَّات القلوب زرائعاً — كالارض والشهوات مزدرعاتها
نفسٌ ترّقع امرهـا حتى اذا — أجلٌ تورّد اعجزت رقعاتها

* * *

بنت عن الدنيا ولا بنت لي — فيها عروسٌ ولا اختُ
من وسخٍ صاغَ الفتى ربُّه — فلا يقولنَّ توسَّخت
لو جاء من أهل البلى مخبرٌ — سألت عن قومٍ وأرَّخت
هل فــاز بالجنة عمّالها — وهل ثوى في النار نوبخت(١)

* * *

(١) اسم رجل من عبدَة النار .

أخو الراح ان قال قولاً وجد　　ت أحسن مما يقول الصموتا
ويشرب منها الى أن يقيءَ　　ولا غرو ان قلت حتى يموتا

* * *

الحمد لله قد اصبحت في دعة　　ارضى القليل ولا اهتمُّ بالقوتِ
وشاهد خالقي ان الصلاة له　　أجلّ عندي من درّي وياقوتي
ولا أعاشر اهل العصر إنهم　　إنعوشروا بين محبوب وممقوت

* * *

تكسّب الناس بالأجسام فامتهنوا　　ارواحهم بالرزايا في الصناعات
وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا　　في جذب نفع بنظم او سجاعات

* * *

الروح أرضية في رأي طائفة　　وعند قوم ترقّى في السمواتِ
تمضي على هيئة الشخص الذي سكنت　　فيه الى دار نعمى او شقاوات
فلا تطيعن قوماً ما عقائدهم　　إلا احتيال على اخذ الأتاوات
ان الشرائع ألقت بيننا إحناً　　وأودعتنا أفانين العداوات

* * *

لينُ الثرى للجسوم خيرٌ　　من صحبة العالم الجفاةِ
قد خَفَت القوم فاستراحوا　　آه من الصمت والخفات
لم يبق للظاعنين عينٌ　　تبكي على الأعظم الرفات
أثبت لي خالقاً حكيماً　　ولست من معاشر نفاة

خبطت في حنـــدس مقيم وأعجزت علـّتي ُشفاتي
فمن تراب الى تراب ومن سفاة الى سفاة [1]

* * *

وماذا يبتغي الجلساء عندي ارادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد بيننـــا امد قصيّ فأمّوا سَمتهم وأممت سمتي [2]

* * *

فوارس فتنةٍ أعـــلام غيّ لقينك بالأساور معلمـــاتِ
وشنّفن المسامع قـــائلاتٍ وكلمن القلوب مكلمات [3]
فلا ترمق بعينك رائحاتٍ الى حمّامهنّ مكمّمات
فما حفظ الخريدة مثل بعلٍ تكون بــه من المتحرّمات
وحمل مغــازل النسوان أولى بهـــن من اليراع مقلمات
ليأخذن التلاوة عن عجوزٍ من الـــلائي فغرن مهتمات
ومـــا عيب على الفتيان لحن اذا قلن المراد مترجمـــات
وساوِ لديك اتراب النصارى وعِيناً من يهودَ ومسلمات [4]
فان النـــاس كلهم سواءٌ وإن ذكّت الحروب مضرمات

---

(١) الهباء او ما تسفيه الرياح .

(٢) السمت : الطريق او الجهة .

(٣) كلمن : اي جرحن .

(٤) قوله عيناً (بكسر العين) جمع عيناء ، وهي واسعة العينين مع سوادهما .

وأما الخمر فهي تزيل عقلاً فتحت بـه مغالق مبهمات
فهــذا قول مختبر شفيق ونصح للحيـاة وللممات

* * *

ونفس تمنّت لذيذ الطعام فلما أصابت مناها غثت [1]
وجاثت لدى حاكم خصمَها ومن غير حق لعمري جثت [2]
فلا ترثين لهـا انها لجسمك في ضعفه ما رثت

---

(١) غثت : من الغثيان .

(٢) جاث اليه : أي جعل وجهه الى وجهه ، وجثى : جلس على ركبتيه وأطراف أصابعه.

-٧-

فصل الثاء

أيا جسدي لا تجزعنْ من البلى ... اذا صرت في الغبراء تحثي وتُنبثُ[١]
وان كان هذا الجسم قبل افتراقه ... خبيثاً فإن الفعل شرٌ وأخبث
نهـــار وليل عوقبا انا فيهما ... كأني بخيطيْ باطل أتشبّث
أظن زماني كونه وفساده ... وليداً بترب الارض يلهو ويعبث

* * *

اذا متّ لم احفل بما الله صانع ... الى الارض من جدب وسقي غيوثِ
وما تشعر الغبراء ماذا تجنّه ... أأعظم ضأن ام عظام ليوث

* * *

تقلّ جسومنا أقدام سفر ... مشت في ليل داجية بوعثِ[٢]
وظاهر أمرنا عيش وموت ... ويدأب ناسك لرْجاء بعث

* * *

---

(١) نبث ونبش بمعنى واحد .

(٢) الوعث : الطريق العسرة الوعرة .

لا يرهب الموت من كان امرءاً فطناً		فإن في العيش أرزاءً وأحداثا
وليس يأمن قوم شرّ دهرهم		حتى يحلّوا ببطن الارض أجداثا

* * *

لما ثوت في الارض وهي لطيفة		قدماؤنا أمنت من الاحداثِ
لم يستريحوا من شرور ديارهم		إلا برحلتهم الى الأجداث

* * *

أكرهت ان يدعى وليدك حارثاً		يا حارث بن الحارث بن الحارثِ (١)
تلك الصفات لكل من وطىء الثرى		ما بين موروث وآخر وارث

* * *

أيا ارض فوقك اهل الذنوب		فهل بك من ذاك همٌّ وبثٌ (٢)
وقـــد زعموا النار مبعوثةً		تهذب ممن عليك الخبث
وسيّان ماضٍ قصير المدى		وآخر باق طويل اللبث (٣)

---

(١) الحارث من يجمع المال من كسب وغيره .
(٢) البث : الحزن .
(٣) اللبث : الاقامة والمكث .

- ٨ -

فصل الجيم

لقد جاءنا هـذا الشتاء وتحته فقير معرّى او امير متوّجُ
وقد يُرزق المجدود أقوات أمةٍ ويُحرم قوتاً واحداً وهو أحوج
ولو كانت الدنيا عروساً وجدتها بمـا قتلت ازواجها لا تُزوّج
على سفر هـذا الانام فخلنا لأبعد بـينٍ واقع نتحوج
ولا تعجبن من سالم إن سالماً اخو غمرة في زاخر يتموج
فلا تشهرن سيفاً لتطلب دولة فأفضل ما نلت اليسير المروّج

* * *

اراني قـد نصحت فما لنصحي اذا مـا غار في إذن يمجُّ
فمـا للرمح قرّبـه رجالٌ ينصّل للمنية او يزج [(١)]
هي الدنيا على مـا نحن فيه معاش يمـتري ودم يثج
مضى اهـل الرجاء على سبيل كأنهم العظائم لم يُرجوا

* * *

(١) الزج للرمح بالضم : الحديدة التي بأسفله .

ضللتم فهل من كوكب يهتدى به   فقد طال ما جنّ الظلام وما دجّا
فلا تأمنوا المرء التقيّ على التي   تسوء وإن زار المساجد او حجا
ولا تقبلوا من كاذب متسوّق   تحيّل في نصر المذاهب واحتجا
فـإن لأجسام الانام غرائزاً   اذا حركت للشرّ طالبه لجـا
وبالطائف الراح الكميت سلافة   اذا ما تمشت فيحشا وارع أجا[1]

* * *

وما امنتْ نسوان قوم أعزّةٍ   على عزّها ان تستباح فروجها
وما تمنع الخود الحصان حصونها   ولو ان ابراج السماء بروجها
وما علمت روح بجسمي دخولها   اليه فهل يخفي عليها خروجها

* * *

الروح شيء لطيف ليس يـدركه   عقل ويسكن منجسم الفتى حرجا[2]
قالت معاشر يبقى عنـد جثته   وقال ناس اذا لاقى الردى عرجا
سبحان ربك هل يبقى الرشاد له   وهل يحسّ بمـا يلقي اذا خرجا

* * *

أغنى الانام تقيٌ في ذرى جبل   يرضى القليل ويأبى الوشي والتاجا
وافقر الناس في دنيـــاهم ملك   يضحى الى اللجب الجرار محتاجا[3]

* * *

(١) أجت النار : تلهبت .
(٢) حرج : مكاناً ضيقاً .
(٣) اللجب الجيش العظيم .

كأس المنية أولى بي وأروح لي من ان أكابد إثراء وأحواجا
في كل ارض صروف غير هازلة يلعبن بالناس افراداً وأزواجا[1]

* * *

كأنني راكب اللجّ الذي عصفت رياحه فهو في هول وتمويج
وفي طباعك زيغ والهلال على سموه حلف تقويس وتعويج
فزنْ من الوزن لفظاً حين ترسله وزن من الزين اعطاء بترويج
واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوّف ابنك من نسلٍ وتزويج

* * *

وأشرف مَن ترى في الارض قدراً يعيش الدهر عبدَ فمٍ وفرجِ
وحبُ الأنفس الدنيا غرورٌ أقام الناس في هرْجٍ ومرْج
وما أختار أني الملك يُجبى إليّ المالُ من مَكسٍ ومَخرْج
متى كشّفت أخلاق البرايا تجد ما شئتَ من ظُلمٍ وحرج
فإنْ الأسْدَ تتبعها ذئابٌ وغربانٌ فمن عورٍ وعُرْج

* * *

وجدتُ الناسَ في هَرْجٍ ومَرْجٍ غواةً بين معتزلٍ ومُرْجٍ[2]
فشأن ملوكهم عزفٌ ونزفٌ وأصحاب الامور جُباة خَرْج
وهمْ زعيمهم إنهابُ مالٍ حرامُ النّهْبِ او إحلالُ فرْج

---

(١) هازلة : أي مازحة .

(٢) نسبة الى المرجئة ، وهم جماعة كانوا يقولون بإرجاء عقاب المخطىء ، والمعتزلة فرقة كان لها شأنها في العصر العباسي .

ركوب النعش أسرعُ لابن دهرٍ يريد الخير من قتبٍ وسرْج
أفي الدنيا لحاها الله حقٌ فيطلب في حنادسها بسرْج (١)

* * *

انا للضرورة في الحياة مقارنٌ ما زلتُ أسبح في البحار الُموّج
هـذا ولستُ أودُّ اني قائمٌ بالملك في ثوبٍ أغرّ متوّج

* * *

أتعوج أم ليس المشوق بعائجٍ هاجتْ وساوسه لبرقٍ هائج
سبحان مَن برأ النجوم كأنها درٌ طفا من فوق بحرٍ مائج

* * *

حاليَ حالُ اليائسِ الراجي وإنما أرجع أدراجي (٢)
اذا رأيتُ الخيرَ في رَقدتي عدَدْتُها ليلة معراجي
فالحمد لله على نعمةٍ تعقب من ضنكٍ وإحراج

* * *

أصبح في لحدي على وحدتي لستُ الى الدنيا بمحتاجِ
كشفي رأسي وافتقاري بها خيرٌ من التمليك والتاج

* * *

---

(١) جمع سراج .
(٢) اي إنما ارجع من حيث أتيت .

وصفتك فابتهجت وقلت خيراً لتجزيني فأدركني ابتهاجي
اذا كان التقارض من محالٍ فأحسن من تمادحنا التهاجي

* * *

اذا أثنى عليّ المرءُ يوماً بخيرٍ ليس فيّ فذاك هاجي[1]
وحقي إن أساء بما افتراه فلؤمٌ من غريزتيَ ابتهاجي

* * *

زمانٌ حباك قليل العطاء مـا زال يكثر أخْذ الُمهَجْ
فكم جمرة خمدَتْ فانقضَتْ وكان لها منذ حين وهجْ[2]

---

(١) هاجي : اي يهجوني .
(٢) وهج : لمعان .

- ٩ -

فصل الحاء

أرى هذياناً طال من كلّ أمّةٍ ... يُضمّنه إيجازها وشروحها
وأوصال جسم للتراب مآلها ... ولم يدرِ دارٍ اين تذهب روحها
ولا بدّ يوماً من غدوٍّ مُبغّض ... سنغدوه او من روحة سنروحها

***

اموالنا في تقانا لا رؤوس لها ... فكيف نُؤمل عند الله أرباحُ
يزيد ليلك إظلاماً الى ظلم ... فمــا له آخر الايام إصباح
وسوف نُنسى فنمسي عند عارفنا ... وما لنا في اقاصي الوهم اشباح
ليث النزال ولكن في منازله ... كلب على فضلات الزاد نبّاح

***

أستقبح الظاهر من صاحبي ... ومــا يواري صدره أقبحُ
سُبِبتَ بالكلب فأنكرته ... والكلب خيرٌ منك إذ ينبح

***

الخلق حيتان لجـــة لعبت وفي بحار من الأذى سبحوا
لا تحفلن هجوهم ومدحهم فإنمـــا القوم أكلب نبُحُ
لم يفطنوا للجميل بل جُبلوا على قبيحٍ فمـــا لهم قبحوا
فليتهم كالبهائم اعترفـــوا لجماً اذا بان زيفهم كبحوا

* * *

يا ايها الناس جاز المدح قدركم وقصّرت عن مدى مولاكم المدحُ
اذا استعانوا بأقداح لهـــا قيم على المدامة فالإثم الذي قدحوا

* * *

قد علموا ان سيخطف الشبحُ فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ما حفظوا جارة ولا فعلوا خيراً ولا في مكارم ربحوا
غالوا بأثوابهم فمـــا حسنوا في ذهبيّ اللباس بل قبحوا
لا تغبط القوم في ضلالتهم وإن رُؤُوا في النعيم قد سبحوا

* * *

العلم كالقفل ان ألفيته عَسِراً فخـــله ثم عاوده لينفتحا
وقد يخون رجاءٌ بعد خدمته كالغرب خانت قواه بعد ما متحا

* * *

دعوا وما فيهم زاكٍ ولا احدٌ يخشى الإله فكانوا اكلباً نُبحا
وهل اجل قتيل من رجالهم اذا تؤمل إلا ماعزٌ ذُبحا
وليس عندهم دينٌ ولا نسك فلا تغرك أيدٍ تحمل السُّبَحا
وكم شيوخ غدوا بيضاً مفارقهم يسبّحون وباتوا في الخنا شُبُحا

لو تعلم الارض ودت انها صفرت ... منهم فلم يرَ فيها ناظر شبحا
أرى ابن آدم قضّى عيشة عجباً ... ان لم يرح خاسراً منها فما ربحا
فان قدرت فلا تفعل سوى حسنٍ ... بين الأنام وجانب كل ما قبحا

* * *

قلّمت ظفريَ تارات وما جسدي ... إلا كذاك اذا ما فارق الروحا
ومن تأمل اقوالي رأى جملاً ... يظل فيهن سر الناس مشروحا
قد ادعيتم فقلنا : اين شاهدكم ؟ ... فجاء من بات عند اللب مجروحا
إن صحّ تعذيب رمس من يحل به ... فجنّباني ملحوداً ومضروحا (١)
الوحش والطير أولى ان تنازعني ... فغادراني بظهر الارض مطروحا
يا نفسَ يا طائراً في سجن مالكه ... لتُصبحن بحمد الله مسروحا

* * *

عجبي للطبيب يلحد في الخا ... لق من بعد درسه التشريحا
ولقد علّم المنجّم ما يو ... جب للدين ان يكون صريحا
من نجوم نارية ونجومٍ ... ناسبت تربة وماءً وريحا
فطِنُ الحاضرين من يفهم التع ... ريض حق يظنّه تصريحا
رب روح كطائر القفص المس ... جون ترجو بموتها التسريحا
فرّحوكم بباطل شيمة الخ ... ر فمهلاً لا أوثر التفريحا
كيف لي ان أكون في داري الاخ ... رى معافىً من شقوة مستريحا
عجباً لي أعصى من الجهل عقلي ... ويظلّ السليم عندي جريحا

---

(١) لحد الميت : دفنه ، وضرحه : جعل له ضريحا .

ومن اليمن للفتى ان يجيء الموت يسعى اليه سعياً سريحا
لم يمارس من السقام طويلاً ومضى لم يكابد التبريحا

* * *

هي الراح اهلاً لطول الهجاء وإن خصها معشر بالمِدحْ
فلا تعجبنك عروس المــدام ولا يطربنك مغنٍ صدح
ومن يفتقد لبّــه ساعةً فقد مات فيها بخطب فدح

* * *

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتسمع أنبــاء الامور الصحائحِ
فلا تأكلنْ ما أخرج المــاء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح (١)
ولا تفجعن الطير وهي غوافلٌ بمــا وضعت فالظلم شرّ القبائح
بني زمني هل تعلمون سرائراً علمت .. ولكني بهــا غير بائح
سريتم على غيّ فهلا اهتديتم بمــا خبّرتكم صافيات القرائح
وصاح بكم داعي الضلال فمــا لكم أجبتم على ما خيلت كل صائح
متى ما كشفتم عن حقائق دينكم تكشفتم عن مخزيات الفضائح
ويعجبني دأب الذين ترهّبوا سوى أكلهم كدّ النفوس الشحائح
وأطيب منهم مطعماً في حيــاته سُعاة حلالٍ بين غــادٍ ورائح
وأزهد في مدح الفتى عند صدقه فكيف قبولي كاذبات المدائح

* * *

---

(١) الغريض : الطري ... يريد ان لا يأكل الانسان لحوم الحيوانات او كل ما ذبح ومــا لا يذبح من حيوان البر والبحر .

أمـــا وفؤادٍ بالغرام قريح ودمعٍ بأنواع الهموم سريحِ
لقد غرّتِ الدنيا بنيها بمذقها وإن سمحوا من وُدّها بصريح[1]
وفي كل حين يؤنس القوم آية بشخص قتيل او بشخص جريح
وليس لنا في مدّة العيش راحة فكيف بموْتٍ من أذاك ُمريح
وتعقد سلوان الفتى عنك نفسه بأذيال برْقٍ او ذوائب ريح

* * *

من عاشر الناس لم يعدم نفاقهم فمـا يفوهون من حق بتصريح
فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم وذاك اروح من طول التباريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غِبا واذهب للنكراء والريح

* * *

أهاتفة الأيك خـلّ الاثام ولا تثلبيه ولا تمـدحي
وإن كنت شادية فاصمتي وإن كنت باكية فاصدحي
كدحنا لغانيةٍ حـلوةٍ فكيف نلومك ان تكدحي[2]

* * *

اذا قرع الباب غاوٍ عليك فزده وثاقـــاً ولا تفتح
اخوك امرء يستحيه الصديق وآفته انـــه يستحي
رأيت الفـتى ُيلتحى غصنه فيهلك من قبل ان يلتحي[3]

---

(١) المذق : الكذب .
(٢) كدح : كد وسعى .
(٣) قوله يلتحي غصنه : أي يقشر . ويلتحي الاخرى : يصير له لحية .

وكم بـدأ الحي في حاجةٍ فأعجله قــدر ينتحي [1]

* * *

أرى الخمر تجمح بالشاربين فـلا تُخدعنّ بأقداحها
وليس الزجاج زجاج الخطوب ولكن أسنة ارماحها [2]

* * *

سمعي موقىً سالمٌ فقل الصواب ولا تصحَ
والمرء في تركيبـهِ غضبٌ يهيج اذا نصح

---

(١) ينتحي : يقصد .
(٢) الزجاج بكسر الزاي جمع زج : وهو السهم او نصل الرمح .

- ١٠ -

فصل الخاء

تفرقوا كي يقلّ شركمُ فإنما الناس كلهم وسخُ
أجهل بساداتهم وإن زعموا أنهم في علومهم رسخوا
قد نُسخ الشرع في عصورهمُ فليتهم مثل شرعهم نُسخوا

* * *

تنسكت بعد الاربعين ضرورةُ ولم يبق إلا ان تقوم الصوارخُ
فكيف ترجّى ان تثاب وإنما يرى الناس فضل النسك والمرءُ شارخ

* * *

لا يفقدن خيركم مجالسكم ولا تكونوا كأنكم سبخُ
ولا كقوم حديث يومهم ما أكلوا أمسهم وما طبخوا

- ١١ -

فصل الدال

لعل نجوم الليل تعمل فكرها لتعلم سراً فالعيون شواهدُ
لقد ضلّ هذا الخلق ما كان فيهم ولا كائن حتى القيامة ناقد
فواعجباً نقفوا احاديث كاذبٍ ونترك من جهل بنا ما نشاهد(١)

* * *

ألا إن أخلاق الفتى كزمانه فمنهن بيض في العيون وسودُ
وتأكلنا ايامنا فكأنما تمرُّ بنا الساعات وهي أسود

* * *

ألا إنما الدنيا نحوس لأهلها فما في زمان انت فيه سعودُ
يوصي الفتى عند الحمام كأنه يمرُّ فيقضي حاجة ويعود
وما يئست من رجعة نفس ظاعنٍ مضت ولها عند القضاءِ وعود
تسير بنا الايام وهي حثيثة ونحن قيام فوقها وقعود

* * *

---

(١) قوله نقفو : اي نتبع .

عرفت سجايا الدهر أما شروره فنقدٌ وأما خيره فوعود
اذا كانت الدنيـا كذاك فخلها ولو ان كل الطالعات سعود
ولا يرهبن الموت من ظلّ راكباً فـان انحداراً في التراب صعود
وكم انذرتنا بالسيول صواعقٌ وكم خبّرتنـا بالغمام رعود

* * *

لقد علمنا بأنا في عواقبنا الى الزوال ففيم الضغن والحسدُ
ونحن في عالم صيغت اوائله على الفساد فغيٌّ قولنا فسدوا

* * *

عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا

* * *

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة أي المعاني بأهل الارض مقصودُ
لم تعطنا العلم اخبار يجيءُ بها نقل ولا كوكب في الارض مرصود
وابيضٌ ما اخضرٌ من نبت الزمان بنا وكل زرع اذا مـا هاج محصود

* * *

اما الصحاب فقد مروا وما عادوا وبيننـا بلقاءِ الموت ميعادُ
سرٌ قديم وأمرٌ غير متضح فهل على كشفنا للحـق إسعاد
سيران ضدان من روح ومن جسدِ هذا هبوط وهذا فيـه إصعاد
الملك لله لا تنفكّ في تعبٍ حتى تزايل أرواح وأجساد
ولا يرى حيوان لا يكون له فوق البسيطة أعداءٌ وحسّاد
وما أؤمّل عند الدهر مصلحةٌ وإنما هو إتلاف وإفساد

* * *

إن صحّ لي انني سعيدُ فليتني ضمّني صعيدُ
صمت حيـاتي الى ممـاتي لعلّ يوم الحمـــام عيد
وراعني للحساب ذكر وغرّني انـــه بعيد
وعن يميني وعن شمالي يصحبني حافظ قعيد
حمامة في غصون أيكٍ ناحت فأنشأت أستعيد
وما فقهت المراد منها كل فقيه له معيد
اذا رجونا قضاءَ وعـدٍ فكيف لا يرهب الوعيد

* * *

اذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليدُ
فان خالفتني وأضعت نصحي فأنت وان رزقت حجىً بليد
إلا ان النساء حبـــال غيٍّ بهن يُضيّع الشرف التليد [1]

* * *

زعموا بأن الهَضب سوف يُذيبه قدر ويحدث للبحار جمودُها [2]
وتشاجروا في قبة الفلك التي ما زال يعظم في النفوس عمودها
فيقول ناس : سوف يدركها الردى ويمين قوم لا يجوز همودها
ان فرّقت شُهُب الثريا نكبةٌ فلجذوة المريخ حقّ خمودها

* * *

---

(١) التليد : القديم والاصيل .
(٢) الهضب : أعلى الجبل .

قالوا فلانٌ جيّد لصديقه — لا يكذبوا ما في البرية جيدُ
فأميرهم نال الإمارة بالخنى — وتقيّهم بصلاته متصيد

* * *

الله أكبر ما اشتريتُ بضاعةً — إلا وأدرك سوقَها الأكسادُ
اضحت تظن بيَ الديانة والغنى — والعلم فاهتاجت لها الحسّاد
شغل السعادة عنك اهل ممالكٍ — رزقوا الذي حرم الكرام وسادوا
خمدت خواطر منهم وتكاثفت — أرواحهم فكأنها أجساد
مَن يُؤتَ حظاً يبتهج ويكن له — عزٌ فترهب ضأنه الآساد

* * *

ما سرّني اني إمام زمانه — تُلقى اليّ من الامور مقالدُ
فعلامَ تجتنب الحمام بجهلها — مهجٌ تطاعن في الوغى وتجالد
يرجو الأبُ الطفل الصغير وطالما — هلك الوليد وعاش فينا الوالد

* * *

ما سرٌ غاوينا الجهول وإنما — هتف الحمام به وناح العودُ
كاساته الملأى وعزف قيانه — للحادثات بوارق ورعود
هلكت سعود في القبائل جمةٌ — وأقام في جو السماء سعود
بدرٌ يصوّر ثم يمحق نوره — ويغرّب المريخ ثم يعود

* * *

هل يأمن الحوت من الشهب ان يأخـذه في الكفة الصائد [1]
او حمـل ُنزّه في الجو ان يغتاله بالمـدية الكائد
إن كان للمريخ عقل فما يستر عنه انه بائـد [2]
تقصف بالقـدرة (رضوىٰ) كما يقصف هـذا الغصن المائد
وإن منهاج الردى يستوى فيـه مسود القوم والسائد

* * *

خبرتني امرأ فقـل راشداً من أين هـذا الخبر الشاردُ
عليك بالصدق فـلا حظّ لي في كذب ينظمه السارد

* * *

صاح ما تضحك البروق شماتاً بحمام ولا تبكي الرعودُ
ولجسمي الى التراب هبوط ولروحي الى الهواء صعود
وعلى حالهـا تدوم الليالي فنحوس لمعشر او سعود

* * *

احفظ ضميرك عن خل تجالسه فكم خفيّ خفاه ماكرٌ فبدا
وازجر هواك وحاذر انتطاوعه فإنـه لغوي طالما عبدا

* * *

---

(١) الكفة بضم الكاف : ما يصاد به الظباء .

(٢) بائد : هالك .

ترجو يهودُ المسيح يأتي ... وتأمل الدهر ان يهودا [1]
وكيف ترعى لهم عهودٌ ... من بعد ما ضيعوا العهودا
وكل مـــا عندهم دعاوٍ ... حتى يقيموا بــه الشهودا

* * *

تروم بجهلك لقيا الكرام ... ولست لذي كرم واجدا
وتحسب أن التقيَّ الذي ... تشاهده راكعاً ساجدا
تنبـــه فأنت على غرةٍ ... أخالك مستيقظاً هاجدا

* * *

لقد غادر العيس هذا السواد ... يعاني من الدهر بيضاً وسودا
وتنعكس الحـــال حتى ترى ... ظباء الاراك يخفن الاسودا
ينفـّق فكري عليَّ التقى ... ويأبى له الطبع إلا كسودا
يسود الفتى كارهاً قومــــه ... ويأمره اللبّ ان لا يسودا
فـإن خمولك درع عليك ... وقيت بها عائباً او حسودا

* * *

وما يسبح الانسان في لج غمرةٍ ... من العز إلا بعد خوض الشدائد
وما اعجبتني لابن آدم شيمة ... على كل حال من مسود وسائد
وما كفَّ عقلي ان يؤمل بائداً ... من الأمر اني بائد وابن بائد
تقسّم اطواق المنايا ولم تزل ... تبت سلوكاً من عقود الخرائد

* * *

---

(١) هاد يهود : رجع وتاب . وهاد ايضاً : تهود أي دخل في دين اليهود .

تداعوا فقالوا ناسكٌ وابن ناسكٍ | وما هو إلا ماردٌ وابن ماردِ
أرى كدراً عمّ الموارد كلّها | فمُتْ او تجرعْ من خبيث الموارد
وإن يكُ في الدنيا سعود فإنما | تكون قليلاً كالشذوذ الشوارد

* * *

خوى دنُّ شَربٍ فاستجابوا الى التقى | فعيسهم نحو الطواف خوادي [1]
حوى دينَ قومٍ مالهم فنفوسهم | الى الفتكات المخزيات حوادي [2]
وقامت على اهل الرشاد نوادبٌ | وغصّت بأهل المنديات نوادي [3]

* * *

خدر العروس وإن كانت محبّبةً | أدهى وأفتك من عرّيسة الأسدِ
وشركة الخل فيما هان تفسده | عليك فاتقِ من أخلاقك الفُسد
ما عاش جسمان في الدنيا بواحدةٍ | من النفوس ولا النفسان بالجسد
كم ساد في مدّة الايام من رجلٍ | ثم انقضى فهو مثل المرء لم يَسُد

* * *

ما يحسن المرءُ غير الغش والحسد | وما أخوك سوى الضرغامة الأسد
لا خير في الناس إن ألقوا سيادتهم | اليك طوعاً فخالفهم ولا تسُد
وقد رأينا كثيراً بيننا جسداً | بغير روحٍ فهل روح بلا جسد

* * *

---

(١) الشرب : جمع شارب كركب وراكب . وخوادي : مسرعة .
(٢) حوادي : جمع حادية .
(٣) المنديات : الدواهي . والنوادي : جمع ناد .

نفس قد استودعت جسماً الى أمدٍ فإن تفارق بالمقدار لا تعـدِ
أوعِدْ وعِدْ سوف يأتي بعدنا زمن كأننا فيه لم نوعد ولا نَعد [1]
تصعّد الفكر ثم ارتدّ منحدراً فحار بين هبوط الملك والصعد
لو تسلك الروح في الأجيال عالةً كعلمنـا هدمتها كثرة الرعد

* * *

جاءت أحاديث إن صحّت فإن لها شأناً ولكن فيها ضعف إسنادِ
فشاور العقل واترك غيره هدراً فالعقل خير مشيرٍ ضمّه النادي

* * *

الله يشهد اني جـاهلٌ ورِعٌ فليحضر القوم إقراري وإشهادي [2]
أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كل أعمى لديه من عصا هادي

* * *

لا يعجبن الفـتى بفضل فإنـه مقتضى بوعدِ
يقول جاوزت في المعالي آل سعيدٍ وآل سعد
فليس مثلي وليس فوقي وليس قبلي وليس بعدي
والده خصّه بعدوى من موته والحـام يعدي
فالحمد لله قلّ خيري وصار قربي نظير بعدي
وقد بدا لي من المنـايا بارقة آذنت برعد

* * *

---

(١) أوعد من الوعيد ، ووعد من الوعد .
(٢) قوله ورع بفتح الراء : بمعنى جبان .

اذا دنوتِ لشام او مررت به   فنكّبيه وراء الظهر او حيدي
قـد غيّر الدهر منه بعد مبتهج   وألحد السيف فيه بعد توحيدي

* * *

تعالى الله كم ملك مهيبٍ   تبدّل بعـد قصر ضيق لحدِ
أقرُّ بأن لي رباً قديراً   ولا ألقى بدائعه بجحد
لو أني في عداد الرمل صحبي   لأودعت الثرى وُتركت وحدي

* * *

أما عرف المقيم بأرض مصرٍ   وميض بوارق ودويُّ رعدِ
ورب غمامة نشأت فزالت   وليس ثرى محلتنا بجعد
وما نالت خلافتهـا قريش   وأرغم سعدها إلا بسعد
فزجّ العيش من صفو وكدو   ودع شجنيك من هند ودعد
ولا تجلس الى اهل الدنايا   فان خلائق السفهاء تعدي
فان لهـــذه الدنيا طريقاً   عليه يمرّ من قبلي وبعدي
اذا وعدتك خيراً ماطلتهُ   وهل يرجى لهـا انجاز وعد

* * *

بوحدانية العلّام دِنـّا   فذرني أقطع الايام وحدي[1]
سألت عن الحقائق كل قوم   فمـا ألفيت إلا حرف جحد
سوى اني ازول بغير شك   ففي أيّ البلاد يكون لحدي

* * *

---

(١) قوله دنا .. من دان يدين : أي خضع واعترف .

أما لكم بني الدنيا عقولٌ تصدُّ عن التنافس والتعادي
أذاة من صديق او عدو فبؤس للاصادق والاعادي
ومن يكُ حظه منكم دنوّاً فان أجلّ حظي في البعاد

* * *

أعمياً ليس بينهم بصيرٌ أما لكم الى العلياء هادي
عمرنا الدهر شباناً وشيباً فبؤس للرقاد وللسهاد
اذا اقترنت بجسم الحي روح فتلك وذاك في حالي جهاد

* * *

أما المجاور فارعه وتوقّه واستعف ربك من جوار الملحدِ
ليس الذي جحد المليك وقد بدت آياته باخ لمن لم يجحد
وأرى التوحد في حياتك نعمة فان استطعت بلوغه فتوحد

* * *

لا تبدؤني بالعداوة منكم فمسيحكم عندي نظير محمدِ
أيغيث ضوء الصبح ناظر مدلج أم نحن أجمع في ظلام سرمد (١)
كمُه البصائر لا يبين لها الهدى او مبصر أبداً بعيني ارمد (٢)
من لي بجسم لا يحسّ رزيةً لكن يعد كتربةٍ او جلمد
روح اذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهي في مرض العناءِ المكمد
إن كنت من ريح فيا ريح اسكني أو كنت من لهب فيا لهب اخمد

* * *

---

(١) قوله مدلج : من أدلج يدلج ادلاجاً اذا سار من اول الليل .
(٢) قوله كمه (بضم الكاف) جمع اكمه ، وهو الضرير .

سهد الفتى لمطالب ما نالها وأصابها من بات ليس بساهدِ
فهو الزمان قضى بغير تناصف بين الأنام وضاع جهد الجاهد

* * *

لا تكرموا جسدي اذا ما حلّ بي ريب المنون فلا فضيلة للجسدْ
وأروه من قبل الفساد فانه جسم اذا فقدت حرارته فسد[1]

* * *

أشدُّ خطب يُتقى فراق روح لجسدْ
يذكّر ان سوف يعم (م) أهـل شر وحسد
طوفان نار كائنُ يخرج من قلب الاسد
أصيغة العالم ذا أم طال دهر ففسد

* * *

يلقاك بالماء النمير الفتى وفي ضمير النفس نار تَتقِدْ
يعطيك لفظاً ليناً مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

* * *

رأيت الفتى شبّ حتى انتهى وما زال يفنى الى ان همدْ
كمصباح ليل بدا يستنير ثم تناقص حتى خمد

* * *

---

(١) قوله واروه.. من وَاراه يواريه مواراة : ستره .

تغيبت في منزلي برهةً ستير العيوب فقيد الحسدْ
فلما مضى العمر إلا الاقلَّ وحمّ لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً الى صالحٍ وذاك من القوم رأي فسد [1]
فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الاسد
فلا يعجبنّي هذا النفاق فكم نفّقت محنة ما كسد [2]

---

(١) ذكر انه قال ذلك لما عصي اهل المعرة الامير صالح بن مرداس صاحب حلب . فخرج اليها ونازلها ورماها بالمجانيق . فلما احس اهلها بالغلب سعوا الى ابي العلاء . وسألوه ان يكون شفيعاً لهم عند الامير . فسار اليه يقوده رجل ، فلما نظره الامير أجله وأكرمه ، ثم قال له :
ــ ألك حاجة .

فقال له ابو العلاء : « الامير اطال الله بقاءه كالسيف القاطع لانَ مسه وخشن حده، وكالنهار الساطع قاظ وسطه وطاب برده ، خذ العفو ومر بالعرف واعرض عن الجاهلين » .

فقال له صالح : قد وهبتها لك . ثم ترحل عنها .

(٢) قوله نفقت (بتشديد الفاء) اي : روجت .

- ١٢ -

فصل الزال

لو انك مثل ما ظنوا كريمٌ　　لما فتنتك بنت الكرم هذي
ولا اصبحت فاقد كل عقلٍ　　تباذي في المجالس او تهاذي

* * *

نبـذتم الأديان من خلفكم　　وليس في الحكمة ان تنبذا
لا قـاضي المصر أطعتم ولا　　الحبر ولا القسّ ولا الموبذا

* * *

تفادي نفوس العالمين من الردى　　ولا بدّ للنفس المشيحة من أخذِ
ترى المرءَ جبّار الحياة وإن دَنتْ　　منيّته ألفيته وهو مستخذي [1]

* * *

---

(١) يقال : استخذأ الرجل اذا خضع .

الناس اكثر مما انت ملتمسٌ   إن لم يؤازرك هذا المستعان فذا
وما يريبك من سهمٍ رُميت به   وقد أصابك مرّات فما نفذا

* * *

مَن يبغِ عنديَ نحواً او يُرِدْ لغةً   فما يساعف من هـذا ولا هذي
يكفيك شرّاً من الدنيا ومنقصةً   ان لا يبين لك الهادي ولا الهاذي

* * *

يا لهف نفسي على اني رجعت الى   هذي البلاد ولم أهلك ببغداذا [1]
اذا رأيت اموراً لا توافقني   قلت الإياب الى الأوطان ادّى ذا

(١) بغداد وبغداذ واحد .

- ١٣ -

فصل الراء

لعمري لقد عزَّ المُباحُ عليكمُ ... وهان بجهلٍ ما يُصان ويحظرُ
وفي الحقّ أشباهٌ من الذهب الذي ... نشاهده ثقلٌ ومكثٌ ومنظر

* * *

الدهر كالربع لم يعلمْ بحالته ... هل عند ذي الدار من سكانها خبرُ
وسوف يقدم حتى يستسرّ به ... سنا النهار ويفني شرخه الكبر

* * *

الدهر يخطب اهل اللبّ مذ عقلوا ... ما خاف عيّاً ولا أزرى به الحصرُ
والغيُّ في كلّ شيءٍ ليس يعدمه ... باغيه حتى من الأعناب تعتصر
أمـــا المراد فجمٌ لا يحيط به ... شرحٌ ولكنّ عمر المرء مختصر

* * *

سمّ الهلال اذا عاينتها قمراً ... إن الأهـلّة عن وشك لأقمارُ
هل صحّ قولٌ من الحاكي فنقبله ... أم كلُّ ذاك أباطيلٌ وأسمار
أما العقول فآلت انه كذبٌ ... والعقل غرسٌ له بالصدق أثمار

* * *

هوّن عليك فما الدنيا بدائمةٍ وإنما أنت مثل الناس مغرورُ
ولو تصوّر اهل الدهر صورته لم يمس منهم لبيب وهو مسرور
والخير والشر ممزوجان ما افترقا فكل شهدٍ عليه الصاب مذرور

* * *

تخيّلٌ من بني الدنيا غدا عجباً للمفكرين وكل الناس محسورُ
فناطق يسكن الأمصار من عجم نطق بن بيداء لما يحوه سور
وناظم لعروض الشعر عن عرُضٍ وما يحسّ بأن البيت مكسور

* * *

لهفي على ليلة ويومٍ تألفت منها الشهورُ
وألفيا عنصري زمانٍ ليس لإسراره ظهور
قد اصبح الدين مضمحلاً وغيّرت آيه الدهور
فلا زكاةٌ ولا صيامٌ ولا صلاةٌ ولا طهور

* * *

كأنما الارض شاع فيها من طيب أزهارها بخورُ
ونحن فوق التراب ثقلٌ يكاد من تحتنـــا يفور

* * *

كم سبّحت اربع جوارٍ لهـــا بتسبيحها حبورُ
فمن جنوبٍ ومن شمـــالٍ ومن صباً اختها الدبور
فمجّدوا ربكم الى ان تلفظ أمواتهـــا القبور
فكل مـــا تفعل البرايا إلا تُتقى ربهـــا يبور

والصبر حزمٌ على الرزايا   وقبلنا فُضّل الصبور
وكلّ ذي مسيةٍ سيرمى   بعثرة ما لهـــا جبور
طال وقوفي وراء جسرٍ   وإنما ينظر العبور

* * *

امورٌ تستخفُّ بهـا عقولٌ   وما يدري الفتى لمن الثبورُ
كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى   وإنجيلُ بن مريم والزّبور
نهَتْ أمماً فما قبلتْ وبارتْ   نصيحتها فكلُّ القوم بور
حِمـــامٌ فاتك فهل انتصارٌ   وكسرٌ دائمٌ فمتى الجبور
اصولٌ قـد بُنين على فسادٍ   وتقوى الله سوقٌ لا تبور

* * *

يدعون في جمعـاتهم بسفاهةٍ   لأميرهم فيكاد يبكي المنبرُ
ما قيل في عظم المليك وعزّه   فالله أعظم في القياس وأكبر
جئنا على كرهٍ ونرحل رغمنا   ولعلنا مـــا بين ذلك نجبر
وكأنما دنيــاك رؤيا نائمٍ   بالعكس في عقبي الزمان تعبّر

* * *

عرفتكم بني حواء قدماً   فكلكم اخو ضغنٍ مكورُ
وما فيكم على الإحسان جازٍ   وما فيكم على النعمى شكور

* * *

كيف احتيالك والقضاء مدبّر   تجني الأذى وتقول انـك مجبرُ
ارواحنا معنا وليس لنا بهـا   علم فكيف اذا حوتها الاقبر

ومتى سرى عن اربعين حليفها فالشخص يصغر والحوادث تكبر
زعم الفلاسفة الذين تنطسوا ان المنية كسرها لا يجبر
ولعل دنيانا كرقدة حالمٍ بالعكس مما نحن فيه تعبر
والنفس ليس لها على ما نالها صبر ولكن بالكراهة تصبر

* * *

يا رب عيشة ذي الضلال خسار اطلق اسيرك فالحياة إسارُ
وكأن عمر المرء شقة ظاعنٍ تسري بأنفاس له وتسار
وإذا الفتى لحظ الزمان بعينه هان الشقاء عليه والإعسار

* * *

قدم الزمان وعمره ان قسته فلديه اعمار النسور قصارُ
كم تسمع الناس العظات وكم رأوا غير الجميل فغضت الابصار

* * *

أفطرْ وُصمْ او صُمْ وأفطرْ خائفاً صومُ المنيَّة ما له إفطارُ
ومن الفضيلة للجوامد أنها لا حسٌ يتبعها ولا أوطار
تخذ الغراب على المفارق موقعاً ولقد علمت بأنه سيطار

* * *

الله قطبٌ والامور له رحىً فيه تدبّر كلها وتُدار
والبدر يكمل والمحاق مآله وكذا الأهلّة عقبها الابدار
هذي الشخوص من التراب كوائنٌ فالمرءُ لولا ان يحسّ جدار

أتروم من زمن وفـــاءً مرضياً   ان الزمان كأهله غدّار
تقفون والفلك المسخّر دائرٌ   وتقدرون فتضحك الأقدار

* * *

طرق العــلا مجهولة فكأنها   صمّ العدائد مــا لها اجذارُ
والعقل أنذرنا بمــا هو كائنٌ   في الدهر ثم تشعّب الانذار

* * *

تمشي علينا الحادثات ووطؤها   كسنا البوارق ليس فيه عثارُ
إن كان من قتل المحارب مجبراً   يسطى عليه فأين يُبغى الثار

* * *

آليت ما الحبر المداد بكاذبٍ   بل تكذب العلماء والأحبارُ
زعموا رجالاً كالنخيل جسومهم   ومعـــاشرٌ قاماتهم أشبار
والشخص في الغبراء غبّر فانثنى   وكأنما هو للغبـــار غبار
وتخالف الأهواء هــذا مدّعٍ   فعلاً وذلك دينه الاجبار(١)

* * *

وبدائع الله القــدير كثيرةٌ   فيخور فيها لبّنا ويحـارُ
هذي حروف اللفظ سطر واحد   منها يؤلف للكلام بحـــار

* * *

(١) قوله: هذا مدع فعلا ، اشارة الى المعتزلة القائلين بأن الانسان يخلق افعال نفسه. والذي دينه الاجبار : اشارة الى الجبرية القائلين بأن لا قدرة للانسان اصلا في هذه الحياة ، وإنمـــا هو مجبر على اعماله .

يا ليل قد نام الشجيّ ولم ينم ... جنح الدجنّة نجمها المسهارُ
إن كانت الخضراء روضاً ناضراً ... فلعل زهر نجومها ازهـار
والناس مثل النبت يظهره الحيا ... ويكون اول هلكه الاظهار
ولديّ سرٌّ ليس يمكن ذكره ... يخفى على البصراء وهو نهار
أما الهدى فوجدته ما بيننا ... سرّاً ولكن الضلال جهار

* * *

صار الزمان بهم الى اجداثهم ... وكذا الزمان بأهـله سيار
كن حيث شئت بلجّة او ربوةٍ ... او وهـدة سينالك التيارُ
والارض تقتات الجسوم كانما ... هـذا الحمام لتربها ميار (١)

* * *

يا ظالماً عقد اليدين مصلياً ... من دون ظلمك يعقد الزنّارُ
أتظن انـك للمحاسن كاسب ... وخبيءُ امرك شرة وشنار
ليلٌ بـلا نور أجنّ بمهمهٍ ... حبس الادلة ليس فيه منار
وهي الحياة فعفة او فتنة ... ثم المـمات فجنة او نار

* * *

الدهر عارٍ لا يغادر ملبساً ... فالمجد مندرسٌ بـه والعارُ
وكذاك احكام الزمان وإنما ... ثوب الحياة ومـا يضمّ معار

* * *

---

(١) الميار : الذي يمتار الطعام او الزاد أي يأتي به .

اعمارنا جاءت كآي كتابنا ... منها طوال ُوفـّيت وقصارُ
والنفس في آمالهـا كطريدة ... بين الجوارح مـا لها انصار
اني رقدت فعمت في لجج المنى ... ثم انتبهت فعـادني إقصار
إن كنت صاحب جنة في ربوةٍ ... فتوق ان ينتابهـــا اعصار

* * *

اشدد يديك بمـــا اقو ... ل فقول بعض الناس درُّ
لا تـــدنون من النسا ... ء فـإن غبَّ الاري مر
سل الفؤاد عـــن الحيا ... ة فإنهـــا شر وشر
قد نلت منها مـا كفا ... ك فما ظفرتِ بمـا يسر
وأرى النوائب لا تزال ... كأنها سحب تـــدر
ان تنهزم خيلٌ لهـــا ... فحذار من اخرى تكرُّ
دهمـــاً توافينا السنو ... ن ولم يكن فيهن غر

* * *

إن غاض بحرٌ مدَّةً ... فلطالما غدر الغـــديرُ
فلكٌ يدور بحكمـــةٍ ... وله بلا ريبٍ مدير
إن منْ مالكنا بمـــا ... نهوى فمالكنا قدير
او لا فعـــالم آدمٍ ... بإهـــانة المولى جدير

* * *

العـــالم ابنٌ والدهر والده ... نجلٌ غويٌ ووالدٌ ُغدَرُ (١)
يضمُّنا الجهل في تصرُّفنا ... ما شدَّ منا رهط ولا قدروا

---

(١) الغدر بضم الغين وفتح الدال : الغادر .

نطلب نوؤاً يلوح ساطعه ودون ذاك الظلام والغُدر [1]
في الترب والصخر والثمار وفي الماء نفوسٌ يصوغها القدر
فصادرٌ لا ورود يدركه ووارد لا ينـــاله صدر
إن وطئت هالك الوغى فرسٌ فجسمه بعــد روحه مدر

* * *

أيا سارحاً في الجوّ دنياك معدنٌ يفور بشرٍّ فابغِ في غيرها وكرا
فإن انت لم تملك وشيك فراقها فعفٌّ ولا تنكحْ عواناً ولا بكرا
وألقــاك فيها والداك فلا تضعْ بها ولداً يلقى الشدائد والنكرا
وحاذرْ من الصهباء فهي عدوّةٌ من الصُّهب مشّت في مفاصلك السكرا [2]
اذا صحّ فكرُ المرء فيما ينوبه من الدهر لم يشغل بحادثة فكرا

* * *

اذا آمنَ الانسان بالله فليكنْ لبيباً ولا يخلط بإيمانه كفرا
تمنّيتُ أني بين روضٍ ومنهلٍ مع الوحش لا مصراً أحلُّ ولا كفرا
وربُّك عمّ الوهد بالرزق والرُّبا وأمطر بالموت العمائر والقفرا
غدوتُ مع الأحياء مذ حان مولدي الى اليوم ما ننفك في دأب سفرا
تطول الليــالي والزمان وتنبري حوادث لا تبقي على ظهرها شفرا [3]
ولا ريب في مهوى الرفيــع الى الثرى ولو انه جارى السماكين والغفرا [4]

* * *

---

(١) يقال : غدر الليل يغدر غدراً : اذا ظلم .
(٢) قوله من الصهب : يقال للأعداء صهب السبال وسود الاكباد ، والصهبة : الحمرة .
(٣) شفراً : احداً .
(٤) السماكان : نجمان . والغفر : ثلاثة انجم صغار في صورة الميزان .

لقد اصبحت دنياك من فرط حبّها	ترينـا كثيراً من نوائبها مزرا
تواصلنا رمياً وتوسعنا أذىً	وتقتلنا خَتلاً وتلحظنا شزرا
ولا ريب عند اللّب ان سرورها	قليل وإن أمستْ مصائبها غزرا
وقـد جهّزت للعقل راحاً تغوله	فدعْها ولا تشرب طلاءً ولا مزرا[1]

* * *

اذا وُصلّتْ بالجسم روحٌ فإنها	وجثمانها تصلى الشدائد والضرّا
بدا فرحٌ من معرسٍ أفمـا درى	بما اختار من سوء الفعال وما جرّا ؟
سعى آدم جدُّ البريّة في أذىً	لذرية في ظهره تشبه الذرّا
تلا الناس في النكراء نهج أبيهم	وغُرّ بنوه في الحيـاة كما غُرّا
يقول الغواة الخضر حيٌّ عليهم	عفاءٌ نعم ليلٍ من الفتن اخضرّا
ولو صدقوا ما انفكّ في شرّ حالةٍ	يعاني من الأسفار أشعث مغبرّا
حتى قـائلٌ بالمين يطلب ثروةً	ويُعذر فيه من تكذب مضطرّا
خذا الآن فيما نحن فيه وخلّيا	غداً فهو لم يقدمْ وأمس فقد مرّا

* * *

أرى عالماً يشكو الى الله جهله	وكم من برىّ يعلو فيخطب منبرا
يعيش الفتى ما عاش كالظبي لم يفِدْ	بدنياه إلا ان يعـال ويكبرا
ولم يدرِ لما ان أتاها ولا درى	الى أين يمضي فاستكان مدبرا

* * *

---

(١) المذر او المزر : الجعة ، وهو نبيذ الشعير والذرة .

اذا طلع الشيب الملمُّ فحيِّه ولا ترضَ للعين الشباب المزوّرا
لقد غاب عن فوديك خمسين حجّةً فأهــلاً به لما دنا وتسوّرا

* * *

جوارك هــذا العالم اليوم نكبة عليك وليس البين عنه ميسّرا
سيعلم ذاك المدّعي صحّة الهدى متى كان حق أيّنا كان أخسرا

* * *

إذا ودّك الانسان يوماً لخلّةٍ فغيّرها مرّ الزمــان تنكّرا
ويُشرب ماءُ المزن ما دام صافياً ويزهد فيه وارداً إن تعكّرا
وما زال فقر المرء يأتي على الغنى ونسيانه مستدركاً مــا تذكّرا
شرابك بئس الشيء سرّ وإنمــا أفاد سروراً باطلاً حين اسكرا
وفي الناس مَن أعطى الجميل بديهةً وضنّ بفعل الخير لما تفكّرا
فخف قول مَن لاقاك من غير سالفٍ حميدٍ فأبدى بالنفــاق تشكّرا

* * *

ولو كانت الدنيا من الإنس لم تكن سوى مومس أفنت بما ساء عمرها
تدين لمجدودٍ وإن بات غيره يهزّ لهــا بيض الحروب وسمرها
وما زالت الأقدار تترك ذا النهى عديماً وتعطي منية النفس غُمرها (١)

* * *

---

(١) الغمر : الذي لم يجرب الامور .

وما هـذه الدنيا بأهل وديعةٍ فلا تأتمنها قـد عرفت إمارها
وجنتك الاولى عروسك وافقت رضاك فإن أجنتك فاجنِ ثمارها
متى شربت خمراً فلست بآمن عليها غوياً ان يحل خمارها
وخير النساء الحاميات نفوسها من العار قبل الخيل تحمي ذمارها
أراني غمراً بالأمور ولم ازل اجوب دجاها او اخوض غمارها

* * *

اريد من الدنيا خمود شرورها فتوقد مـا بين الجوانح نارها
تضللني في مهمهٍ بعـد مهمهٍ عدمت بـه انوارها ومنارها
وتظهر لي مقتاً وأضمر حبهـا كأني جهول ما عرفت شنارها (١)

* * *

كم جزت شهراً وكم قضّيت من سنةٍ ومـا أراني إلا جاهلاً غُمرا
والغي كالنجم عرياناً بـلا ستر وللحقوق وجوه ألبست خُمرا (٢)
فـلا يغرنك من قرائنا زمرٌ يتلون في الظلم الفرقان والزمرا
يبدي التدين محتالاً ضمـائره غـير الجميل اذا ما جسمه ضمرا
يوفي على المنبر العـالي خطيبهم وإنمـا يعظ الآساد والنمرا
هم السباع اذا عنّت فرائسها وإن دعوت لخـير حولوا حمرا
وحدثتك رجال عـن اوائلها فاسمع احاديث مينٍ تشبه السمرا

---

(١) الشنار : العار

(٢) الخمر بالضم : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

يخالف الطبع معقولٌ خصصتَ به فاقبل اذا ما نهاك العقل او امرا
ومـــا التقى بأهل ان تسميهُ براً ولو حجّ بيت الله واعتمرا

* * *

يا ساكني الارض كم ركبٍ سألتهم بمـا فعلتم فلم اعرف لكم خبرا
ولن تصيبوا من الدنيا سوى صبر حتى تكونوا على احداثها صُبرا
وحبها وهي مـــذ كانت محببةً اقـــام داود يتلو ليله الزبرا
أما رأيت فقيه المصر أقبلَ من دفن الصديق فلم يوعظ بمن قُبرا

* * *

أما الحياة ففقر لا غنى معـه والموت يفنى فسبحان الذي قدرا
وكم مصائب في الايام فادحـةٌ لولا الحِمام لعُدّت كلهـــا هدر

* * *

الدين هجر الفتى اللذات عن يسرٍ في صحةٍ واقتدارٍ منه ما عمرا
والحـــلم صبر أخي عزٍّ لظالمه حتى يقول أناسٌ ذلّ او قَمرا
ومن عنـــاء الليالي خادمٌ ضَغِنٌ ان يؤمر الامر يفعل غير مـــا أمر

* * *

يغدو الى كسب قيراطٍ اخو عملٍ لو يوزن الإثمُ فيـه كان قنطارا
يبغي التشبُّث بالأوقات جائزها هيهات مـــا الوقت إلا طائر طارا
فازجر خواطر نفسٍ غير محسنةٍ فقـــد تجشّم في دنياك أخطارا
والنـــاس يخزون بالسوآت انفسهم حتى يُقضّوا من الاشياء أوطارا

* * *

ابعدْ من الناس تطرح ثقل ألفتهم ولا تردْ لك اعواناً وأنصارا
ومـا تحاول من قوم اذا صحبوا أذكوا لرغمك أسماعاً وأبصارا
لا مُلكَ لي وأرى الدنيا تحاصرني وما حججت وقد لاقيت احصارا

* * *

أقاتليَ الزمان قتـال عمدٍ لأني قـد قتلت بنيه خبرا
ولم أسفك دمـاءهم ولكن عرفت شؤونهم كشفاً وسبرا (١)
غدوت وريبه فَرَسَيْ رهـانٍ يجيـد نوائباً وأجيد صبرا
توافقنـا على شمٍّ خساسٍ فما بال الجهول يُسرُّ كبرا
كأنا في بحـارٍ من خطوبٍ وليس يرى لها الراؤون عبرا (٢)

* * *

أتفرح بالسرير عميـد ملكٍ بجهلك والحصول على السريرهْ
ولو قرّرت فكرك في المنايا اذاً لبكيتَ بالعين القريره
تودّعنا الحيـاة بمرّ كأسٍ اذا انتقضت من الحيّ المريره

* * *

إن الذي نظم الأنام قضى له بسلوكه النكبات حتى ينثرا
والربُّ لم يزددْ ولا هو ناقص ما قلّ ملك إلهنا فيكثّـرا

* * *

---

(١) السبر : الاختبار .

(٢) العبر بكسر العين : شاطىء البحر .

نبغي التطهّر والقضاءُ جرى لنا   بسواه حتى ما نعاين طاهرا
والناس في ظلم الشكوك تنازعوا   فيها وما لحوا نهاراً باهرا
عِشْ ما بدا لك لن ترى إلا مدىً   يُطوى كعادته ودهراً داهرا
كم قائمٍ بعظاته متفقّهٍ   في الدين يوجد حين يكشف عاهرا
وعلمت قلب المرء يغرق في هوى   دنياه خاب مكاتماً ومجاهرا
ماذا أفدت بأن أطلت تفكّراً   فيها وقد أفنيت ليلك ساهرا
وخمول ذكرك في الحياة سلامةٌ   ودهاك مَن أمسى لذكرك شاهرا
وأخالنا في البحر ليس بسالمٍ   منه الذي ركب الغوارب ماهرا

* * *

مَثَلُ الفتى عند التقرُّب والنوى   مثل الشرارة إن تفارق نارها
إن صادفت ارضاً أرتك خمودها   او وافقت اكلا أرتك منارها
ولبئس نفس المرء نفس حسّنت   فعل القبيح له فنص شنارها
ورهاء مفسدةٍ أهانت عِرْضها   حتى أُصيب وأكرمت دينارها

* * *

إستردّ الحياة منكِ لعمر   الله من كان للحياة معيرا
أترجين من إلهك عفواً   وتخافين في الحساب السعيرا
لعن الحرص كم تحكّرت قوتاً   ثم خلفت بُرّه والشعيرا

* * *

ما لباس التقوى على الناس لكن ثياباً على الخنا مزرورهْ
قد تلاقى الحمام في وضح اليوم نفوس بصبحها مسروره
وترى الحق يستنير فتدري   انها في حياتها مغروره

* * *

أتدري النجوم بما عندنا فتشكو من الأين أسفارها
وهل قام من لحده ميّتٌ يعيب على النفس إخفارها
كأن حياة الفتى ليلةٌ يرجّى اخو اللب إسفارها

* * *

تباركت إن الموت فرض على الفتى ولو انه بعض النجوم التي تسري
ورب امرء كالنسر في العز والعلا هوى بسنانٍ مثل قادمة النسر
وهوّن ما نلقي من البؤس اننا بنو سفر او عابرون على جسر
وما يترك الانسان دنياه راضياً بعزٍ ولكن مستضاماً على قسر
متى ألقَ من بعد المنية أسرتي اخبّرهم اني خلصت من الأسر

* * *

وقد زعموا الافلاك يدركها البلى فإن كان حقاً فالنجاسة كالطهر
وأما الذي لا ريب فيه لعاقلٍ فغدر الليالي بالظلامية الزهر
ولو طار جبريل بقية عمره عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

* * *

تباهوا بأمر صيروه مكاسباً فعاد عليهم بالخسيس من الأمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا اباطيل تضحى مثل هامدة الجمر
أما قاله الكوفيُّ في الزهد مثل ما تغنّى به البصريُّ في صفة الخمر(١)

* * *

---

(١) الكوفي هو ابو العتاهية : والبصري ابو نواس .

لقـد وضعت حواء امك بكرها ... بدار الرزايا من عوان ومن بكر
ولم يتناول درة الحق غائص ... من النـاس إلا بالروّية والفكر
صروف الليالي إن سمحن لماجدٍ ... بذكر جميل عدن يعصفن بالذكر
دع النسل ان النسل عقباه ميتة ... ويهجر طيب الراح خوفاً من السكر
على الذم بتنا مجمعين وحالنـا ... من الرعب حال المجمعين على الشكر

* * *

مغنيةٌ هذي الحمامـة اصبحت ... تغني على ظهر الطريق بلا جذر [1]
لقد اكثرت حتى حسبت مقالهـا ... وإن كان معدوم السقاط من الهذر [2]
تخوفنا من (ام دفرٍ) خديعـةً ... ومكراً فلم تذر الدموع ولم نذر [3]
وإنا لعذريون فيـك من الهوى ... ولسنا بعذريين فيك من العذر

* * *

لقد سكنت نفسي على الكره جسمها ... فألفيتها لا تستقر من النفر
يسمى غوي من يخالف كافراً ... له الويل أي الناس خالٍ من الكفر
حصلنا على التمويه وارتاب بعضنا ... ببعض فعند العين ريب من الشفر
فإن لم تنل وفراً من المال فاستعن ... وفارة عقل فهي ازكى من الوفر

* * *

---

(١) الجذر : اصل اللسان .
(٢) السقاط : الكلام الساقط .
(٣) ام دفر : الدنيا .

عجبت لهذا الشخص يأوي الى الثرى وقد عاش دهراً في الرفاق السوائر
تقلبه الايام في كل وجهــةٍ كتقليب وزن في فلوك الدوائر (١)

* * *

قضاء يوافي من جميع جهاتــه كما هو عـــن ايماننا والأيامر
ولو لم يُرد جوز الـبزاة على القطا مكوّنها مـا صاغها بمنامر (٢)
رأيت سكوتي متجراً فلزمتـــه اذا لم يُفد ربحاً فلست بخامر

* * *

يقول لك العقل الذي بيّن الهدى اذا انت لم تدرأ عدواً فداره
وقبّل يد الجاني الذي لست واصلاً الى قطعها وانظر سقوط جداره
وما الوقت إلا طائرٌ يأخذ المدى فبادره إذ كل النهى في بداره
رأتـك البرايا ظالمـاً يا بن آدم وبئس الفتى من جار عند اقتداره
ويجهل حـتى يسأل الفلك الذي يدور عليه كيف بـدء مداره
يجاور نجم الليل جهلاً كأنــه على طول نأي طامع في انحداره

* * *

لنفسي إن تنأى عن الجسم روعةٌ كروعة انثى أُجليت عن ديارها
فـإن رحلت بالرغم عن مستقرها فما كان سكناها له باختيارها
ففوزوا بنسك في الحيـاة وثبتوا لأقدامكم في الارض قبل انهيارها (٣)

* * *

---

(١) الفلوك : جمع فلك .

(٢) البزاة : الصقور . والمنامر : جمع منسر وهو للجوارح كالمنقار لغير الجوارح .

(٣) سقوطها .

اذا كنت لا تستطيع دفع صغيرةٍ ألمت ولا تستطيع دفع كبير
فسلم الى الله المقادير راضياً ولا تسألن بالأمر غير خبير

* * *

لكل وقت شؤون تستعد له والهم في الورد غير الهم في الصدرِ
والمرء ينكر ما لم تجر عادته بمثله ثم يبغي الحوت في الغُدر
طأً بالحوافر قتلى في مصارعها فالجسم بعد فراق الروح كالمدر
والنفس تطلب اغراضاً ولو علمت بالغيب سيئت بمخبوء من القدر.

* * *

يعلل الحي نفساً غير باقيةٍ حتى يقصّر عنه الليل بالسمرِ
لا يعجبنّك في جنح الدجى قمر فإن عقبي محاق غاية القمر
ولا تروقنك الاغصان مائدةً فإنما تحمد الاشجار بالثمر
عجبت للظبي منسوباً الى اسدٍ وللمهاة التي تعزى الى النمر

* * *

قد باشروك بمكروه أذيت به حتى ترهمت ان ليسوا من البشرِ
خمساً وعشراً اجادوا في قراءتهم ووفروا المال من خمس ومن عشر
وما يحجون من دين ومن نسكٍ وإنما ذاك افراط من الأشر [1]

* * *

(١) الأشر : الكبر والمرح .

امور دنياك سطر خطه قــدرٌ		وحبهــا في السجايا اول السطرِ
وما اصيح بغربان الشباب رِدي		ولا انادي غراب الناس لا تطر
ومــا اميرك يا بن المجــد منتسباً		لكنه بن تراب عنــه منفطر
والاسم لفظ اتاك القائلون بــه		نأيٌ ولم يدنُ للمعنى ولم يطر [١]
كأنما الخير ماء كان وارده		اهل العصور فما أبقوا سوى العكرِ
فإن صديت فلا تشربْ مدامهمُ		فالعقل يرهب منها غائل السكر
ومــا تريك مرائي العين صادقةً		فاجعل لنفسك مرآةً من الفكَر

* * *

قالوا البرية فوضى لا حساب لها		وإنمــا هي مثل النبت والشجرِ
وما أفادوا سوى إحلال نسوتهم		معرّضات لأهل البــاطل الفجر
وإن اعظم من تعظيمهم رجلا		صفراً من الحكَم التعظيم للحجر [٢]
ضلّ الأنام وهــــذا منهج أمَمٌ		يهدي الى الحق فاسلكه ولا تجُر [٣]
خلّ العباد وما اختاروا فملكهم		اذا نظرت كعبد راح مؤتجر
يكفيك ظلٌ نبات تستظلُ به		عن سائل التبر في البنيان والحجر

* * *

ارجع الى السنّ فانظر ما تقادمها		فاحكم عليه ولا تحكم على الشعرِ
فكم ثلاثين حولاً شيّبتْ ومضت		ستون والشيب فيها غير مستعر

---

(١) يقرب .
(٢) قوله صفراً : خلواً .
(٣) قوله منهج أمم : قويم .

تمضي الحياة وما لي إثرها أسفٌ ... وددت ان معير العيش لم يُعِرِ
والموت يسلب ما في الانف من شممٍ ... تحت التراب وما في الخدّ من صعَر
وَلا ألوم أخا الإلحاد بل رجلاً ... يخشى السمير وما ينفكُّ في سُعُر[1]

* * *

جُرْ يا غراب وافسد لن ترى احداً ... إلا مسيئاً وأيّ الخلق لم يَجُرِ
لو كنت حافظ أثمارٍ لهم ينعَتْ ... ثم اقتربت لما أخلوك من حجر

* * *

أكرم عجوزك إن كانت موحدةً ... على التحنّف او كانت بزنّارِ
نادت على الدين في الآفاق طائفة ... يا قوم مَن يشتري دينـاً بدينار
جنوا كبائر آثامٍ وقـد زعموا ... ان الصغائر تجني الخلد في النـار

* * *

تناقض ما لنـا إلا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النـــارِ
يد بخمس مئين عسجد فديت ... مـا بالها قطعت في ربـع دينار

* * *

عصرُ شتاءٍ وعصرُ قيظٍ ... وعيدُ فطرٍ وعيدُ نحرِ
ويوم نُعمى ويوم بؤسٍ ... ونحن في خدعةٍ وسحر
كأننا والزمـــان يجري ... ركب سفينٍ بلجّ بحر

* * *

---

(١) السعر : شبه جنون .

سئمت الكون في مصر وكفر ... ومن لي ان احلّ جنوب قفرِ
أرى الايام انضاءَ البرايا ... عليها منهم اشباح سفر
يسرن بمن حملن الدهر حتى ... ينخن بهم الى ابيات حفر
فما فرع الفتاة اذا توارت ... بمفتقر الى سرح وضفر
يفارقها الفق والدمع جار ... كذاك جرت عوائد ام دفر
سأتركها موفرةً لقوم ... وهل سمحت لمرتحل بوفر
ألا هذا اليقين فخذه مني ... ودع لموهٍ ما بات يفري

* * *

حديث فواجر وشراب خمر ... وقتلى يطرحون لأم عمرو
ومهلك دولة وقيام اخرى ... كذاك الدهر امر بعد امر

* * *

وكيف اروم تقويم الليالي ... وقد بنيت على ختلٍ وختر
أؤمل جنة رحبت وراحت ... وتعجز قدرتي عن نيل فتر

* * *

ألمّا تعجبي من غير سخر ... لقدح الدهر في جبلٍ وصخر
وما كان التجارب من رجال ... سوى مُلك يرام وحب فخر

* * *

توقع بعد هذا الغي رشداً ... فمن بعد الظلام ضياء فجر
فويح النفس من امل بعيد ... لأية غاية في الارض تجري

* * *

بحكمة خالقي طيبي ونشري وليس بمعجز الخلاّق حشري
وقد رفق الذي اوصى أناساً بعشر في الزكاة وربع عشر
وهذا الدهر بشّر بالمنايا فلِمْ فرحت ببشر ام بشرٌ
سطور نحن نكتبها ليال مداها كالمدى غريت بقشر

* * *

اما في الارض من رجل لبيب فيفرق بين إيمان وكفرِ
وجدت أباك مفترياً حديثاً فأنت على مقص الشيخ تفري

* * *

غدت دار الشرور ونحن فيها فمن يهدي الى دار السرورِ
لقد بُدلت حالاً بعد حالٍ فصرت من الغرور الى الغرور
فصبراً ان أمرّ عليك عيش فانك في المقام على المرور

* * *

أرى بشراً عقولهم ضعافٌ أزالوها لتمدم بالخمورِ
أبانوا عن قبائح منكرات فدع ما لا يبين من الأمور
وعاشوا بالخداع فكل قوم تعاشر من ذئاب او نمور

* * *

أصاح كأن هذا الدهر شهر خلقنا منه في ليل السرارِ
فكم عادٍ اباد وكم ثمودٍ اتاها صالح ذات المرار
لجأت الى السكوت من التلاحي كما لجأ الجبان الى الفرار

ويجمع مني الشفتين صمتي | وانجل في المحافل بافتراري
يئست من اكتسب الخير لما | رأيت الخير وُفر للشرار
ولم نحلل بدنيانا اختياراً | ولكن جاء ذاك على اضطرار

* * *

أرانا اللب أنا في ضلالٍ | وأنا موطنون بشر دارِ
يرجى الناس كلهم حظوظاً | وللأقدار فعل باقتدار
ومـا رتباتهم إلا غروب | دوائب في طلوع وانحدار (١)

* * *

جيل فجيل يذهبون وينطوي | خبر ويصبح خامل كمشهّرِ
والمرء يغشاه الأذى من حيث لا | يخشاه فاعجب من صروف الادهر
لا تغبطنّ على الهبات فإنها | زهر يزول مع الزمان الأزهر
ومن الرزية عاهر متوّهم | في الناسكين وناسك في العهّر
ومحاسن الدنيا الانيس وإنما | اشباح سادتهم اهلّة اشهر
وإذا اردتم للبنين كرامةً | فالحزم اجمعُ تركهم في الاظهر

* * *

لا تحمدنّ ولا تذمّن امرءاً | فينا فغير مقصر كمقصرِ
آليتُ لا ينفك جسمي في أذى | حتى يعود الى قديم العنصر
واذا رجعت اليه صارت اعظمي | تربـاً تهافت في طوال الاعصر

---

(١) الغروب : جمع غرب وهو الدلو .

فاحذر ولا تدع الأمور مضاعةً		وانظر بقلب مفكر متبصر
فالنفس إن هي اطلقت عن سجنها		فكأنها في شخصها لم تحصر

* * *

سرٌ سيعلن والحياة مُعارة		ولتقضين بها ديون المعسرِ
آليت لو رزق العديم فطانةً		لنفي الهموم وبات غير محسّر
ولئن يعُد حمامةً خيرٌ له		من ان يضاف الى ذوات المنسر

* * *

سألت منجمها عن الطفل الذي		في المهد كم هو عائش من دهره
فأجابها مئةً ليأخذ درهماً		وأتى الحمام وليدها في شهره
اعدى عدوٍ لابن آدم خلته		ولد يكون خروجه من ظهره
والغمر إن لم تهده شمس الضحى		لم يهده جنح الظلام بزهره
فاضرب يتيمك طالباً تأديبه		ما عدّ ذلك راشد من فهره
والنحس يعتاد البصير ولبه		حتى يقيم عشاءَه في ظهره

* * *

قدم الفتى ومضى بغير تئيةٍ		كهلال اول ليلة من شهرهِ
لقد استراح من الحياة معجّلٌ		لو عاش كابد شدةً في دهره

* * *

الشيب ازهار الشباب فما له		يخفى وحسن الروض بالأزهارِ
ودّ الذي هوي الحسانِ لو اشترى		ظلماءً لمته بألف نهار

إنا لفي وقت الغروب وقد مضى		وقت الضحاءِ وساعة الإظهار

* * *

سبحان ربك هل يزول كغيره		شرف النجوم وسؤدد الأقمار
والشهر مشتهر المكان معرّف		والخير يلمح من وراء خمّار
وقد ادعى من ليس يثبت قوله		عظمَ الجسوم وبسطة الاعمار
أتروم فجراً كالحسام ودونه		نجم أقام تمكن المسمار
تلقى الفتى كالريح إن اودعته		سراً أذيع فصار كالمزمار

* * *

جاءتك لذة ساعة فأخذتها		بالعار لم تحفل سواد العار
وعريت بالكأس الكميت عن التقي		فاعجب لجسمك وهو كأس عاري

* * *

بلغ الفتى هَرَماً فظن زمانه		هَرِماً وذمّ تقادم الأعصار
ورميت بالهمم الطوال وغالها		كرُّ الخطوب فعوضت بقصار
والوحش في الفلوات اجمل عشرةٍ		للمرءِ من اهليه في الأمصار

* * *

ما حُركت قدم ولا بُسطت يدٌ		إلا لها سبب من المقدار
يدري الفتى كم عاش من ايامه		يوماً وما هو كم يعيش بداري
داران اما هذه فمسيئةٌ		جداً ولا خبر لتلك الدار
ما جاء منها وافد متسرع		فنقول للنبأ الجديد بَدار

ولرب اجساد جديرات الثرى　　بالصون عادت في طلاء جدار
جسد توى إن تفترق اجزاؤه　　لم تنأَ عن فلك عليه مُدار

* * *

يا شهب انك في السماء قديمةٌ　　وأشرت للحكماء كل مُشارِ
اخبرت عن موت يكون منجماً　　أفتخبرين بحادث الإنشار

* * *

غلب السفاه فكم تلقّب معشرٌ　　بالمؤمنين وهم من الكفارِ
ومن البليّة ان يسمى صادقاً　　مَن وصفُه الاولى كذوب فاري(١)
حادث كتابك فهو آمن جانباً　　من اهل تسبيد وأهل وفار(٢)
وفوائد الإسفار جمع السّفر في الـ　　دنيا تفوق فوائد الأسفار

* * *

إلزمِ الصمت إن أردتَ نجاةً　　ليس ضحضاح منطقٍ مثل غَمرِ(٣)
لفظة قلتها وإن هي هانت　　جاوزت في الأنام حسوة خمر(٤)
تنفذ الوقت غير جالب نفعٍ　　خائضاً في حديث زيدٍ وعمرو

* * *

---

(١) فار : مفتر .
(٢) الوفار : جمع وفرة ، وهي الضفيرة من الشعر . والتسبيد : حلق الرأس .
(٣) الضحضاح : الماء القليل . والغمر: الماء الكثير .
(٤) قوله حسوة خمر : جرعة .

اختلاف قد عمّنا في اعتقادٍ وصلاةٍ لربنـا وطهورِ
ونساء ممهورة في البرايا وسبايا سيقت بغير مهور
ورأيت الحِمام يأتي على العـا لَم من قـاهرٍ ومن مقهور
أتراهم فيا تقضّى من الايـ ام عدّوا سنيهم بالشهور
كلما لاح للعيون هلال كان حولاً لديهم في الدهور

* * *

ذكرتني عقوبة من إلهي فاستطير الفؤاد للتذكيرِ
فكّري انتِ ربما هُديَ الاذ سان للمشكلات بالتفكير
ما الذي نستفيد في هذه الدنـ يا بطول الرواح والتبكير
كلّنا غادرٌ يميل الى الظلـ وصفو الايام للتعكير
ورجال الأنام مثل الغواني غير فرق التأنيث والتذكير

* * *

فكّروا في الامور يُكشف لكم بعـ ض الذي تبتغون بالتفكيرِ
حرق الهند مَن يموت فما زا روه في روحة ولا تبكير
واستراحوا من ضغطة القبر ميتاً وسؤال لمنكر ونكير
لا ذكور ولا إناث من العـا لَم يهدى للرشد بالتذكير

* * *

إلامَ أجرُّ قيود الحيـاةِ ولا بدّ من فكّ هذا الإسارِ
ودنيايَ إن وهبت باليمين يسار الفتى أخذت باليسار
فتىً يتنادى حنـاني الزمان وما بعـد ذلك إلا انكسار

* * *

تعود الى الارض أجسادنا وتلحق بالعنصر الطاهر
ويقضي بنا فرضه ناسك يُمرُّ اليـدين على الظاهر

* * *

لو عاشت الشمس فينا أُلبست ظُلَماً او حاول البدر فينا حاجة لحُقِر
فلا تقرّ بمجدٍ لامرىءٍ ابداً إن كنت بالله ربّ النيّرات تُقر

* * *

عشْ مجبراً او غير مجبرْ فالخلق مربوب مدبّرْ
والخير يهمس بينهم ويُقام للسوآت منبر
فاخشَ البريّة كلها إني بهـا أدرى وأخبر
لو كنت كالبدر المنير او الغزالة وهي اكبر
لعلمت أني للثرى أُدعى وأني فيه أقبر
لا يفخرنّ الهاشميُّ على امرىءٍ من آل بربر

* * *

تلك أنباءٌ أرتنا عبراً معجباتٍ كأحاديث السمرْ
في حيـاة كخيال طارق شغل الفكر وخلّاك ومرّ

* * *

يا قوم لو كنت اميراً لكم ذممتم في الغيب ذاك الاميرْ
وإنما سائسكم دائبٌ يرعى المطايا ويسوق الحمير
وردتم الآجنَ من دينكم وما ظفرتم بالصريح النمير

* * *

لزينب يحلو جنيٌ أمَرْ وقد علـّقت كفـّها بالقمرْ
فيا أفق من أين تلك النجوم ويا غرس من أين ذاك الثمر
ويا صاح كيف لنـا بالمهات على مـا نهى ربنا او أمر
فهل علم البدر والطالعات وَهْناً بأنباء هـذا السمر(١)
يعود اخوك الى غيّه وإن حجّ من نسكه واعتمر
وخالفك النـاس في مذهبٍ فقلت عليٌ وقالوا عمر
فبتُ ضامراً لطلاب الثناء فما سبق الطرف إلا ضمر

* * *

فيا ليتني في الثرى لا أقوم إن الله ناداكم او حشر
وما سرّني انني في الحياة وإن بان لي شرف وانتشر

* * *

لحى الله قوماً اذا جئتُهم بصدق الأحاديث قالوا كفرْ
وإن غفرت موسعات الذنوب فكلٌ مصائبهم تُغتفر
وروح الفتى اشبهت طائراً أطير فمـا عاد لما نفر
ولست ابالي اذا مـا بليت مَن وطأ القبر او مَن حفر

* * *

وجدت الأنام على خطةٍ نهارهم كالظلام اعتكرْ
وما عند خلك غير النفاق وما خلته ناسياً فادّكر

---

(١) الطالعات وهناً : اي نصف الليل .

أرى سِنةً وهو في حيلةٍ ولم يغفَ حقاً ولكن مكر
تفكر فقد حار هذا الدليل وما يكشف النهجَ غير الفكر
وقد شرب الدهر صفو الأنام فلم يبقَ في الارض غير العكر

* * *

تحفّظ بدينك يا ناسكاً يرى انه رابح ما خسِرْ
ولا تيأسنْ من الملك ان يعود اذا جيش قوم كُسِر
فقـد يرجع القمر المستنير مقتبلاً بعـد ان يستسر
وكم فيك يا بحر من لؤلؤٍ ولكن لجّك لا ينحسر
ولم يجعل التبر حلي الفتاة حق أمين وحق كُسر

- ١٤ -

فصل الزاي

أبيتم سوى مينٍ وخلفٍ وغلظةٍ فليس لوعدٍ في الجميل نجوزُ
وإن الذي تحكون ليس بجائزٍ ولكن سواه في القيـاس يجوز

* * *

اصمت فإن كلام المرءِ يهلكه وإن نطقت فإفصاحٌ وإنجـاز
وإن عجزت عن الخيرات تفعلها فلا يكن دون ترك الشر إعجاز

* * *

أجاز الشافعيُّ فعـال شيءٍ وقال ابو حنيفة لا يجوزُ
فضلُّ الشيب والشبان منـا وما اهتدت الفتاة ولا العجوز

* * *

الناس مختلفون قبل المرءُ لا يجزى على عمل وقبل يجازى
والله حـق من تدبّر امره عرف اليقين وآنس الإعجازا
والطير مثل الإنس تعرف ربها وترى بها الشعراءَ والرجّازا

* * *

عجزتَ عن الكسب الذي يجلب الغنى
وما انتَ عن كسب الدنايا بعاجزَ
ومن لم ينل في القول رتبة شاعر
تقنّع في نظم برتبة راجز

❋ ❋ ❋

أعاذلتي ارتجزت على المنايا
أؤمل ان يشجعني ارتجازي
وكيف اروم منك جميل فعلٍ
اذا ايقنت اني غير جازي
وليس على الحقائق كل قولي
ولكن فيه أصناف المجاز

❋ ❋ ❋

أوجز الدهر في المقال الى ان
جعل الصمت غاية الإيجازِ
وعدتنا الايام كل عجيبٍ
وتلونْ الوعود بالإنجاز
هي مثل الغواني ان تحسن الأو
جه منها فالثقل في الإعجاز
لا تقيد عليَّ لفظي فاني
مثل غيري تكلمي بالمجاز
انما عشرة الأنام نفاق
وتباهٍ في باطل وتجازي

❋ ❋ ❋

أوعز الدهر بالفناء الى النا
س فواهاً لذلك الإيعاز
وتداعوا في آل زيد وعمروٍ
وعزّاهم لتربة الارض عازي
أعرِضوا عن مدائحٍ وتهانٍ
فالمراثي اولى بكم والتعازي

- ١٥ -

فصل السين

تداولني صبح ومسيٌ وحندس ... ومرّ عليّ اليوم والغد والأمس (١)
لعمري قد جاوزت خمسين حجة ... وحسبي عَشر في الشدائد او خمس
يضيء نهـــار ثم يخدر مظلم ... ويطلع بـــدر ثم تعقبه شمسُ
وأجهر حيناً ثم أهمس تارةً ... وسيان عند الواحد الجهر والهمس

* * *

لو اني كلب لاعترتني حميـــةٌ ... لجروي ان يلقى كما لقي الانسُ
ارى الحي جنساً ظل يشمل عالمي ... بأنواعـه لا بورك النوع والجنس

* * *

تمازج بالعرب الأعاجم والتقى ... على الغدر انواع تذمّ وأجناسُ
أناس كقوم ذاهبين وجوههم ... ولكنهم في باطن الامر نسناس

* * *

---

(١) مسي : المساء .

ويعبس وجه الدهر والمرءُ ضاحك ويضحك هزءاً والوجوه عوابسُ
برود المخازي لابن آدم حلّة لعمري لقد أعيّت عليه الملابس

* * *

تراقب ضوء الفجر والليل دامسٌ وما يستر الانسان إلا الروامسُ
تكلّم هذا الدهر بالنصح معلناً جهاراً بما أخفته عنا الهوامس
وإنا رأينا الملك يخلق ثوبه وتخبرنا عنه الديار الطوامس

* * *

ينشر في الدنيا الحديث وينطوي وتفرس آساد العرين وتُفرس
وقد يعظ الانسان عيٌ من الدجى وينذره داعٍ من الصبح أخرس
وما حرصه في العلم يدرس كتبه وقد شاهد الآثار تُمحى وتُدرس
ألم ترَ اشجاراً تحرّق عهدها قديم واخرى للشبيبة تغرس
ونومك في الصحراء أروح من حمىً يُشاد وأموال تُصان وتُحرَس

* * *

جاؤوا بدعوى فلما حصّلت وجدت مثل الهباء وقيل الامر ملتبسُ
والقوم شرٌ فلا يسررك إن بسطوا لك الوجوه ولا يحزنك إن عبسوا

* * *

دنياك دار شرور لا سرور بها وليس يدري أخوها كيف يحترسُ
بيناً امرؤ يتوقى الذئب عن عرض أتاه ليثٌ على العلاّت يفترس
ألا ترى هرميْ مصر وإن شخصا كلاهما بيقينٍ سوف يندرس

قد يخطىء الموت ملقى في تنوفته ... ويهلك المرءُ في قصر له حرس
ظنّ الحياة عروساً خُلقها حسنٌ ... وإنما هي غول خُلقها شرس

* * *

تراب غيّرت منه سماتٌ ... فطيرٌ في مواكنها وناسُ
تجانست البرايا في معانٍ ... ولم يجلب مودّتها الجناس

* * *

جنت الغوارس واستقلّ اخو الغنى ... وسعى المؤمّل واستراح اليائس
واذا رجعت الى الحقائق لم يكن ... في العالم البشريّ إلا بائس

* * *

يا رب اخرجني الى دار الرضى ... عجلاً فهذا عالم منكوسُ
ظلوا كدائرة تحوّل بعضها ... من بعضها فجميعها معكوس
وأرى ملوكاً لا تحوط رعيةً ... فعلامَ تؤخذ جزية ومكوس

* * *

اذا الحي أُلبس أكفانه ... فقد فُني اللبس واللابسُ
ويبلى المحيا فلا ضاحك ... اذا سرّ دهر ولا عابس
يجاور قوماً أجادوا العظات ... وما فيهم احد نابس

* * *

كم ادعى الطهر ناس ثم كشفهم ... مرّ الزمان فكان القوم أرجاسا
يطهّر الجسدُ المغرور صاحبه ... وإنما صيغ أقذاراً وأنجاسا

* * *

يسوسون الأمور بغير عقلٍ فينفذ أمرهم ويُقال ساسهْ
فأفٍّ من الحيـاة وأفٍّ منها ومن زمن رئاسته خساسه

* * *

نُرجّي إياباً من غد وهو آيبٌ وكان صواباً لو بكينا على أمسِ
وما زال هذا الجسم مذ فارق الثرى على تعب حتى أعيد الى الرمس

* * *

اذا حضرت عندي الجماعة أوحشت فمـا وحدتي إلا صحيفة إيناسي
طهارة مثلي في التبـاعد عنكم وقربكم يجني همومي وأدناسي
وأعجب مني كيف أخطىء دائماً على انني من أعرف الناس بالناس

* * *

تصدّق على الطير الغوادي بشربةٍ من الماء واعددْها أحق من الانس
فمـا جنسها جانٍ عليك أذيةً بحال اذا ما خفت من ذلك الجنس

* * *

شباب وشيب كالنبات كثيرة فمن بين رطب يستباح ويابس
ويبدي لدنياه الفتى وجه ضاحك وما فتئت تبدي له وجه عابس

* * *

عداوة الحمق أعفى من صداقتهم فابعد من الناس تأمن شِرّة الناس
والشر طبع وقـد بثّت غريزته مقسومة بين أنواع وأجنـاس
تصعّد الجوهر الصافي وخلّفنا في الارض كثرة أوساخ وأدناس

* * *

هي الدار ما خالت لعمري عهودها ... ولا افتقدت من زيّها غير ناسها
فكم حلهـا من ضيغم في عرينه ... وكم سكنتها ظبية في كناسها

* * *

شر أشجار علمت بها ... شجرات أنبتت ناسا
تعب ما نحن فيه وهل ... يجلب الإيحاش إيناسا

* * *

سمّتك امك ديناراً وقد كذبت ... لو كنته لم تكن حمّال أدناسِ
ممزّجاً من دنايا خالطت وسخاً ... مقسّماً بين انواعٍ وأجناسِ

* * *

لله لطفٌ خفيٌّ في بريّته ... أعيى دواءُ المنـايا كلَّ نطيسِ
ما بال أشباح قومٍ في الثرى جُعلت ... لم تبق إلا حديثاً في القراطيس

* * *

ومهما كان في دنياك امر ... فلا تخليك من قمرٍ وشمسِ
وآخرها بأولها شبيهٌ ... وتصبح في عجائبها وتمسي
قدوم أصاغرٍ ورحيل شيبٍ ... وهجرة منزلٍ وحلول رمس

* * *

أهوى الحياة وحسبي من معائبها ... أني أعيش بتمويهٍ وتدليسِ
نطالب الدهر بالأحرار وهو لنا ... مبين عذرين : إفلاسٌ وتفليس
فاكتم حديثك لا يشعر به احدٌ ... من رهط جبريل او من رهط إبليس

* * *

نبغي الطهارة في الحياة وإنما أجسادنا جمل من الادناسِ
إن صحَّ عقلك فالتفرُّد نعمة ونوى الأوانس غاية الإيناس

* * *

وكيف أروم في أدبٍ وفهمٍ دراساً والمآل هو اندراسي
كأنـّا في السفائن عائماتٍ وعند الموت ألقيَت المراسي
تخلف بعـدنا جبلٌ ونجمٌ فأزهر شائم وأشَمُّ راسي

* * *

يهـاجر غابه الضرغام كيما ينازع ظبي رملٍ في كناسِ
سجايا كلـُّها غدرٌ وخُبْثٌ توارثها أناسٌ عن أناس

* * *

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ ومـا بها أظلم من ناسها

* * *

وأشهد انني غـــاوٍ جهولٌ وإن بالغت في بحث ودرسِ
كأن الشدو في الأعراس نوحٌ وأصوات النوادب لهو عرس

- ١٦ -

فصل الضاد

لا أسأل المرء قرضاً من شهادته ولا أروح على شيبي بمقراض
اذا غدوت ببطن الارض مضطجعاً فثَمّ أفقد اوصابي وأمراضي
وإن جعلت بحكم الله في خزفٍ يقضي الطهور فاني شاكر راضي
جواهر الفتها قدرة عجبٌ وزايلتها فصارت مثل اعراض

* * *

اما والله لو اني تقيٌّ لما آخيت مثلك وهو قاضي
ولكن بتُّ شراً منك فعلاً فأغنيت الوداد عن التقاضي
فلا تنقض حبال العهد مني فما تخشى لدي من انتقاضي

* * *

قد تجمعنا على غير هدى وتفرقنا على غير تراضي
واستعارت صحة اجسامنا واستعانت بمودات مراض
وتقارضنا شهادات التقى ثم صرنا لزوال وانقراض

* * *

يداوي المريض لكيما يصح   وهل صحة الجسم إلا مرض
وكم ملك شيّد المكرمات   ونال بهـا الصيت ثم انقرض

* * *

قوّض خياماً عن الدنيا فان بها   خلائقاً اوجبت للحر تقويضا
وخذ لنفسك من عمر تضيعه   جزءاً ولا ترسلن الامر تفويضا

* * *

ربّ خفضٍ اتاك من بعد بأسا   ءَ وبؤس لقيته غبٌ خفضِ
ايها الناظرون هـذا قضاءٌ   هل علمتم إلامَ أصبح يُفضي

* * *

ولشرُّ اصحاب الرجال عصابة   تعطيك دون ثيابهـا اعراضها
تبغي من الآمال ذلة مسعفٍ   تلك المصاعب اتعبت من راضها

- ١٧ -

فصل الطاء

كلامك ملتَمس لا يبين كالخط اغفله الناقطُ
نصحتك لا تعترف يا أخيّ بي فأنا الرجل الساقط
ولو كنت ملقىً بظهر الطريق لم يلتقط مثلي اللاقط

* * *

طرق الغي سهلة واسعات وطرق الهدى كسمّ الخياطْ
مطلع شق لا تكلفه الضمّر إلا مضروبة بالسياط

* * *

المرءُ يقدم دنياه على خطر بالكره منه وينآها على سخطِ
يخيط إثماً الى إثم فيلبسه كأن مفرقه بالشيب لم يخط

* * *

وما دفعت حكماء الرجال حتفاً بحكمة بقراطها
ولكن يجيء قضاءٌ يريك اخا غيهاً مثل سقراطها

- ١٨ -

فصل الظاء

رضيت ملاوةً فوعيت علماً وأحفظني الزمان فقلّ حفظي
اذا ما قلت نثراً او نظيماً تتبّع سارقو الألفاظ لفظي

* * *

من الناس من لفظه لؤلؤٌ يبادره اللقط إذ يلفظُ
وبعضهم قوله كالحصا يُقال فيلغى ولا يُحفظ

* * *

ابن خمسين ضمّه عقد تسعين يرجى له من الموت حظّا
يتشكّى فظاظة من حياة وأظن الحمام منها أفظّا
يسبك الصائغ الزجاج ولا يسـ طيع سبكاً للدرّ ان يتشظى

* * *

ما زلت في الغمرات لست بخالص منهن فاشتِ على رجائك او قظَ
ومن البريّة من يعيب بجهله أهل السنات وليس بالمتيقظ

- ١٩ -

فصل العين

أرى الناس أنفاس التراب فظاهر ... الينا ومردود الى الارض راجعُ
ولم ندر من أنـّى تعدُّ لنا الخطا ... ولا أين تقضي للجنوب المضاجع

* * *

دولاتكم شمعات يُستضاءُ بهـا ... فبادروها الى ان تُطفأ الشمعُ
والعلم يدرك ان المرء مختلس ... من الحياة ولكن يغلب الطمع
وليس يثبت للأيام من شرف ... اذا تفاخرت الآحاد والجمع

* * *

الموت خير وفيه لامرءٍ دعةٌ ... إن يضرب الترب لا يحدث له وجعُ
تشابه القوم في علمي اذا جبنوا ... فلا ألوم ولا أثني اذا شجعوا
بئس المعاشر ان ناموا فلا انتبهوا ... من الرقاد وان غابوا فلا رجعوا

* * *

يا فاسقاً يتراءى انه ملكٌ ... وتارةً عند قوم انه سبعُ
أما دعاويك فهي الآن مضحكة ... وما لنفسك من أطماعها شبع

* * *

وجدت الناس في جبل وسهلٍ كأنهم الذئاب او السباعُ
رجال مثل ما اهترشت كلاب ونسوان كما اغتلمت ضباع

* * *

لبيب القوم تألفه الرزايا ويأمر بالرشاد فلا يُطاعُ
فلا تأمل من الدنيا صلاحاً فذاك هو الذي لا يستطاع

* * *

ظلمتَ وكلنا جانٍ ظلومٌ وطبعك في الخيانة مثل طبعي
وعقلك يا اخا السبعين واهٍ كأنك في ملاعبك بن سبع

* * *

لقد جاء قوم يدّعون فضيلة وكلهم يبغي لحالته نفعا
وما انخفضوا كي يرفعوكم وإنما رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

* * *

مرحباً بالموت والعيش دجا وحمام المرء كالفجر سطع
امل احصد لا ترسله كفّ حي فإذا مات انقطع
امر الحازم نفساً بالتقى ذاك امر من لبيب لم يطع
كم اراد الخلد قوم فرأوا مسلكاً ان يلتمس لا يستطع

* * *

عجبت لأمر لنا لم يُطع وللخلد عزٌ فلم يستطع
ونظم اناس تناهى إليّ من عهد آدم ثم انقطع
فلا تبأسنّ لليل دجا ولا تفرحن لفجر سطع

- ٢٠ -

فصل الغين

من عثرة القوم ان كنّوا وليدهم		ابا فـلان ولم ينسل ولا بلغا
كالسيف سمّي قطاعاً وما ضربت		بـه الاكف ولا في هامة ولغا
قـد هان مين على افواهنا فغدا		ذو النسك غير مبال ان يكون لغا (١)

* * *

عدّ عن شارب كأس اسكرت		فهو مثل الكلب في الرجس ولغ
والفتى ساع لأقصى أمـلٍ		لم يزل يطلبه حـتى بلغ

* * *

مومس كالإناء دنّسه الشر		ب ووغد كأنـه الكلب والغ
وعقول ليست ترد فتيلاً		لقضاء في عـالم الله بالغ

* * *

اخو سفر قصده لحده ،		تمادى بـه السير حتى بلغ
ودنياك مثل الإناء الخبيث		وصاحبها مثل كلب ولغ

---

(١) المين : الكذب .

- ٢١ -

فصل الفاء

ما كان في هـذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طَرَفُ
يخبّر العقل ان القوم ما كرموا ولا أفادوا ولا طابوا ولا عرفوا
عاشوا طويلاً وماجوا في ضلالتهم ولا يفوزون إن جوزوا بما اقترفوا
اذا سقيت فجسم ناله نصب وإن ترفت فما ينفع الترف
يا أم دفر لحاك الله والدة منك الاضاعة والتفريط والسرف[1]
لو انك العرس أوقعت الطلاق بها لكنك الأم هل لي عنك منصرف

* * *

ينجّمون وما يدرون لو سئلوا عن البعوضة أنـّى منهم تقفُ
ولو درت بمخازيهم بيوتهم هوت عليهم ولم تنظرهم السقف

* * *

---

(١) ام دفر : الدنيا .

إنا معاشر هذا الخلق في سفه حتى كأنا على الاخلاق نختلفُ
كم من أخٍ بأخيه غير متصل كالعين ليست بلفظ الخاء تأتلف
تلافَ أمرك من قبل التلاف به فغاية الناس في دنياهم التلف
ولا تقولنْ اذا ما جئت مخزية قول الغواة على هذا مضى السلف
اقرأ كلامي اذا ضم الثرى جسدي فانه لك ممن قاله خلف

* * *

الفكر حبل متى يمسك على طرف منه يُنط بالثريا ذلك الطرفُ
والعقل كالبحر ما غيضت غواربه شيئاً ومنه بنو الأيام تغترف
أبني بجهليَ داراً لست مالكها أقيم فيها قليلاً ثم أنصرف
تروم رزقاً بأن سمّوك متكلا وأدين الناس من يسعى ويحترف

* * *

سألت عقلي فلم يخبر وقلت له سل الرجال فما أفتوا ولا عرفوا
قالوا فمانوا فلما ان حدوتهم الىٰ القياس أبانوا العجز واعترفوا

* * *

طال التبسُّط منا في حوائجنا وإنما نحن فوق الارض أضيافُ
يريد خلٌّ خليلاً كي يوافقه في الطبع هيهات ان الناس أخياف
لولا التخالف لم تركض لغارتها خيل ولم تُقن أرماح وأسياف

* * *

تطببُ جاهداً وتعلُّ دوني فما أغناك انك فيلسوفُ
أسفتَ لفائت وسلوت عنه وهل مثلي على ماضٍ أسوف

لقد عشت الكثير من الليالي ولم أرقب متى يقف الكسوف
فهل لطوالع الأقمـــار عقل فتعلم حين يدركها الخسوف

* * *

الظلم أكثر ما يعيش به الفتى وأقلّ شيءٍ عنده الانصافُ
منعت من القِسَم الحقوق كأنها رجز تهافت ما له أنصاف

* * *

مالي رأيتك معرضاً فاسمع اذا نطق الحصيف[1]
الدهر ليس بمنصف والعيب يستره النصيف[2]
فالبث وحيداً لا وصيـ فة في ذراك ولا وصيف

* * *

أرى الأيام تجحد ثم تثني بايجـــاب وتوجد ثم تنفى
وقـــد يُحتال في رد الرزايا بعود مفرّدٍ او عود صنف[3]

* * *

أيا واليَ المصر لا تظلمن فكم جاء مثلك ثم انصرفْ
إن القول حرّفه كاذبٌ فإن القضاء به مـا انحرف

---

(١) الحصيف : العاقل .
(٢) النصيف : الخمار .
(٣) ما يتبخر به .

فلا ترسلنّ حبال الرجا وامسك يلفّك منها طرف
تواضعْ اذا ما رزقت العلاءَ فذلك مما يزيد الشرف
ولي منزل في الثرى ما يزار ولو رامه زائر مـــا عرف

* * *

حلف الدهر جامداً وهو برٌ اذا حلفْ
ليبتّن كل عقـ ـدٍ اذا نظمه ائتلف

- ٢٢ -

فصل القاف

أرى حيوان الارض يرهب حتفه ويفزعه رعـــدٌ ويطمعه برقُ
فيا طائر اثمنّي ويا ظبي لا تخفْ أذاي فما بيني وبينكما فرق

* * *

أرى الناس شرّاً من زمان حواهمُ فهل وجدت للعـــالمين حقائقُ
وقــد كذبوا عن ساعةٍ ودقيقةٍ ومـا كذبت ساعاتهم والدقائق

* * *

فؤادك خفـّاقٌ وبرقك خاطفٌ وأعياك في الدنيا خليلٌ موافقُ
تخيّرْ فإمـــا وحدة مثل ميتةٍ وإما جليس في الحيـــاة منافق

* * *

أرقت فهل نجم الدجنـّة آرقُ وتجري الفوادي بالردى والطوارقُ
ويطربني بعـد النهى قول قائلٍ سقى بارقاً من جانب الغور بارقُ

هل اليوم إلا شارقٌ ثم غاربٌ　　أم الليل إلا غاربٌ ثم شارق
ويغبر في الايام مَن طال عمره　　فتغبر من طول البقـــاء المفارق

* * *

طباع الورى فيها النفاق فأقصهم　　وحيداً ولا تصحب خليلاً تنافقه
ومـا تحسن الايام ان ترزق الفتى　　وإن كان ذا حظ صديقاً يوافقه

* * *

يسيء امرؤٌ منا فيبغض دائماً　　ودنياك ما زالت تسيء وتومَقُ
أمرٌ هواها الشيخ والكهل والفتى　　بجهلٍ فمن كلٌ النواظر تُرمق
ومـا هي أهل ان يؤهّل مثلها　　لودٍّ ولكنٌ ابن آدم أحمق

* * *

خيرٌ لآدم والخلق الذي خرجوا　　من ظهره ان يكونوا قبلُ ما خُلقوا
فهل أحسٌ وبالى جسمه رمم　　بمـــا رآه بنوه من أذىً ولقوا
ومـا تريد بدار لست مالكها　　تُقيم فيهـــا قليلاً ثم تنطلق
والناس شتى فيعطى المقتَ صادقهم　　عن الأمور ويحيى الكاذب الملق
يغدو الى المين من قلّت دراهمه　　فيجمع المال مـا يفرى ويختلق

* * *

أنافق في الحياة كفعل غيري　　وكل الناس شأنهم النفـاقُ
أعلل مهجتي ويصيح دهري　　ألا تغدو فقـد ذهب الرفاق

* * *

عزّ الذي أعفى الجماد فما ترى حجراً يغصّ بأكل او يشرقُ
متعرّياً في صيفه وشتائه ما ريع قط للبس يتخرق
والدهر اخرق مااهتدى لصنيعة وبنوه كلهمُ سفيه اخرق
وتشابهت اجسامنا وتخالفت اغراضنا فمغرّب ومشرّق

* * *

فلك يدور على معاشر جمة وكأنه سجنٌ عليهم مطبقُ
لا تفرحن بما بلغت من العلا واذا سبقت فمن قليل تُسبقُ
إياك والدنيا فإن لباسها يُبلي الجسوم وطيبها لا يعبق

* * *

الغيب مجهول يحار دليله واللب يأمر أهله أن يتقوا
لم تستطيعوا ان تقوا مهجاتكم فتخيّروا قبل الندامة وانتقوا

* * *

يباين شكل غيره في حياته فإن هلكا لم تلف بينهما فرقا
رأينا شؤون الدهر خفضاً ورفعة ونحن اسارى في الحوادث او غرقى

* * *

اذا ما استهل الطفل قال وُلاته وإن صمتوا عان الخطوب ورشقها
شقينا بدنيانا على طول ودها فدونك مارسها حياتك وأشقها
ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

* * *

جاء القرآن وأمر الله ارسله ... وكان ستر على الأديان فانخرقا

مذاهب جعلوها من معائشهم ... من يُعمل الفكر فيها تعطه الأرقا

وكلنا قوم سوءٍ لا اخصُّ به ... بعض الانام ولكن اجمع الفرقا

ان رمت من شيخ رهط في ديانته ... دليل عقل على ما قاله خرقا

والدرّ لاقى المنايا في اكفهمُ ... وكم ثوي البحر لا يخشى به غرقا

مين يردّد لم يرضوا بباطله ... حتى ابانوا الى تصديقه طرقا

وناظر العين والدنيا به رُئيت ... ما إن درى أسواداً حل امزرقا

* * *

قل للحمامة قد أصبحت شادية ... فهجت للذاكر المحزون تشويقا

يغنيك وكرك عن بيت يزيّنه ... غاوٍ من القوم إذهاباً وتزويقا

* * *

لقد تفكرت في الدنيا وساكنها ... فأحدث الفكر اشجاناً وتأريقا

قد اغرقوا في معاصيهم فما لهم ... لا يؤنسون من الطوفان تغريقا

أعرق آدم هذا لا يمازجه ... سواه ام مسّ من ابليس تعريقا

كم تطلب المال في سهل وفي جبل ... وتقطع الارض تغريبا وتشريقا

* * *

ما في جميع الناس إلا خاسر ... فإليهم رجع القبيح وحاقا

لا نعلم الموتى تهم بكرّةٍ ... لكنّ احياء تروم لحاقا

* * *

لقـــاء الناس ألجأني برغمي الى حسن التجمل والنفـاق
وقـد يغشى الفتى لجج المنايا حذاراً من احاديث الرفـاق

* * *

إذا كانت لك امرأة حصان فأنت محسّد بـــين الفريق
فإن جمعت الى الاحصان عقلا فبورك مثمر الغصن الوريق
وما النكبات إلا موج بحر يظل الحي فيهـــا كالغريق

* * *

اما الحقيقة فهي اني ذاهب والله يعـلم بالذي انا لاقي
دنياك غادرة فإن صادت فتى بالخلق فهي دميمة الاخلاق
ومتى رضيت بصاحب من اهلها فلقد منيت بكاذب مـلاق
شهب يسيّرها القضاء وتحتها خلق تشاهدها بغير خـلاق

- ٢٣ -

فصل الكاف

ازول وليس في الخلاف شك فلا تبكوا عليّ ولا تبكّوا
هي الايام من وهد يعلى بأبنية ومن وهد يُدك
وما الانسان في التطواف إلا اسيراً للزمان لما يفك

* * *

تـدّين غاويهم حذار اميرهم فلما انقضت ايامه ذهب النسك
فأصبح من بعد التمسك بالتقى لإدرانه من طيب فاجرة مسك

* * *

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحقّ لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطّمنا ريب الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

* * *

يجوز ان تطفأ الشمس التي وقدت   من عهد عاد وأذكى نارها الملك
فإن خبت في طوال الدهر جمرتها   فلا محالة من ان ينقض الفلك

* * *

سأفعل خيراً ما استطعت فلا تقم   عليّ صلاة يوم أصبح هالكا
فما فيكم من خيّر يدعى به   يفرّج عني بالمضيق للسالكا
وما أتمنى انني كأجلكم   ولكن أضاهي المقترين الصعالكا
وينفر عقلي مغضباً ان تركته   سدى واتبعت الشافعي ومالكا

* * *

اذا قال فيك الناس ما لا تحبه   فصبراً يفي ودّ العدو اليكا
وقد نطقوا ميناً على الله وافتروا   فما لهمُ لا يفترون عليكا

* * *

خطبت الى الدنيا بجهلك نفسها   فلم تستطع فيما أردت سلوكا
وكم حلّ فيها معشر بعد معشر   من الناس عاشوا سوقة وملوكا

* * *

كن صاحب الخير تنويه وتفعله   مع الأنام على ان لا يدينوكا
وعش بنفسك فالاخوان أكثرهم   ان لم يشينوك يوماً لا يزينوكا
وكم أعانك ناس ما استعنت بهم   او استعنت بقوم لم يعينوكا

* * *

وجدتكم لم تعرفوا سبل الهدى فلا توضحوا للقوم سبل المهالك
وما الدهر إلا حالك بعد ابيض يذيع بنا او ابيض بعد حالك
بلوت امور الناس من عهد آدم فلم أرَ إلا هالكاً إثر هالك
متى متُّ لم أحفل تحيه واقف فأهل الرزايا مثل اهل الممالك

* * *

سبّح وصلّ وطفْ بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلست بناسكِ
جهل الديانة من اذا عرضت له أطماعه لم يلف بالمتماسك

* * *

اذا انا لم أغن في لذة أسفت وضاق عليّ الفلكْ
حياة العباد سبيل النفاد وما ابيض فودي حتى حالك
اذا ما تباشر اهل الغلام به فالتباشر معنى هلك

- ٢٤ -

فصل اللام

يصون الحجا والبذل اعراض معشر ... وأين يرى العرض الذي ليس يبذلُ
وصاحب نكر بات يعذر بيننا ... وفاعل معروف يُلام ويعدل
فإن يك رذلاً عصرنا وأنامه ... فما بعد هذا العصر شر وأرذل

* * *

رياءُ بني حواء في الطبع ثابت ... فمنهم مجدٌ في النفاق وهازل
سخوا ليقول الناس جادوا وأقدموا ... ليذكر في الهيجاء قرن منازل

* * *

وقت يمرُّ وأقـدار مسببةٌ ... منها الصغير ومنها الفادح الجللُ
والله يقـدر ان يفني بريّته ... من غير سقمٍ ولكن جنده العلل

* * *

كأني بهذا البدر قد زال نوره ... وقـد دُرست آثاره ومنازلهْ
يسير بتقدير المليك لغـايةٍ ... فـلا هو آتيها ولا السير هازله

* * *

الشرُّ طبعٌ ودنيـا المرء قائدة الى دناياه والأهواء أهوالُ
والقول إن يبقَ يحسب للفتى أثراً فلا تشيننك بعـد الموت أقوال

* * *

تعـالى الله فهو بنـا خبيرٌ قد اضطرَّت الى الكذب العقولُ
نقول على المجاز وقـد علمنا بأن الامر ليس كما نقول

* * *

إلهٌ قـادرٌ وعبيد سوءٍ وجبرٌ في المذاهب واعتزالُ
ولولا حاجة في الذئب تدعو لصيد الوحش مـا اقتنص الغزال

* * *

كم تنصح الدنيـا ولا نقبل وفـائزٌ من جدّه مقبلُ
إن أذاهـا مثل أفعالنا مـاضٍ وفي الحال ومستقبل
تسوّق النـاس بفرقانهم وانتبلوا جهلاً فلم ينبلوا
لو نطق الدهر هجـا أهله كأنه الرومي او دعبل (١)
فليت حوّاء عقيم غدَتْ لا تلد النـاس ولا تحبل

* * *

حان رحيل النفس عن عالمٍ مـا هو إلا الغدر والجهلُ
قد فني الوقت فمـا حيلتي اذا انقضى الإمهال والمهل
جميعنا يخبط في حندسٍ قـد استوى الناشيء والكهل

* * *

---

(١) ابن الرومي ، ودعبل .. شاعران كبيران في العصر العباسي ..

ليس فعل الدنيا بفعل عروسٍ   بل هي الغول شأنها التغويل
واذا هوّلت عليَّ المنـــايا   راقني من وعيـدها التهويل
حوّليني عن ظاهر الارض فالقلـ   ـب يسلي همومه التحويل

* * *

الخير محبوب ولكنه   يعجز عنه الحيُّ او يكسل
والأرض للطوفان مشتاقة   لعلهـــا من درنٍ تغسل

* * *

إن قوماً لِما يكو   ن حراماً تأولوا
رغّبوا الناس في المحا   ل وراعوا وهوّلوا
نظروا في نجومهم   وعلى النجـم عولوا
واستمالوا قلوب قو   مٍ الى أن تمـولوا

* * *

تخالفنا الدنيا على السخط والرضا   فان اوشك الانسان قالت له مهلا
وما رئمت طفلاً ولا أكرمت فتىً   ولا رحمت شيخاً ولا وقّرت كهلا
فـــلا تأمل الايام للخير مرةً   فليست لخير ان يظن بهـا اهلا

* * *

يعوم في اللج ركب يمتطي سفناً   ويجنب الخيل سار يركب الإبلا
تبغي الثراء فتعطاه وتحرمــه   وكل قلب على حب الغنى جبلا
لو انــ عشقك للدنيا له شبح   ابديته لمـــلأت السهل والجبلا

* * *

إن ما طلتك الليالي بالذي وعدت فالجود يشعر تنغيصاً اذا مطلا
يذكي التقارب ما بين الورى حسدا حتى اذا ما تناءى شكلهم بطلا

* * *

يتلون اسفارهم والحق يخبرني بأن آخرها مين وأولها
صدقت يا عقل فليبعد اخو سفهٍ صاغ الاحاديث إفكا او تأولها
وليس حبر ببدع في صحابته إن سام نفعاً بأخبار تقوّلها
وإنما رام نسواناً تزوّجها بما افتراه وأموالاً تموّلها
لا يخدعنك داعٍ قام في ملاء بخطبة زان معناها وطوّلها
فما العظات وإن راعت سوى حيل من ذي مقال على ناس تحوّلها

* * *

ليذمم والدٌ ولد أو يعتب عليه فبئس عمري ما سعى له
وما في الارض من احد غنيّ ولكن كلنا فقراء عاله

* * *

دع آدماً لا شفاه الله من هبل يبكي على نجله المقتول هابيلا
دهر يكرّ ويوم ما يمرّ بنا إلا يزيد به المعقول تخبيلا

* * *

أفهم عن الأيام فهي نواطقٌ ما زال يضرب صرفها الأمثالا
لم يمض في دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا

* * *

اصبحت منحوساً كأني ابن مسـ عود وما أطغى بأن أهزلا
لي امل فرقانه محكم أقرأه غضاً كما أنزلا
أملـّني الدهر بأحداثه فاشتقت في بطن الثرى منزلا

* * *

عش بخيلاً كأهل عصرك هذا وتباله فإن دهرك أبله
إن ترد ان تخص حراً من النـ ـاس بخير فخص نفسك قبله

* * *

وجدتك في رقدة فانتبه أحذرك من هذه الخاتله
أتاها بنوها على غِرّةٍ وما علموا انهـا قاتلة

* * *

يخونك من أدّى اليك أمانة فلم ترعه يوماً بقول ولا فعلِ
فأحسن الى من شئت في الارض او أسيء فانك تجزى حذوك النعل بالنعل
يرومون بالسعي المراتب والعلا وربك يهوي طالب المجد او يعلي

* * *

لقد صدئت أفهام قوم فهل لهـا صقال ويحتاج الحسام الى الصقلِ
وكم غرّت الدنيا بنيها وساءني مع الناس مين في الاحاديث والنقل
سأتبع من يدعو الى الخير جاهداً وأرحل عنها ما إمامي سوي عقلي
ومن كان في الأشياء يحكم بالحجى تساوى لديه من يحب ومن يَقلي

* * *

أخلتَ عمود الدين في الارض ثابتاً		وفي كل يوم يضمحل على مهلِ
برئت الى الخلّاق من اهل مذهب		يرون من الحق الإباحة للأهل

* * *

دعاكم الى خير الأمور محمد		وليس العوالي في القنا كالسوافل
حداكم تعظيم من خلق الضحى		وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله		أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحثّ على تطهير جسم وملبس		وعاقب في قذف النساء الغوافل
وحرّم خمراً خلت ألباب َشربها		من الطيش ألباب النعام الجوافل
فصلى عليه الله ما ذرّ شارق		وما فت مسكاً ذكره في المحافل

* * *

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى		فليلتي القصوى ثلاث ليالي
وما سرّني رب الخيال بطيفه		فيطلب مني النوم طيف خيال
وهوّن أرزاء الحوادث انني		وحيد أعانيها بغير عيال

* * *

اذا صقلت دنياك مرآة عقلها		أرتك جزيل الامر غير جزيلِ
فبعداً لحاك الله يا شر منزل		ثواه من الانسان شر نزيل
وما يفرق الترب الذي هو آكل		لنا بين جسمي بادن وهزيل (١)

* * *

---

(١) البادن : السمين .

وَيْبَ الحوادث كم اخرجن من ملك		عن الديار وكم قصّرن من أملِ[1]
يسعى الفتى لابتغاء الرزق مجتهداً		بالسيف والرمح فوق الطِرف والجمل[2]

* * *

ظننت اني وحدي مخطىء فاذا		افعال كل بني الدنيا كأفعالي
فلا تكلف جواداً سير نائيةٍ		فيها الحزونة إلا بعد إنعال

* * *

صاح الزمان فعاد الجمع مفترقا		كالضأن لما احسّت صوت رئبال[3]
ان الفوارس ما انفكت عقائلها		مطلولة بين آساد وأشبال
والناس يسعون في اشياء معجزةٍ		وسعيهم ليس من نجح على بالي
اذا اناف على الخمسين بالغها		فليضمر اليأس من سعد وإقبال
والعمر إصعاد انسان ومهبطه		كالأرض أودية منها وأجبال

* * *

قد حملنا من رزايا		دهرنا عبئاً ثقيلا
ومللنا منه مغدىً		وبيتاً ومقيلا
وأطلنا في بني ايـ		ـامنا قالاً وقيلا[4]
صدىء العقل به من		بعد ما كان صقيلا

* * *

---

(١) ويب وويل واحد وزناً ومعنى .
(٢) الطرف (بكسر الطاء) : الجو .
(٣) الرئبال : الاسد .
(٤) القال والقيل والقول واحد .

لم يسقكم ربكم عن حسن فعلكم ولا حماكم غماماً سوءُ اعمالِ
دليل ذلك أن الحر اعوزه قوت وأن سواه فاز بالمال
دنتم بأن سيجازيكم إلهكم فما لأفعالكم افعال اعمال
فأملوا الله وارجوا منه عاقبةً فليس دنياكم أهلاً لآمال

* * *

مضى الزمان ونفس الحي مولعة بالشرِّ من قبل هابيلٍ وقابيلِ
لو غربل الناس كيما يُعدموا سقطاً لما تحصل شيءٌ في الغرابيل
هل ينظرون سوى الطوفان يهلكهم كما يقال أو الطير الأبابيل
سبحان من ألهم الاجناس كلهم أمراً يقود الى خبلٍ وتخبيل
لحظ العيون وأهواء النفوس وإ هواء الشفاه الى لثم وتقبيل

* * *

أذهني طال عهدك بالصقال وماج الناس في قيلٍ وقالِ
ستطلقني المنية عن قريب فاني في إسار واعتقال (١)
اذا انتقلت عن الاوصال نفسي فما للجسم علم بانتقال
أسير فلا يعود إليَّ جسمي وقد كان الرحيل رحيل قالي (٢)
أمور يلتبسن على البرايا كأن العقل منها في عقال

* * *

(١) الأسار : القيد .

(٢) القالي : المبغض .

وبالي فيك يا دنيا وبالي وأفنيت الخليل ولم تبالِ
أغرت لنا حبالات المنـــايا بما غزلت ذكاءُ من الحبال
وأربعة أنِسنَ بكل حي رمتهن الحوادث بالنبال
حشاشة عائش ونجيع نحض وهيكل ميت وعروق بالي (١)
اذا كان الحمام بكل أرض فبعداً للوهود وللجبال

* * *

تعالى الله وهو أجلّ قدراً من الإخبار عنه بالتعالي
ولولا ان شيب المرءِ نار لمـا وصف المفارق باشتعال

* * *

وكيف أشيد في يومي بناءً وأعلم أن في غـدي ارتحالي
أقمنا في الرحال ونحن سفر كأنا قاعدون على الرحال
اراك الجهل انك في نعيم وأنت اذا افتكرت بسوءِ حال
وما سمحت لنا الدنيا بشيءٍ سوى تعليل نفس بالمحال
وأعوزت الفضيلة كل حيّ فما هي غير دعوى وانتحال

* * *

اسيئي في فعالٍ او كلامٍ فقد جربتِ صبري واحتمالي
وما غضبي اذا جرت القضايا بتفضيل اليمين على الشمال
فلا يعجب بصورته جميلُ فإن القبح يطوى كالجمال
كذاك الدهر إظلام وصبح وريح من جنوب او شمال

* * *

---

(١) الحشاشة : بقية النفس . والنجيع : الدم . والنحض : اللحم .

امانيُّ الزمان على نبيهٍ حوادث اصبحت شر الأماني
فلا تبني خيامك في محل فإن القاطنين على احتمال (١)
وأجنحة النسور اذا اتتها منايا كأجنحة النمال
فيا دار الخسار ألي خلاص فأذهب في الجنوب او الشمال
مضى روض وجاءَ ولم يخبّر فنسأله عن الشّرب الثمال (٢)

* * *

وكم شاهدت من عجب وخطب ومرُّ الدهر بالانسان يسلي
تغيّر دولة وظهور اخرى ونسخ شرائع وقيام رسل
لو ان بَنيَّ افضل اهل عصري لما آثرت ان احظى بنسل

* * *

عرفتك جيداً يا أم دفرٍ وما إن زلت ظالمة فزولي (٣)
دعيت أبا العلاء وذاك مينٌ ولكن الصحيح ابو النزول

* * *

أعجبت للطفل الوليد بمهده لم يخط كيف سرى بغير رواحلِ
رفعت له لجج البحار فعامها ونجا وأصبح سالماً بالساحل

* * *

---

(١) الاحتمال : الرحيل .
(٢) الثمال : السكارى .
(٣) الدفر : النتن .

أرأيت فعل الدهر في أمم مضت | قبلاً ومرج قبائل بقبائلِ
وتخيُّر المغرور طول بقائه | سفهاً وما طول البقاء بطائل
كان الشباب ظلام جنح فانجلى | والشيب يذهب في النهار الزائل
وأقلّ اهل الارض حظاً في العلا | من يكتفي منها بخطبة قائل
لا تفرحنَّ بدولة أوتيتها | إن المدال عليه مثل الدائل
ومتى حظيت بنعمة من منعم | فتوقَّ واحذر صولة من صائل
وعقائل الأيام غير اوامر | باذاة ايتام وهتك عقائل
وحبائل الدنيا تزيد على الحصا | وأقل انفاسي أدق حبائلي

* * *

حكم تدل على حكيم قادر | متفرد في عزه بكمالِ
ثمل الأنام من الضلالة وانتشوا | بالخمر فاعجب من ثمال ثمال
لم تلفَ إلا جاهلاً متعاقلاً | متجملاً منهم بغير جمال
مثل البهائم ابهمت عن رشدها | إلا احتمال ثقائل الاحمال

* * *

كن وشيكاً في حاجة او مكيثا | ليس مرُّ الأيام فينا بمهلِ
حبذا العيش والزمان غرير | والفتى ما استجد حلة كهل
وخمولي يذود عني الرزايا | نام عني الأذى فلم ينتبه لي
قبل ان ينطق الزمان بتصغير | كبار من فرط عيٍّ وجهل
إذ ثريا النجوم تدعى بثروى | وسهيل السماء يدعى بسهل

* * *

ولقد علم الله رب الكمال بقلّة علمي وديني ومالي
وأن التجمّل قد ضاق بي فكيف أنافس اهل الجمال
لقد خاب من يبتغي نصرتي وعاجزة عن يميني شمالي
هويت انفرادي كيما يخف عمن أعاشر ثقـــل احتمالي
أماليّ فيما أرى راحةٌ مدى الدهر من هذيان الآمال

* * *

عجبت وكم عجب في الزمان لرأي بني دهرك الفائلِ [1]
فمقتاً لمـــا اورثوا من غنى ومـــا وهبوه من النائل
فلا تحملنّ لهم منةً ولو بتّ في صورة العائل
وتصغى الى المين اسماعنا وتصبو الى زخرف القائل
تصول علينا بنات الزمان فهـــلا يصال على الصائل
مضى قيْل مصر الى ربـه وخـلى السياسة للخاءل [2]
وقد عزّ رمل على حاسب كما عزّ بحر على كائل
يهال التراب على من ثوى فـآه من النبـأ الهـائل
جميع الذي نحن فيه النفاق ونلحق بالذاهب الزائل

* * *

قرنت الجياد بأجالها لتسعف نفساً بآمالها
ولا بدّ من سيرها مرة بعيد التفات الى مالها
وأفضل ما كسبت امة وإن شقيت حسن اعمالها

---

(١) الفائل : الضعيف الرأي .

(٢) الخائل : الراعي الذي يحفظ رعيته . والقيل : الملك .

ولا خير في ان تمد الحياة   ونقصانها مثل إكمالهـــا
فويهاً وواهـا لسيل المنو   ن كم جرّ عيراً باحمالها
امور توافي جنود الردى   بتفصيلها بعـــد إجمالها
وقد اعمل الناس افكارهم   فلم يغنهم طول إعمالها
فهل يرسل الدهر امٌ الاتام   فتفقد نسلاً بأرمـــالها

* * *

غضّ الجفون اذا جلست   على الصعيد ولا تأمل
والبيت اولى بالكريم   من الطريق وأن تجمّل
من ذا الذي سمح الزمـــا   ن له بإدراك المؤمل
حبـــل تمن على الاتا   م فادمع العقلاء هُمـــل
كم غرّ صاحبة الجمـــا   ل منجم بحساب جُمّل

* * *

سبّح الله طالع مستنير   وهلال مثل القلامة ناحل
وبدت من بنات نعش غوان   لم يصبها من اثمد الليل كاحل
كالسوام الاتام هل فاز من سا   فر منهم الى يطيء المراحل
يمنيٌ وفارسيٌ وشا   ميٌ من اهل غربة راحل

* * *

إن اعمارنا كآيٍ ابينت   والمنايا لهن مثل الفواصل
فرّ من هذه البرية في الار   ض فما غير شر هالك حاصل
واطلب الرزق بالمرور من الشجـ   راء لا من أسنة ومناصل

* * *

رام دنيـــاه ناسك فادعى النسك وانتحل
اصبح المفتري على اللـ ـه قـد ذلّ واضمحل
جهل المشتري وإن زل قالوا قـد ارتحل
أي ذنب اصابــه فسما فوقــه زحل

* * *

امــلْ حبيب ادل وستر الضلال انسدل
على مَ تناظرتموا فقد طال هذا الجدل
وكلكم ظـالمٌ فهل من تقي عدل
تحـير مسترشدٌ فوفق لمـا استدل

\- ٢٥ -

فصل الميم

اذا ما تقضي الاربعون فلا ترد سوى امرأة في الاربعين لها قسم
نريد من الدنيا خلافاً لما مضى وأعياك تدبير به سبق الرسم
مضى الشخص ثم الذكر فانقرضا معاً وما مات كل الموت من عاش منه اسم

* * *

مكان ودهر احرزا كل مدرك وما لهما لون يحسّ ولا حجم
وليس لنا علم بسر إلهنا فهل علمته الشمس او شعر النجم
ونحن غواة يرجم الظنُّ بعضنا ليعرف ما نور الكواكب والرجم
وتطردنا ساعاتنا وكأننا وسائق خيل ما تكفكفها اللجم
قضى الله في وقت مضى ان عامكم يقلّ حياء او يزيد بهِ السجم
فقولكم ربّ اسقنا غير ممطرٍ ولكن بهذا دانت العرب والعجم
على كل شيء تهجمون بجهلكم وأعياكم يوماً على رشد هجم

* * *

توهّم بعض النـاس امرأً فاصلوا يقين امورٍ بات يتبعها الوهمُ
جهلنـــا ولكن للخلائق صانع أقرّ به غاوٍ من القوم او شهم

* * *

نصحتك لا تنكح فإن خفت مأثماً فاعرس ولا تنسل فذلك أحزمُ
تعاليت وبّ الناس عن كل ريبةٍ كأنا بإتيان المآثم نلزم
وُترفع اجسادٌ وُتنصب مرّةً وُتخفض في هذي التراب وُتجزم
حيـاة لو اني باختياري وردتها لما فتئت مني الأنامل تؤزم

* * *

أراك حسبت النجم ليس بواعظٍ لبيباً وخلت البـــدر لا يتكلمُ
بلى قد أتانا ان ما كان زائلاً ولكننا في عـــالم ليس يعلم
وان أخا دنياك اعمى برى السهى عليل معافىً ظالم يتظلم
ومـــا سالم الحيّ القضاء وإنما الى الحتف يرقى والسلامة ُسلّم

* * *

توهمت خيراً في الزمــان وأهله وكان خيـــالاً لا يصحُ التوهُمُ
فما النور نوّارٌ ولا الفجر جدولٌ ولا الشمس دينارٌ ولا البدر درهم

* * *

مريدي بقـــائي طالما لقي الفتى عنـــاءً بطول العيش والله يعلمُ
اذا كان بسط العمر ليس بكاسبٍ سوى شقوة فالموت خير وأسلم
أرى النبت أولى ان يحسّ بحطمه اذا زعموا ان الصخور تألم
أفـــاد غوي غيّه عن شيوخه فهم درجات في الضلال وُسلّم

* * *

سأرحل عن وشك ولست بعالمٍ   على أي أمر لا أبا لك اقدمُ
وهوّن اعدامي عليّ تحققي   بأني وإن طال التمكث اعدم
فإن لم تكن إلا الحيــاة وبينها   فلست على ايامها أتندّم
أرى الشخص يطوى والممالك تحتوى   ومن صحّ يذوى والمجادل عندم
اذا رؤساء النــاس أموا تنازعوا   كؤوس الأذى هل في الزجاجة عندم
ولم يرضهم شرب المدامة أذهبت   حجى النفس إلا ان يمازجها الدم

* * *

اذا ما تبينا الامور تكشّفت   لنا وأمير القوم للقوم خادمُ
أقلّ بني الدنيا هموماً وحسرة   فقيد غني للمال والرشد عادم
وما هي إلا منزل غير طائل   فمرتحل عنها وآخر قادم
أنبكي على الميت الجديد لأنه   حديث وينسى ميتك المتقادم

* * *

اذا قيل غال الدهر شيئاً فإنما   يراد إله الدهر والدهر خادمُ
ومولد هذي الشمس أعياك حدّه   وخبّر لبٌ انه متقادم
اذا هي مرّت لم تعد وورائها   نظائر والأوقات ماضٍ وقادم
وما آدم في مذهب العقل واحداً   ولكنه عند القياس أوادم
تخالفت الاغراض ناسٍ وذاكرٌ   وسالٍ ومشتاقٌ وبادنٍ وهادم

* * *

وجدت الفتى يرمي سواه بدائه   ويشكو اليك الظلم وهو ظلومُ
فان كان شيطان لم يستفزه   فأيهما عند القيـــاس تلوم

* * *

وجدت الشر ينفع كل حين   ومن نفع به حمل الحسام
وليس الخير في وسع الليالي   فكيف نسومها ما لا يسام

***

العـــالم العالي برأي معاشر   كالعالم الهاوي يحس ويعلمُ
زعمت وجال ان سياراته   فيها العقول وانهـــا تتكلم
فهل الكواكب مثلنا في دينها   لا يتفقن فهائد او مسلم
وكأنما الاخرى تيقظ نائم   وكأنما الاولى منام يُحلم
يتشبه الطاغي بطاغ مثله   وأخو السعادة بينهم من يسلم

***

تصدق على الأعمى بأخذ يمينه   لتهديه وأمنن بأفهامك الصما
واعط أباك النصف حياً وميتاً   وفضّل عليه من كرامتها الأما
ولم يكف هذا الدهر ما حمل الفتى   من الثقل حتى ردّه يحمل الهما
ولو كان عقل النفس في الجسم كاملاً   لمـــا أضمرت فيما يلم به غمّا
متى يولك المرء الغريب نصيحةً   فلا تقصه وأحببْ الرفيق وإن ذمّا
فنعم الرفيق الليل ان بات كاتماً   هواك وبعداً للصباح اذا نمّا

***

رأيت سجايا النـــاس فيها تظالم   ولا ريب في عدل الذي خلق الظلما
اذا علمي الأشياء جرّ مضرّة   إليّ فان الجهل ان أطلب العلما

***

الجسم والروح من قبل اجتماعهما كانا وديعين لا همّاً ولا سقما
تفرُّد الشيء خير من تألفه بغيره وتجرُّ الألفة النقما

* * *

لو كان لي امر يطاوع لم يشن ظهر الطريق يد الحياة منجّم
يغدو بزخرفه يحاول مكسباً فيدير أسطر لابه ويرجّم
فسد الزمان فلا رشاد ناجم بين الانام ولا ضلال منجم
اسرج والجم للفرار فكلهم فيما يسوءك مسرج او ملجم
ضحكوا اليك وقد اتيت بكاذبٍ ومتى صدقت فهم غضاب رجّم

* * *

أتحب ان يثنى عليك بأنك البر برُّ التقي وأنت صلٌّ ارقم
وشهادة لك ان خلقك يجتني ليصاب شهداً وهو صاب علقم

* * *

كل تسير بـه الحياة وما له علـم على أي المنازل يقدم
ومن العجائب اننـا بجهالة نبني وكل بناء قوم يهـدم

* * *

دنياك اشبهت المدامة ظاهرٌ حسن وباطن امرها مـا تعلم
والدهر يصمت غير ان خطوبه ترجمن حـق خلته يتكلم

* * *

العقل يخبر انني في لجـــة ... من باطل وكذاك هـذا العالم
مثل الحجارة في العظاة قلوبنا ... او كالحديد فليتنا لا نـألم

* * *

غدوت ابن وقتي ما تقضي نسيته ... وما هو آت لا احسّ له طعما
وقال اناس مـا لأمر حقيقة ... فهل اثبتوا ان لا شقاء ولا نعمى
فنحن وهم في مزعم وتشاجر ... ويعلم رب الناس اكذبنا زعما

* * *

مضى الناس افواجاً ونحن وراءهم ... وكانوا وكنا في الضلال نعومُ
فيا أذني هـل في الذي تسمعينه ... من القول إلا فرية وزعوم

* * *

ان شئت ان تحفظي من انت صاحبة ... له فـلا تدخلي في المصر حماما
فكم عصيتن من ناهٍ وناهيـةٍ ... وكم فضحتن اخوالا وأعمامـا

* * *

قال المنجم والطبيب كلاهمـــا ... لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صحّ قولكما فلست بخاسر ... او صحّ قول فالخسار عليكما
طهّرت ثوبي للصلاة وقبـله ... طهر فـأين الطهر من جسديكما
وذكرت ربي في الضمائر مؤنساً ... خلدي بـذاك فأوحشا خلديكما

* * *

الآن شارفت جيش الحتف واقتربت   دار اكاد اليها ارفـــع القدما
حُممٌ القضاء فهـل يرثى لباكية   ولو افاضت على اثر الدموع دما

* * *

بنو آدم لم ادر ما غرض الذي   نمام وهل فيهم صحيح أديم
وما عندهم من خيرة لمعاشر   وكم من مدام برّحت بمُديم
فلا تشربنها ما حييت وان تمل   الى الغي فاشربها بغير نديم

* * *

أنخشى عذاباً في الممات وإننا   لأهل عذاب في الحيـاة مقيم
وأشعر ان العقل يصحب تارة   وينفر اخرى وهو غير عليم

* * *

اذا لم تكن دنياك دار إقامة   فما لك تبنيها بنـــاء مقيم
وأعجب من جهل الذين تكاثروا   بمجد لهم من حادث وقديم
فساد وكون حادثان كلاهما   شهيد بأن الخلق صنع حكيم
فلا تتعلل بالمدام وان تجز   اليها الدنايا فاخش كل نديم

* * *

بدا شيبه مثل النهار ولم يكن   يشابه فجراً او نجوم ظلام
يحدثها ما لا تريد سماعه   ولم يبق عند الشيخ غير كلام
تقول له في النفس غير مبينة   خذ المهر مني وانصرف بسلام
تودّ لو ان الله أعطاه حتفه   وكيف لهـا من بعده بغلام

* * *

اضرب وليدك وادلله على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فربّ شق برأس جرّ منفعة وقسْ على نفع شق الراس في القلم

* * *

عرفت من (ام دفر) شيمة عجبا دلّت على اللؤم وهي العنف بالخدمِ
ومن يهنها تصنه عن مكارهها بعض الصيانة فارفضها بلا ندم
وما لنفسي خلاص من نوائبها ولا لغيري إلا الكون في العدم

* * *

اذا أمنت على مال أخا ثقة فاحذر أخاك ولا تأمن على الحرم
فالطبع في كل جيل طبع ملأمة وليس في الطبع مجبول على الكرم

* * *

أبى القلب إلا (ام دفر) كما أبى سوى (ام عمرو) موجع القلب هائمُ
وتمضي بنا الساعات مضمرة لنا قبيحاً على ان الوجوه وسائم
نمن بمــا يخفيه حي وميت ومن شرّ أفعال الرجال النمائم
يعيش الفتى في عدمه عيش راغب ويثرى مسن للمعيشة سائم
وكل يوصي النفس عنــد خلوه بزهد ولكن لا تصح العزائم

* * *

لا تسدينْ قبيحاً ان هممت به وافعل جميلاً فان الخير يغتنمُ
ان فارقتني حياتي خلتني صنماً ولا يراع لكسر الهامة الصنم

* * *

لا تزدرن صغاراً في ملاعبهم		فجائز ان يروا سادات أقوام
واكرموا الطفل عن نكر يقال له		فان يعش يدع كهلاً بعد أعوام

* * *

رأيت الحق لؤلؤة توارت		بلجٍّ من ضلال الناس جمْ
وقد يلفي الغريب على نواه		أعزْ عليك من خالٍ وعم
ونحن ميمون مدى بعيداً		كأنا عائمون غمار يم

* * *

لا يخدعنك أخرانا كأولنا		في نحو ما نحن فيه كانت الامم
مقلدين بذم لا يضيّعه		منهم غريب ولكن ضاعت الذمم

* * *

اذا شئت يوماً وصلة بقرينة		فخير نساء العالمين عقيمها
لنا طرق في كل شرق ومغرب		الى الموت أعيا راكباً مستقيمها
هي الدار يأتيها من الناس قادم		يحث على ان يستقلّ مقيمها

* * *

وعظَ الزمان فما فهمت عظاته		وكأنه في صمته يتكلم
والناس شتى من حليم مظهر		جهلاً يعزُ وجاهل يتحلم

* * *

(١٤)

أما لأمير هـذا المصر عقلٌ يقيم عن الطريقِ ذوي النجوم
فكم قطعوا السبيل على الضعيف ولم يعفوا النساء من الهجوم
همُ ناس ولو رجموا استحقوا بأنهمُ شياطين الرجوم
اذا افتكر اللبيب رأى اموراً تردُّ الضاحكات الى الوجوم (١)

* * *

يقول الناس ان الخمر تودي بما في الصدر في همٍّ قديم
ولولا انهـا بالعقل تودي لكنت أخا المدامة والنديم

* * *

علمي باني جاهل متمكنٌ عندي وان ضيّعت حق العالم
والظلم يمهل بعض من يسعى له ويحل نقمته بنفس الظالم
ما بال من طلب الهدى بمفاوزٍ قفر وطالب غيره بمعالم (٢)
والمرء في حال التيقظ هاجع يرنو الى الدنيا بمقـلة حالم
وأخو الحجى ابداً يجاهد طبعه فتراه وهو محارب كمسالم
سأل الطبيب عن الشكاية مدنفٌ يرجو سلامته وليس بسالم

* * *

هذي الحياة مسافة فاصبر لها كيما تبين وأنت غير ملومِ
في عالم أخـذ الإله عقولهم فغدوا جميعهم بلا معـلومِ

* * *

---

(١) الوجوم : العبوس .
(٢) المفاوز : جمع مفازة ، وهي الصحراء المترامية الاطراف لا ماء فيها ولا نبات .

لو زعمت نفسي الرشاد لها حلفاً لكذبتها بزعمها
دار اذا سمحت بلذتها فإن بؤساً وراء أنعمها
اكلتها جمرة حرارتها صدت اخا الحرص عن تطعمها

* * *

سلي الله ربك احسانه فإنك ان تنظري تألمي
وليس اعتقادي خلود النجوم ولا مذهبي قدم العالم

* * *

قفي وقفةً تعلمي وإن سلّموا فاسلمي
ايخلص هذا الورى من الحندس المظلم
وأيهمُ لم يكن ظلوماً ولم يظلم
اذا طمعوا فاقتنع وأن جهلوا فاحلمِ
وكيف صعودي الى الـ ثريا بلا سلم
فإن ظهرت ذلتي فقل لرفيقي لمِ

* * *

علم الفتى النظار ان بصائراً عميت فكم يخفى اليقين وكم يعم
لو قال سِيدُ غضاً بُعثت بملةٍ من عند ربي قال بعضهم نعم [١]

* * *

(١) السيد بكسر السين : الذئب .

دنياي ويحك ما طرقتك مخ تاراً ولكن القضاء حكمْ
قضيت ايام الشباب على مضض وقد طال البقاء فكم
يكفيك ان المدح فيك يرى كذباً وذمّاً في العقول حكم
وبنوك مثلك فيهم جبل عالٍ ووادٍ غائرٌ وأكم (١)

* * *

الحرص في كل الافانين يَصم أمـا رأيت كل ظهر ينقصم
وعروة من كل حيٍّ تنفصم أمـا سمعت الحادثات تختصم
أم حبّك الاشياء يعمي ويصمّ

* * *

ربي متى أرحل عن هذه الد نيا فإني قـد أطلت المُقامْ
لم أدرِ ما نجمي ولكنه في النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجّى يدي ولا عدوّي يتخشى انتقام
والعيش سقمٌ للفتى مُنصِبٌ والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثواي ومثواهمُ ومـا رأينا احداً منه قام

* * *

ربّ متى أرحل عن عالمي فأنت بالنـاس خبير عليمْ
مـا نال فرعون بهـا نعمةً ولا صفا عيش لموسى الكليم

* * *

(١) الأكم والآكام : جمع اكمة ، وهي ما ارتفع من الارض .

ليس الفتى من رأسه مبدلاً ... رأساً كما يفعل باري القلم
وهـذه الدنيا على . أنهـا ... محبوبة لم تخلنا من ألم
قد يوجد الكهل حليف النهى ... كأنه من جهله ما احتلم
كان تقياً قبل إمكانه ... حتى اذا مُكّن منها ظلم
ومن بديع الجور مـا بيننا ... وبك من ألقى اليك السَلم
هل ينكر التقليد مستبصرٌ ... قبّل ركن البيت ثم استلم

* * *

قـد ندمنا على القبيح فأمسيـ ... ـنـا على غير قهوة نتنادمْ
خـالق لا يشكُّ فيه قديم ... وزمـان على زمـان تقادم
جائرٌ ان يكون آدم هـذا ... قبله آدم على اثر آدم
لست انفي عن قدرة الله اشـ ... ـباح ضياءٍ بغير لحم ولا دم
وبصير الاقوام مثليَ اعمى ... فهلمّوا في ظلمةٍ نتصادم

* * *

خبط القوم في الضلا ... ل فهل تكشّف الظلمْ
في بلادٍ مضلّةٍ ... ليس في ارضها علم
دونها يقصر الخيا ... ل اذا طيفه ألم
اصبح الشيخ مـارداً ... بعد مـا حجّ واستلم

* * *

ألا فانعموا واحذروا في الحياة ... ملمّاً يسمى مزيل النعمْ
أرى قدراً بثّ احداثه ... فخصّ بهنّ أناساً وعم

فلا تأمنوا الشرّ من صاحبٍ   وإن كان خالاً لكم وابن عم
يدول الزمان لغير الكرام   وتضحى ممالك قومٍ طُعَم

* * *

رأيت بني الدهر في غفـلةٍ   وليست جهالتهم بالأمَمْ
فنسك اناسٍ لضعف العقول   ونسك اناسٍ لبُعد الهِمَمْ

* * *

اذا دارت الكأس في دارهم   فقـد رحل الدين عن دارهمْ
فما وُفّقوا عند إيرادهم   ولا وُفّقوا عند إصدارهم
وفي رفع اصواتهم بالغنـاء   دليلٌ على حطّ أقدارهم
فإن كنت خدناً لهم فأحبهم   جفاءً على قرب مزدارهم (١)

(١) الخدن بكسر الخاء : الرفيق ... والمزدار : مكان الزيارة .

- ٢٦ -

فصل النون

لعمري لقد خادعت نفسي برهة وصدقت في أشياء من هو مائنُ
اعلـّل بالآمال قلباً مضللا كأني لم اشعر بأني حائن
يحدثنا عمـــا يكون منجـّم ولم يدرِ إلا الله مـا هو كائن
ركبنا على الاعمار والدهر ّلجة فمـا صبرت للموج تلك السفائن
لقد حمـــد الأبناء قوم وطالما أتتك من الأهل الشرور الدفائن
تجيء الرزايا بالمنايا كأنمـــا نفوس البرايا للحمام رهائن
يصون الكريم العرض بالمال جاهداً وذو اللؤم للأموال بالعرض صائن

* * *

اذا عُدّت الاوطان في كل بلدةٍ لقوم سجوناً فالقبور حصونُ
وما كان هـذا العيش إلا إهانة فعلّ تراباً بالحمـام يصون
فكن بعض اشجار تقضت اصولها ولم يبق في الدنيا لهن غصون

* * *

كأن نجوم الليل زرق أسنةٍ		بها كل من فوق التراب طعينُ
ولائح هذا الفجر سيف مجرّد		أعان به صرف الزمان معين
كأن قد حوتهم لعنة من مليكهم		ومن لم يطع مولاه فهو لعين

* * *

توهمت يا مغرور انك ديِّنٌ		عليّ يمين الله ما لك دينُ
تسير الى البيت الحرام تنسكاً		ويشكوك جار بائسٌ وخدين

* * *

ما كان في الارض من خير ولا كرمٍ		فضلّ من قال ان الأقدمين فنوا
وإنمـــا نحن في سوداء طاميةٍ		وهل تخلص من أمثالها السفن
أعفى المنـــازل قبر يستراح به		وأفضل اللبس فيما أعلم الكفن
ان الذين على وجه الثرى وطئوا		يشابهون أناساً تحته دفنوا

* * *

ما أقدر الله ان تدعى بريته		من تربهم فيعودوا كالذي كانوا
ما أحسن الارض لو كانت بغير أذى		ونحن فيها لذكـر الله سكان
قد يمكن البعث ان نأوي المليك به		وليس منا لدفع الشر إمكان

* * *

لا تعرف الوزن كفي بل غدت اذني		وزّانة ولبعض القول ميزانُ
والسر ليس بمخزون على احـدٍ		لكن تـكاثر للأموال خزّان

* * *

سكوناً خلتُ أقدمَ من حراكٍ فكيف بقولنا حدث السكونُ
وما في الناس أجهل من غبيٍّ يدوم له الى الدنيا ركون

* * *

لقد طال الزمان عليّ حتى غدوت ولي الى الدنيا ركون
فلا أغرر اذا أجلي خطاني سيأتي الموت أغفل ما أكون
ويلحق بالثرى جسد هباءٌ على حركاته ورد السكون

* * *

ما أمسِ بالشيخ الذي ان مرّ بي فرجوعه من بعد ذلك ممكنُ
والناس بين حياتهم ومماتهم مثل الحروف محرّك ومسكّن

* * *

بئست الأم للأنام هي الد نيا وبئس البنون للأم نحنُ
كلنا لا يبرُّها بمقالٍ فاعذروها إذ ليس للفعل تحنو
فسد الأمر كله فاتركوا الإع راب إن الفصاحة اليوم لحن

* * *

كل ذكر بعده نسيان وتغيب الآثار والاعيان
إنما هذه الحياة عناءٌ فليخبرك عن اذاها العيان
نفسٌ بعد مثله يتقضى فتمر الدهور والاحيان
قد ترامت الى الفساد البرايا واستوت في الضلالة الاديان
انا اعمى فكيف اهدى الى المن هج والناس كلهم عميان

والعصا للضرير خـير من القا ئـد فيه الفجور والعصيان
وأدعى الهديَ في الانام رجال صحّ لي ان هديهم طغيان

* * *

من عاش غـير مداجٍ من يعاشره أساء عشرة اصحاب وأخـدان
كم صاحب يتمنى لو نعيت له وأن تشكيت راعـاني وفداني
متى لحقت بتربي زال عـن جدثي مدحي وذميَ من مثنى ووحدان
اما الجديدان من ثوبي ومن جسدي فيبليان ولا يبـلى الجديدان

* * *

لبيب الى الدهر لا يركن وإنقاذي النفس لا يمكن
فحسبي من المال قوتي به وحسبي من البلد المسكن

* * *

ذرية الانس لا تزهوا فإنكم ذرّاً تعدون او نملا تضاهونا
خلت النجوم أنجموا فرقـاً او السهى قال اهل الارض ساهونا

* * *

جمجم هذا الزمان قولاً وكلنا يرتجى بيانـه
وحدثتنا الشيوخ امراً ومـا ادّعى مخبر عيانه
فكائن فاسد لأمرٍ وربه مفسد كيانه
مـا بالنا في شقاء عيش وإنمـا نبتغي ليانه
دنياك دار قـد اصطلحنا فيها على قـلة الديانه

* * *

لعل معاشرا في الارض جوزوا بمـــا كانوا قديماً عاملينا
فرفقاً بالاصاغر كي يقولوا غـــدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الاكابر ان يوقوا يُروا يومـــاً رجالاً كاملينا
ونودوا في إمارتهم فخفوا وعادوا للثقائل حاملينا
ولا تبـــدوا عداوتـكم لقوم اتوكم في الحيـــاة مجاملينا
وقد جار القضاة اذا اشاروا بأيسر نظرةٍ متحاملينا

* * *

الدهر لا يدري بمن هو كائن فيه فكيف يلام فـــيما كانا
والمرء ليس بزاهد في غادةٍ لكنه يترقب الإمكانا
والحي تخلق جسمه حركاتـه فيكل وهو يحـــاذر الاسكانا
نبكي ونضحك والقضاء مسلـّط ما الدهر أضحكنا ولا أبكانا
نشكو الزمان وما أتى بجنايةٍ ولو استطاع تـكلـُّماً لشكانا

* * *

ما وقع التقصير في لفظنا لو صدقت أفعالنا الألسنه
كم حسنت في الارض من صورةٍ ولم تكن في عمـــل محسنه
وما عيون النـــاس فيما أرى منتبهات من طويل السِّنه
لو قيل لم يبق سوى ساعةٍ أملـّت ما تعجز عنه سنه

* * *

متى انا في هذا التراب مغيبٌ فأصبح لا يجنى عليّ ولا اجني
ويوم حصولي في قراري نعمة عليّ كيومي لو خرجت من السجن

* * *

سكنت الى الدنيا فلما عرفتها ... تمنيت اني لست فيها بساكنِ
وما فتئت ترمي الفتى عن قسيها ... بكل الرزايا من جميع الأماكن

* * *

حياة وموت وانتظار قيامةٍ ... ثلاث أفادتنا ألوفَ معاني
فلا تمهلا الدنيا المروءة انها ... تفارق اهليها فراق لعانِ
وان شئتما ان تخلصا من أذاتها ... فحطّا بها الأثقال واتّبعاني
عجبت من الصبح المضيء وضده ... على اهل هذي الارض يطلعان
أيعكس هذا الخلق ما لك أمره ... لعلّ الحجا والحظ يجتمعان

* * *

لولا الحوادث لم أركن الى احدٍ ... من الانام ولم أخلد الى وطنِ
وهل ألوم غبياً في غباوته ... وبالقضاء أتته قلة الفطن

* * *

ان لم نكن عائمي لجٍّ نمارسه ... الى الحمام فإنا راكبوا سفنُ
لولا التجمُّل سرنا في ترحُّلنا ... كما وردنا بلا طيب ولا كفن

* * *

قد آذنتنا بأمر فادحٍ أذن ... وإنما قيل آذان لإيذان
شمس وبدر أنارا في ضحى ودجىً ... لآدم وهما لا ريب هذان

* * *

خوّفونا من القران ولا بدّ ... لنفس مع الردى من قرانِ[1]
زعم الناس ان قوماً من الابـ ... رار عوّلوا في الجوّ بالطيران
ومشوا فوق صفحة الماء هذا الإ ... فك هيهات ما جرى العصران

* * *

أواني .هم فألق أواني ... وقد مرّ في الشرخ والعنفوانِ
كأني في العيش لدْن الغصون ... فمن شاء قوّمني او لواني
ولا لون للمـــاء فيما يقال ... ولكن تلوّنه بالأواني
فلا تمدحاني بمين الثناء ... فأحسن من ذاك ان تهجواني
ومـــا فتىء الفتيان الحياة ... يروحان بالشر او يغدوان[2]
ألا تسمع الآن صوتيهما ... بكل امرىءٍ فيهما يحدوان
ومــا كشف البحث سريهما ... وما خلت انهما يبدوان
ولو خلقا مثل خلق الجيــاد ... رأيتهما في المدى يكبوان
فضنا بعمركما ان يضيع ... ولا تفنيا وقته تلهوان

* * *

كل واشرب الناس على خبرةٍ ... فهم يمرّون ولا يعذُبون
ولا تصدقهم اذا حدّثوا ... فإنهم من عهدهم يكذبون
وإن أروك الودّ عن حاجةٍ ... ففي حبــال لهم يجذبون

* * *

---

(١) القران : اجتماع كوكبين في جهة واحدة من السماء .
(٢) الفتيان : الليل والنهار .

إن تتبعا في مذهب جاهلاً فالحق من خلفكما تتركان
وتطلبان الامر يعييكما وتفنيان العمر لا تدركان
ونيّر الليل وشمس الضحى داما ولكنهما يهلكان
هـذا الفتى أوقح من صخرةٍ يبهت مَن ناظره حيث كان
ويدّعي الاخلاص في دينه وهو عن الإلحاد في القول كان
يزعم ان العشر ما نصفها خمس وان الجسم لا في مكان

- ٢٧ -

فصل الهاء

اذا سألوا عن مذهبي فهو بيّنٌ وهل انا إلا مثل غيري أبلهُ
خلقت من الدنيا وعشت كأهلها أجدُّ كما جدّوا وألهو كما لهوا
وما النفس بالفعل الجميل مدلةٌ ولكن عقلي من حذار مدله

* * *

أعوذ بالله من قوم اذا سمعوا خيراً أسرّوه او شرّاً أذاعوه
ما لي رأيت دعاة الغيِّ ناطقةً والرشد يصمت خوف القتل داعوه
لا يفرحنَّ بمولود اخو شرفٍ فإنما بُشراء الطفل ناعوه
كذلك الدهر عنّى من يصاحبه ولم يعد بسوى الخسران ساعوه
والله حقٌّ وإن ماجت ظنونكم وإن أوجب شيء ان تراعوه

* * *

قد ينصف القوم في الاشياء سيّدهم ولو أطاقوا له ريباً لرابوهُ
لم يقدروا ان يلاقوه بسيئةٍ من الكلام فلما غاب عابوه
تحدثوا بمخازيه مكتمةً وقابلوه باجلال وهابوه

وكم أرادوا له كيداً بيوم ردى من الزمان ولكن ما أصابوه
لبّى الغني بنوا حواءَ من طمعٍ ولو دعاهم فقير ما أجابوه

* * *

قد اختل الأنام بغير شكٍ فجدّوا في الزمان او العبوهُ
لعلّ الموت خير للبرايا وان خافوا الردى وتهيبوه
وجاءتنا شرائع كل قومٍ على آثار شيء رتبوه
وغيّر بعضهم اقوال بعض وأبطلت النهى ما أوجبوه
صحبنا دهرنا دهراً وقدماً رأى الفضلاء ان لا يصحبوه
وغِيظ به بنوه وغيظ منهم فعذّب ساكنيه وعذّبوه
وما يخشى الوعيد فيوعدوه ولا يرعى العتاب فيعتبوه
رجوا ان لا يخيب لهم دعاءٌ وكم سأل الفقير فخيّبوه
اذا اصحاب دين أحكموه أذالوا ما سواه وعيّبوه
وقد ركب الذين مضوا سبيلاً الى عليائهم لم يركبوه
حسبتم يا بني حواء شيئاً فجاءكم الذي لم تحسبوه
أديل الشر منكم فاحذروه ومات الخير منكم فاندبوه

* * *

لم يبق في العالمين من ذهبٍ وإنما جلّ من ترى شَبَهٌ(١)
قد مُزجوا بالنفاق فامتزجوا والتبسوا في العيان واشتبهوا
وما لأقوالهم اذا كشفت حقائق بـــل جميعها شُبه

* * *

---

(١) ضرب من النحاس .

تنازع في الدنيا سواك وما له ولا لك شيء بالحقيقة فيها
ولم تحظ في ذاك النزاع بطائل من الامر إلا ان ُتعدّ سفيها
أيا نفس لا تعظم عليك خطوبها فتنفقوها مثل مختلفيها
وصفت لقومٍ رحمةً أزلية ولم تدركي بالقول ان تصفيها

***

قران المشترى ُزحلاً يرجّى لإيقاظ النواظر من كراها
وهيهات البرية في ضلالٍ وقد فطن اللبيب لما اعتراها
وكم رأت الفراقد والثريا قبائل ثم اضحت في ثراها
تقضى الناس جيلاً بعد جيل وخلفت النجوم كما تراها
اهذي الدار ملك لابن ارضٍ بها رام المقام ام اكتراها
اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالقصائد وازدراها

***

وجدت غنائم الاسلام نهباً لأصحاب المعازف والملاهي
وكيف يصحّ اجماع البرايا وهم لا يجمعون على الإله
تنازعني الى الشهوات نفسي فلا انا منجح ابداً ولا هي

***

وجدت سجايا الفضل في الناس غربة واعدم هذا الدهر مغتربيه
وإن الفتى فيما ارى بزمانه لأشبه منه شيمة بأبيه
ووالدنا هذا التراب ولم يزل أبرّ يداً من كل منتسبيه
تشابهت الاشياء طبعاً وصورة وربك لم يسمع له بشبيه

- ٢٨ -

فصل الياء

تـدين مغربيٌ بانتحال	وعورض بالتنحل مشرقيٌّ
فصمتاً ان اردتم او مقالاً	فمـا في هذه الدنيا تقي
نقاء لباسنا فيها كثير	وليس لأهلها عرض نقي
وإن رقي الفتى رتب المعالي	فمثـل هبوطه ذاك الرقي
ويحسب بعضنا ان قد اتاه	نعيم وهو لو يدري شقي

* * *

ارادوا الشر وانتظروا إماماً	يقوم بطي ما نشر النبيُّ
فإن يك مـا يؤمله رجال	فقد يبدو لك العجب الخبي
اذا اهل الديانـة لم يصلوا	فكل هـدىً لمذهبهم أبي
هي العادات يجري الشيخ منها	على شيمٍ يعوّدهـا الصبي

* * *

سقياً لأيام الشبا	ب وما حسرت مطيّتيا
ايام آمـل ان أمس	الفرقدين براحتيا

والآن تعجز راحتي عما ينال بخطوتيا
لست المفاخر في الرجا ل بعمتي او خالتيا

* * *

دعا لي بالحياة اخو ودادٍ رويدك إنمـا تدعو عليّا
وما كان البقاء لي اختياراً لو ان الأمر مردود إليا

* * *

تروم شفاء ما الاقوام فيه رويدك ان داء القوم أعيا
وألقت هـذه الايام علماً اليك فلم تصادف منك وعيا
اذا الانسان كفّ الشر عني فسقياً في الحياة له ورعيا

ابو العلاء

في كتبه ومؤلفاته

بقلم : عمر ابو النصر

ضاق صدره من الدنيا ، وضاقت به الدنيا ، فإذا هو ينبذها وينكرها ويضيق بها في كل كلمة يقولها ، وقصيد يرسله .

ولا بدّ ان العمى الذي تعرّض له ، والوحدة التي احسها بعد وفاة امه بعد إن كان ابوه قد توفي وهو صغير ، وضيقه بالناس حوله ، وبهذه العقائد والخرافات التي كانت سائدة في عصره ، كل هذا جميعه جعله محباً للانطواء على نفسه ، وقضاء ثلاثة ارباع عمره منزوياً عن الناس ، في قرية نائية ، كالمعرّة لا يستطيع العيش فيها غير صاحبنا ، على النحو الذي عاشه وبالأقل من المورد الذي كان يأتيه .

كان باستطاعته بالتأكيد ان يعيش خارج المعرّة ، وأن يعيش في بغداد مثلاً ، حيث الخلافة والامراء وكبار الاغنياء والقواد ، وحيث سوق العلم والمعرفة ناشطة رائجة . وحيث كان باستطاعته ان يقوم بالتعليم كما راح يفعل في المعرة ، فيحصل على مبلغ من المال يكفيه للعيش مرتاحاً موفوراً .

واما هذه الحياة القاسية التي فرضها على نفسه ومضى يشكو الدنيا ، وينتقد الحكام والأديان والعقائد ، هازئاً بكل شيء ، مستبيحاً انتقاد كل شيء ، بعد ان جمع في ذاكرته معارف عصره في العلم والادب واللغة والفلسفة وعلوم الكلام والجدل والنقد والدين .

كانت معارفه في رأسه ، في ذاكرته ، وكانت هذه المعارف والمعلومات من الشمول بحيث ألمّت وعمّت كل معارف عصره ، من النحو والصرف والعروض الى نقد الشعر وعلوم الكلام والفلسفة ، وكانت حافظته من الاعاجيب ، ولا بدّ انها كانت اوسع وأشمل من أي حافظة اخرى قرأنا عنها وأحطنا بأخبارها .

في هذا المزاج العصبي ، الضيق الصدر بكل شيء ، المتشائم المنطوي على نفسه ، العائش على العدس والتين ، دون غيرهما من طيبات الحياة ، اذا كان هذان الصنفان من طيبات الحياة ، وفي حجرة سوداء مظلمة عاش صاحبنا ، وألّف كتبه التي وصفنا بعضها فيما تقدم من فصول .. فكيف والحالة هذه يجب ان تخرج هذه الكتب وحال مؤلفها ما وصفت وشرحت ؟

لعل من اهم آثار هذا الجو المثير هذا التعقيد الذي تجده في كتبه ، وهذا الاكثار من الالفاظ المعقدة التي تجدها منثورة هنا وهناك ، وهي الفاظ ما كان لكاتب معاصر ولا لقديم ان يستعملها ، فليست هذه سبيل البلاغة والبيان ، وإنما سبيلها اللفظة الجميلة والاسلوب اللين المفهوم الذي لا يرهقك فهمه ، والذي تظن لأول وهلة انك قادر على مثله ، فإن حاولت وجدت ان ما تحاوله فوق الطاقة والإمكان .

* * *

يقولون ان مؤلفاته قد تبلغ السبعين ، اقلّها بحجم الكتب وأكثرها عبارة عن رسائل تتراوح بين العشرين والستين صفحة وأكثر .. وأهم هذه الكتب اللزوميات وسقط الزند ورسالة الغفران ، ورسالة الهناء ، والفصول والغايات ، وسقط الزند عبارة عن مجموعة من اشعار الشاعر جرى فيها على النحو الذي جرى عليه كل الشعراء السابقين من مدح وفخر ورثاء ووصف ، حتى لتحسّ في بعض الحالات بأنه يحاول تقليدهم خصوصاً المتنبي فلا يوفق إلا في حالات .

* * *

اعظم قصائده أثراً في نفسي قصيدة رثى فيها (ابي حمزة) فقال :

غيرُ مجدٍ في ملتي واعتقادي	نوحُ باكٍ ولا ترنم شادِ
صاح هذي قبورنا تملأ الرُّحب	فأين القبور من عهد عاد
خففالوطأ ما أظنُّ أديمالأرض	إلا من هــذه الأجساد
سر ان استطعت فيالهواء رويداً	لا اختيالاً على رُفات العباد
رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تزاحم الاضداد
تعبٌ كلها الحياة فما اعجب	إلا من راغب بازدياد

كما تثيرني قصيدته في الفخر :

ألا في سبيل المجد ما انا فاعل	عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

وأما (اللزوميات) ففصل الخطاب فيها انها تمثل تفكير (ابي العلاء) وآراءه واجتهاده في الدنيا والحوادث والمعتقدات والموت والحياة حوله .

وأبو العلاء بالتأكيد ليس فيلسوفاً صاحب مذهب مقرر يحمل اسمه ، إلا اذا كان كرهه للدنيا يعتبر مذهباً فلسفياً ، وإنما هو رجل احاط كما

قدمنا بمعارف عصره ، وكان له في كل هذه المعارف رأي وفكر وتفسير ، تجدها متناقضة في حالات ، منسجمة في اخرى ، وإن كانت الظاهرة البارزة في اللزوميات تقدير المعري للعقل ومكانته ، وتقديمه على كل شيء ، وتحكيمه في كل شيء .

وأما كتاب (الفصول والغايات) فقد سبق ان وصفه الدكتور طه حسين في غير مكان من هذا الكتاب .

* * *

رسالة الغفران :

وهي رسالة كتبها المعري الى علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ، جواباً على رسالة بعث بها اليه يذكر فيها شوقه الى لقائه ويسأله بعض المسائل مما يتعلق بالأدب والفلسفة والزندقة والتصوف والتاريخ ، وأمور الدين والفقه والنحو والصرف .

وكان جواب (أبي العلاء) هذه الرسالة (رسالة الغفران) ... فبعث بابن القارح الى الآخرة .. وأركبه جملاً كريماً من جمال الجنة خُلق من ياقوت ودرّ ، وسار في الجنة على غير منهج ، ورأى ما فيها من نعيم ، ورأى يوم الموقف وما فيه من هول وشفاعة ، وقد اقام فيه ستة اشهر حتى اعياه الحر والظمأ ، وهو واثق بدخول الجنة لأن معه صك التوبة ، وقد فكر في ان يخدع سدنة الجنة بما كان يخدع به الناس في الدنيا من الشعر فلم يفلح ، وأخيراً شفع فيه ، وعاد الى الفردوس ، ثم ذهب الى الجحيم ليرى حال اهلها ، فركب بعض دواب الجنة ، واجتمع وهو في طريقه ببعض الجن المسلمين ، وفي الجحيم شاهد ابليس مكبلاً بالأغلال ، كما

مرّ وهو في رحلته هذه بعدد من الشعراء والكتّاب ، وعجب حين شاهد جماعة منهم كان يتوقع ان يكونوا في النار ، فاذا بهم ليسوا فيها ، وجماعة كان يتوقع ان يراهم في الجنة فاذا بهم في النار .. فيسألهم عن السبب فيحدثونه كيف غفر لهم الله ، والسبب في غفرانه لهم .

ولعل أهم ظاهرة في هذه الرسالة العجيبة ان المعري سبق جميع كتّاب العالم ومفكريه الى قصة الآخرة هذه .

سبق دانتي الايطالي ، وسبق (غوته) وشيطانه ، وسبق ميلتون الشاعر الانكليزي الاعمى ، وسبق الكاتب الانكليزي الشهير فنسون اديسون في قصته (الحياة الأزلية) التي يصف فيها الآخرة بشيء من التندر الغريب ، والنقد المثير الغريب .

قال جوزيف اديسون :

الحكاية الأزلية :

من الآراء المنقولة عن سقراط ، الفيلسوف اليوناني ، انه اذا جُمعت كل تعاسات النوع البشري وألقي بها في بوتقة واحدة ، لتوزّع على أفراد البشر بالتساوي مرة اخرى ، فإن اولئك الذين يظنون انهم أكثر الناس تعاسة ، سوف يفضلون نصيبهم المقرّر لهم ، على نصيبهم الذي سوف يصيبونه بعد توزيع هذه التعاسات على وجه التساوي بينهم ، ولقد تقدّم هوراس بهذه الفكرة خطوة اخرى فقال : ان ما ينزل بكل فرد من تعاسة وسوء حظ لأهون بكثير مما يتصوّر ، لو انه تبدّل بتعاساته تعاسات غيره من الناس .

وبينما كنت أتأمل في هـذه الأفكار وأتدبرها منعماً النظر فيها وأنا مستلقٍ على كرسي الكبير أخذتني سنـّة من النوم ، وفوجئت بخيال اخذ على مناحي نفسي ، وتوهمت ان (جوبيتر) قد امر بأن كل فرد من أفراد البشر ملزم بأن يحمل شقاواته وتعاساته ، ويلقي بها في مكان معين حتى تصبح جميعاً كومة واحدة ، ولقد اتخذت لنفسي مكاناً وسطاً ، ووقفت أتطلع الى بني آدم وقد حمل كل منهم حمله ، وأخذ يلقيه على الكومة التي أخذت تتضخم ثم تتضخم حتى اصبحت كأنها جبل يناطح السحاب .

وقعت هنالك على سيدة نحيلة أثيرية الصورة كانت تبدو أكثر نشاطاً من غيرها في مباشرة ذلك العمل ، ولقد حملت في احدى يديها منظاراً مكبراً واشتملت بقباء فضفاض مزركش بصور كثير من الشياطين والأبالسة والأشباح ، تتشكل في صور مخيفة مروعة ، كلما تلاعب الريح بثوبها الواسع ، كأن في نظراتها ما ينم عن الوحشية المشوبة بالذهول ، كان اسمها (وهم) فأخذت تقود كل انسان الى المكان المعين ، بعد ان تساعده بعناية على ان يزمّ أطراف حزمته ويسوّي حمله ويرفعه على عاتقه .

لقد ذاب قلبي أسىً وحزناً ، إذ رأيت اخواني في النوع يئنون تحت أحمالهم ، كل منهم بقدر مقدور ، وإذ مليت نظري من تلك الكومة الهائلة المؤلفة من الشقاوات الانسانية ، ملقاة عند قدمي .. رأيت أشخاصاً كثيرين أثاروا فيّ عجيجاً من الأحاسيس ، رأيت احدهم يحمل حزمة أخفاها بعناية تحت عباءته المزركشة ، فلما ألقى بها على الكومة ، عرفت انها (الفقر) . وشهدت آخر رمى حزمة اخرى بعد ان صعّد كثيراً من الزفرات ، فلما امتحنتها وجدت انها زوجته .

كان هنالك زمرة من المحبين والعشاق ، أتوا جميعاً مثقلين بأحمال ممضة من السهام والنار تلفعهم من كل ناحية ، ولكن الذي لم أقف له على سبب او كنه ، انهم بالرغم من زفراتهم المحزنة التي كان يخيّل اليّ انها سوف تشقّ قلوبهم ، وأحمالهم التي تكاد تنقض ظهورهم ، تلك التي حملوها ليلقوا بها على الكومة ، توانوا هنيهة ثم هزّوا رؤوسهم ، ثم ارتدّوا بأحمالهم الثقيلة راجعين من حيث أتوا .

رأيت عجائز ألقين على الكومة بتجاعيدهن ، وفتيات ألقين عليها جلودهن السمر ، كما رأيت ركاماً من الأنوف الحمر والشفاه الغليظة والأسنان النخرة .. وفي الحق اني ذهلت عندما رأيت ان الجزء الاكبر من ذلك الجبل يتألف من تشويهات بدنية .

الوان وأشكال :

لحظت احدهم وهو مقدم نحو الكومة ، يحمل بضاعة أثقل وزناً وأكبر حجماً من بقية البضائع التي حملها غيره ، فرأيت عندما اقترب مني ، انها لم تكن إلا حدبة كبيرة تخلّص منها بفرح ظاهر ، ملقياً بها على بقية الشقاوات الانسانية .. تضمنت الكومة كثيراً من العلل المختلفة ، غير انني لاحظت ان أكثر هذه العلل خيالي لا حقيقي .. ولم يرع انتباهي من شيء قد ما استرعاه حزم صغيرة ، تحتوي على مقرّ كل الامراض التي تصيب البشر ، يحملها جموع من الناس عليهم مظاهر العزّ والرفاهية ، كان فيها الطحال ، ولكن الشيء الذي عجبت له كل العجب اني لم أعثر بين ركام هذه الكومة على رذيلة واحدة او حماقة ، اذ خطر لي ان كل انسان سوف ينتهز هذه الفرصة ليخلع عنه شهواته وأحقاده ونواحي ضعفه النفسي .

رأيت فيما رأيت فتى خليعاً أتى يحمل جرائمه ، غير اني عندما فحصت عن عمله ، وجدت انه بدلاً من ان يلقي هناك بجرائمه وآثامه ، اكتفى بأن يلقي بذاكرته . وتبعه أفـّاق قاتل ، ألقى بعفته ، بدلاً من ان يلقي بجهالاته .

بعد ان فرغ النوع البشري من التخلـّص من أحماله ، رأى ذلك الشبح الذي ظلّ طوال ذلك العمل في شغل شاغل ، اني لم أقم بأي نشاط في أثنـــاء ذلك كله ، اقترب مني فشعرت بشيء من القلق ، عندما رفعت نظارتها المكبرة الى عينيها وتفرّست فيّ ، وما ان رأيت وجهي فيها حتى تولاني فزع شديد إذ بدا قصيراً نحيلاً ، فضلاً عما به من مجالي الحزن العميق . ان ضيق ملاحي الذي زاد عن المألوف ، قـد أشاع في نفسي إحساساً بعدم الرضى عن ملمحي ، وما لبثت غير قليل حتى خلعته وألقيت به بعيداً ، كما لو كان قناعاً مستعاراً . ومن حسن حظي ان واحداً كان قـد خلع عنه ملمحه لأنه كان أطول قليلاً مما يجب ، ولكنه كان بالغ الطول على غير قياس ، حتى لقد خيـِّل اليه ان ذقنه تبلغ من الطول مبلغ وجهي برمته فكان لدى كل منا فرصة ان يعدل ملمحه ويسويه على صورة ما .

لما ان تم بذلك اكتئاب كل فرد من النوع البشري بمـــا عنده من الشقاوات والتعاسات وخلعه على تلك الكومة الكبرى .. أصبح كل انسان حراً في ان يتبدل في متاعبه بمتاعب غيره .

تملـّكني فرح غامر عندما رأيت ان كل النوع البشري قد تخلـّص من جميع احزانه وشقاواته . على اننـــا عندما وقفنا جميعـاً نتأمّل تلك الكومة الهائلة ونتفحـّص محتوياتها العجيبة ، لم نقع على مخلوق بشري واحد

من هذه الحشود العظيمة لم يستكشف فيها تلك الاشياء التي كان يسمّيها مسرّات وملذّات ، وعجبنا كيف ان اصحابها كانوا يتقدمون لينظروا اليها على انها أعباء وأحزان .

الاستبدال :

وبينما نحن ننعم النظر بانتباه في تلك المجموعة المتخالطة من التعاسات والمصائب ، اصدر (جوبيتر) امراً سرياً بأن كل انسان حرّ في ان يتبدل من شقاواته الاخرى مما يختار ويرتدّ الى مكانه الذي جاء منه حاملاً منها ما يخرج من نصيبه .

عنـــد ذلك تتبدّى (وهم) ناشطة خفيفة الخطو ، وتوزع الكومة الكبيرة حزماً صغيرة ، موصية كل انسان بأن يحمل قسطه منها . فاختلط الحابل بالنابل ، وتزاحم الناس حتى كانت فوضى غامرة . ولقد رأيت من عجيب الاشياء ما يحسن بي ان أرويه لقارئي :

رأيت رجلا عجوزاً تقـدّم نحو الكومة ورمى فيها بداء المفاصل ، وكان فوق ذلك يتحرّق الى ولد يرثه ، فلمـا جاء دور التوزيع انتشل من الكومة ولداً عاقّاً قليل الرحمة قـــاسي القلب ، وفي أقل من ربع ساعة رأيته يجرّ العجوز من لحيته ويحاول ان يشقّ نافوخه بقبضة يده . وفي تلك اللحظة قـابل والد ذلك الغلام مصاباً بدوّار شديد ، فتوسّل اليه ان يأخـــذ غلامه ويردّ عليه داء المفاصل ، ولكن كلاً منهما اصبح عاجزاً عن ان يردّ الى صاحبه مـا أخذ من نصيب . ورأيت عبداً من عبيد البحر – الذين يعملون في السفن – كان قـــد ألقي في الكومة بأصفاد الحديد ، وخرج منهـا بداء النقرس ، ولكن تغيُّر ملامح وجهه والتعبيرات التي ارتسمت عليه كانت تدلّ بصراحة على انه لم يكن رابحاً

في تلك الصفقة . وكان مما يسلي ان ترى المبادلات التي حصلت ، كمبادلة المرض بالفقر ، والجوع بفقدان الشهية والرغبة بالألم .

وكان الجنس اللطيف اكثر ابناء آدم شغلاً واهتماماً فيما بينهن ، متزاحمات متصارعات على الملامح . كانت احداهن تستبدل جديلة من الشعر جرى فيها الشيب ، بنقطة حمراء كانت على جلدها ، واخرى اختارت كتفين مستديرين بخصر نحيل ، وثالثة استبدلت وجهها الدميم بسوء السمعة . غير ان واحدة منهن لم تفكر مطلقاً او تدرك ان الشائبة التي اختارتها كانت أقذع من تلك التي تركتها .. ولقد لاحظت ان ذلك كان مطرداً في جميع الحالات ، اما ان الخبائث التي تصيبنا هي على قدر قوة احتمالنا وبنسبتها ، ام انها تصبح بحكم العادة مما يحتمل ، فذلك ما ليس في ستطاعتي ان أقضي فيه بحكم .

لم يكن في مستطاعي إلا ان أشفق على ذلك الرجل الذي تخلّص من حدبته وارتدّ جميل الصورة ، ولكنه اصبح يحمل بين ضلوعه داء دفيناً . او ذاك الذي بادل ذاك وكان من قبل يخطر بين النساء فيرمقنَه بعين الدلال والحب ، فاذا به يمشي بعاتقين أشرفا على رأسه .

ولا يفوتني ان اقصّ ما وقع لي ، فإن صاحبي ذا الوجه الطويل ، لم يكد يحصل على وجهي القصير ، حتى بدا عجيب الشكل ، حتى اني لم اتمالك عن الاستغراق في الضحك بما جعل ملامح وجهي تتبدّل تبديلا ، وقد وعى سبب ضحكي فخجل خجلاً شديداً من فعلته ، ورأيت من جهة اخرى اني غير خليق بالتمادي في الظن بأني انتصرت ، اذ انني عندما أردت ان امسّ جبهتي بيدي أخطأت في توجيهها الى المكان الصحيح ،

ووضعت اصبعي على شفتي العليـــا .. وفضلاً عن ذلك فان أنفي لطوله وامتداده قـد أصابه من يدي لكمة او لكمتين عنـدما اردت ان اسدّد يدي الى ناحية وجهي مبتغياً ناحية اخرى منه .. وهنالك أصبت رجلين على مقربة مني كانا كذلك مبمثاً للضحك ، فقـد تبادلا الأرجل ، فأخذ احدهما رجلين غليظتين ، ونال الآخر رجلين تشبهان العصا لدقتهما ، فبدا احدهما كأنه يمشي على حمالتين فشمخ في الهواء واستطال فصار فوق طوله الاصلي بمرحلة بعيدة ورأسه يدور كلما نقل قدماً عن اخرى ، اما الآخر فظهر كأنه يتدحرج كلما أراد المشي راسماً دوائر وأنصاف دوائر ، عاجزاً عن ان يمشي متقدماً نحو الامام .

التصوير العجيب :

وهكذا يمضي (اديسون) في ذلك الوصف الرائع ليخلص بأن الانسان ينبغي له ان يرضى بنصيبه من شرور الدنيا، لأن الحياة بلا شر خيال .

ولست اشك في ان رسالة الغفران قد وصلت الى الاندلس .. وإلى انها لا بدّ قد ترجمت الى اللاتينية ، وعرفت في اوروبا .

والرسالة تؤكد ما كان ينعم به المعري من خيال وابتكار .. كما تدل على مـــا قدمنا سابقاً من إحاطته بكل معارف زمانه في عهده .. ففي رسالته تعليقات كثيرة وعديدة على كل ألوان الحياة والعلم والمعرفة من الأدب الى الكلام الى الفلسفة .. الى الشعر والنحو والصرف ، وكل هذا في اسلوب معقّد بعض الشيء مليء بالسخرية والنقد اللاذع ، والتساؤلات العجيبة .

ويبدو ان ابا العلاء كان يكتب لنفسه اكثر مما كان يكتب للآخرين . فأسلوبه المعقد في بعض الحالات ، وإشاراته الرمزية التي يحاول فيها اخفاء

آرائه وشكوكه ومعتقداته عن القراء ، وطريقته في البحث عن الكلمات التي لا يمكن الإفادة منها واستعمالها لا في زمنه ولا بعده ، والتزامه السجع حيث لا لزوم للسجع خصوصاً في النقد والتعليق والشرح والإقناع تجعلني اقدّر حيرة هـــذا الرجل والحياة التي عاشها ، والجو الذي صرف فيه مواهبه العجيبة .

ثمرة عصره :

والواقع ان ابا العلاء هو ثمرة من ثمرات عصره ، بل ونتيجة منطقية لكل الحوادث التي وقعت في عصره ، وكل المعارف التي انتهت اليه .

فصاحبنا لم يترك طائفة من الطوائف في عصره – كما يقول الدكتور طه حسين – إلا اعطاها وأخذ منها .. فقد تعرّض لكل اصحاب الأديان ، وناظر المجوس والبوذيين ، وناقش الفـــلاسفة والمتكلمين ، وذمّ الصوفية ، وقدح على الأمراء والحكام في عهده ، وشنّع على الفقهاء ولم يعف التجار والصنّاع ، ولم يُخلِ الأعراب وأهل البادية من التفنيد والتثريب .

هذا هو الرجل صورة لعصره ، ونقد صريح لكل شيء في عصره .. مع سأم وضيق بارزين في كل كلمة ونقد وقصيد .

لا يؤمن بخبر من الاخبار او عقيدة من العقائد إلا اذا وافقت عقله ، وارتضاها فكره .

وأما الاخبار التي نقلتها لنا الاجيال ، فهذه تحتاج الى تمحيص وتثبُّت ووثائق لا يرقى اليها الشك ، وارتضاء العقل لها ليقبلها ويؤمن بها .

وأمـــا الانسان في نظره فمخلوق شرّير بطبعه ، والفساد غريزة فيه ، ولهذا لا ينتظر له صلاحاً ولا اصلاحاً .

واللزوميات مليء بهذه النظرية .. وهـــذا الفساد المزمن في الانسان الذي لا يرجى شفاؤه منه ، هو الذي دعاه الى الابتعاد عن بني الانسان ، والانطواء على نفسه .. حتى لقـد تمنى لو لم يُخلق ابن آدم ، لأنه مخلوق لا خير فيه ، ولا فائدة منه .

واذا كان هذا هذا فكيف عمرت الدنيا ، وكيف وصلت الى صاحبنا كل معارف الامم والشعوب وهو قابع في داره .. وأما الدنيا في نظره فشرّ مقيم بل شر من الانسان .. فهو يذمها في كل مكان .

حتى لقد تمنى للوليد ان لا يولد ، وللكون ان يتوقف عن الدوران ، وكذلك انكر الزواج ولم ينصح بـــه للرجل مثلاً ، لأنه يكلفه مؤونة واثقالاً ، وأما للمرأة فسمح لها بالزواج ، لأنه يرفع عنها اثقال الحيــاة ، وهذا تناقض عجيب طبعاً .

اطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوّف ابنك من نسل وتزويجِ

وكان رأيه في المرأة شراً من الرجل ، حظر العلم عليها وسمح بتعليمها النسج والغزل وأعمال البيت طبعاً ورفع عنها القراءة والكتابة .

كما امتنع عن اكل مـــا يذبح من لحوم الحيوانات ، طوال حياته .. وأحب العزلة والابتعاد عن الناس . وقد كان صادقاً في كل ما قاله وكتبه ، فلم ينه عن شيء ويفعله ، بل كان صورة صادقة لحياته وكتبه وما دعى اليه ونادى به .

المصادر

المراجع العربية :

طه حسين : ذكرى ابي العلاء .

طه حسين : مع ابي العلاء في سجنه .

عبد العزيز الراجكوني : ابو العلاء وما اليه .

احمد تيمور : ابو العلاء المعري .

ومن المصادر التي درسناها عن ابي العلاء مـــا كتب عنه في دائرة المعارف الاسلامية ، ودائرة المعارف البريطانية .

وكتاب نيكولسن عن تاريخ العرب الادبي .. وما كتبه مارغوليوت المستشرق الانكليزي .. وفون كرمر .. والمسيو هوار الفرنسي .

* * *

هذا عدا ما ألفه القدامى من مؤرخي العرب كياقوت في معجم الأدباء مثلاً ، وغيره وغيره .

التعليقات والدراسات

تعليق على ما نقدمه وكفايته للجميع

ما نقدمه من التعليقات والدراسات في هذه المجموعة من (التراث العربي) تكفي القارىء الذكي والقارىء المتواضع ، والقارىء العـادي ممن يريدون المعرفة ويبحثون عن الحكمة .

وأما من اراد المزيد والتوسع في دراسة ابي العلاء او الجاحظ ، او ابي نواس مثلاً ، فمـا عليه إلا أن يعود للكتب والمصادر التي ألحقناها بكل كتاب من هذه الكتب الجديدة التي يهمنا أن تصل الى اكبر عدد من القراء .

لقد كانوا في الماضي ، وحين لم تكن هناك طباعة ولا نسخ عديدة من الكتاب الواحد ، يضطرون الى حفظ الكثير من حوادث التاريخ والأخبار والأشعار لصعوبة الحصول عليها .. وأما اليوم فمن السهل الحصول على كل ما تريده عن شاعر او اديب او كاتب في اي مكان وأي بلد.. من المكاتب العامة الى المكتبات الخاصة ، الى باعة الكتب ، فلم تعد ، والحالة هذه ،

من حاجة لحفظ الكثير من الاخبار والأشعار التي يستطيع المرء الوصول اليها عند الحاجة اليها ، في دقائق معدودات ، وفي اثمان بخسة .

وإذاً فان ما نقدمه كاف للأديب ، موات للقارىء ، مفيد للباحث ، مرض للجميع ، وكل هذا بأهون سعر ، وأقل كلفة .

فهرس

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

صدر حديثاً

عن مكتب — **عمر ابو النصر** — للتأليف والترجمة والصحافة

•

الكتب التاريخية

ق.ل.

١٠٠ (فاطمة) بنت رسول الله ﷺ

– سلسلة جديدة في تاريخ العرب والاسلام .

وكانت باكورة هذه السلسلة كتاب عن (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. والكتاب لون جديد في التحقيق التاريخي والاعتماد على المصادر القديمة ومؤلفات القدامى من المؤرخين .

كما انه يناقش المستشرقين في مذاهبهم وابحاثهم في تاريخ العرب والاسلام، ويصوّر للقارىء كيف ان القوم لا يحسنون فهم تاريخنا على الوجـــه الاكمل ، هذا اذا كان المستشرق من المنصفين فكيف به اذا كان من الرجعيين المتعصبين .

١٥٠ أعظم قصة في التاريخ :

سيرة محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم

في اسلوب جديد وتقسيم وتبويب ووصف حلو مثير .

١٠٠ صلاح الدين الايوبي في حطين :

وصف المعارك التي انتهت بانسحاب الصليبيين من الشرق العربي .

١٥٠ زعماء التحرير في الاسلام :

جمال الدين الافغاني ، الشيخ محمد عبده ، محمد بن عبد الوهاب

وصف جديد للمتحررين العظام ، وصورة حلوة مثيرة لأعمالهم وجهودهم ، وما لاقوه من المتاعب والمشاكل والعقبات في تاريخ النضال والتحرر الاسلامي .

يكفي ان ترسل ثمن الكتاب على أساس ثلاث ليرات لبنانية للدولار الواحد

لنرسل لك ما تطلبه خالصاً اجرة البريد المسجل

كتب مختلفة

ق.ل.

١٠٠ الحشاشون في تاريخ العرب والاسلام :

قصة الاصدقاء الثلاثة : نظام الملك ، وعمر الخيام ، والحسن بن الصباح ، وكيف جمعتهم المدرسة وفرقتهم السياسة ومغامرات الحشاشين في التاريخ .

١٠٠ معركة العرب والحرية :

ملف شامل في كتابين للقضية الفلسطينية، وملابساتها العربية والعالمية وأغراض الاستعمار والصهيونية وأسرار العراك القائم في الشرق الاوسط وأسبابه وغاياتـه ووصف صادق للحركات العسكرية .

٧٥ أسرار الحياة الجنسية :

للشباب والكهول والشيوخ مجموعة عالميـة اجتماعية تقوي الصحة وتنشط الجسم ، وتوفر السعادة . صدر منها حتى الآن اربعة كتب .

١٠٠ ثوار :

لينين - ماوتسي تونغ - هوشي منه - غيفارا

وصف جديد لهؤلاء الثوار الذين حرروا بلادهم ، ونقلوها من دنيا الهوان الى دنيا العزة والمنعة .

١٠٠ محمد علي كلاي : — نفد —

وكيف يضطهدونه في اميركا . حتى اصبح فقيراً .

ولكنه رغم فقره لا يزال محافظاً على نبله وجرأته واندفاعه .

١٥٠ جواسيس من اسرائيل الى البلاد العربية :

قصة الجواسيس الاسرائيليين الذين قبض عليهم في البلاد العربية .

١٠٠ نهاية المشير : — الطبعة الثانية — — نفد —

اسرار المؤامرة الفاشلة التي دبرها الضباط في مصر وكيف انتظمت وفشلت وأسبابها .

٢٥ الشجرة المحمدية :

مجموعة تحتوي عـلى عائلة الرسول العربي الكريم (ص) من ابويه وعمومته الى اولاده وعماته وزوجاته وخدمه وحشمه وكتابه ووزرائه وخدمه وكل من اتصل به وخدمه .

ق.ل.

١٠٠ **محمد علي كلاي والدكتور لوثر كينغ :**

كتاب جديد يصف ما يقوم به محمد علي من الدعوة للاسلام ، وما كان ينصرف اليه الدكتور لوثر من الدعوة للسلام .

١٥٠ **قصة الجاسوسية والمخابرات :**

حوادث غريبة ومعارك تجري بين الدول من وراء ستار وفي الخفاء .

١٥٠ **فيتنام ومعارك فيتنام :**

وصف لثورة شعب صغير ضد قوة عاتية .

١٠٠ **فتح :** — نفد —

دراسة كاملة للمنظمة الفدائية ونشاطها وأغراضها وفدائيتها وأعمالها .

١٠٠ **يا عرب :**

ثورة ومقاومة مسلحة وزوال اسرائيل .. مع اخبار الفدائيين ونشاط فتح .

١٥٠ **جمال عبد الناصر :**

ساعات مثيرة من حياته .. ووصف لنشأته ومدرسته ، وحياته الاولى في القرية ثم في الجندية حتى تصدّر الدعوة للتحرر والاستقلال في ارض العرب .. مما لم ينشر في كتاب قبل اليوم .

١٠٠ **الشعراء الثوار :**

مختارات من الشعر الثوري العربي لجماعة من كبار الشعراء والثوار .

كتاب يحسن بكل ثائر عربي قراءته لما فيه من الاثارة والاندفاع وجمال الشعر وعذوبته.

١٥٠ **كيف يستشهد الفدائيون :**

كتاب جديد عن العمليات العسكرية التي يقوم بها ابطال فلسطين اليوم في الارض المحتلة، وكيف يمشون الى الموت باسمين ضاحكين مصممين على الموت او الاستقلال .

١٥٠ **لكي لا تنسوا ايها العرب :**

وصف مثير لأعمال العدو الاسرائيلي في الارض المحتلة وكيف يقتل ويسلب ويدمر ويقوّض. صفحات يجب على كل عربي ان يقرأها ليعرف مصير من يلهون بحياتهم ، ولا يستعدون للمستقبل ويتحسبون للعدو وجرائمه والاستعمار وأغراضه .

ق.ل.

١٥٠ أسرار المؤامرة :

وصف تاريخي سياسي صادق للمؤامرة التي دبرها العسكريون في مصر ، ضد النظام القائم، حتى يجنبوا انفسهم الملاحقة القضائية لتهاونهم في الحروب وسياسة الحرب وفشلهم في حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ .

١٥٠ المعركة الفاصلة مع اسرائيل :

جمال عبد الناصر والملك حسين يدقان ناقوس الخطر ، درس في الستراتيجية الحربية للجبهتين المصرية والاردنية .

١٥٠ ايلي كوهين :

الجاسوس الاسرائيلي في دمشق

وصف مثير لحياة هذا الجاسوس الذي جاء من اسرائيل واستقر في دمشق ، وأخذ يبعث بأخبار سورية السياسية والعسكرية والاجتماعية الى (تل ابيب) حتى تم القبض عليه وحوكم وشنق .

١٠٠ الشعور الجنسي :

كتاب جديد علمي عن الشعور الجنسي ومداه وتطوره ، وأساليبه وطرقه ومخططاته .

٢٥٠ كمال الاجسام :

تقدم للقارىء مئات الرسوم، وأروع التمرينات ، وأجمل الاجسام لتقوية الجسم، وترشيق الاعضاء ، وتجميل الوجه والاطراف .

١٠٠ مطالعات في تاريخ العرب والاسلام :

عشرات الفصول الطريفة الجميلة ، والدراسات العسكرية والادبية والسياسية في تاريخ العرب والاسلام .

١٠٠ الاصدقاء الثلاثة :

طبعة جديدة لكتاب (الحشاشون في الاسلام) تصف لك حياة الاصدقاء الثلاثة : نظام الملك وزير السلطان ملكشاه ، وعمر الخيام الشاعر الفارسي المشهور صاحب الرباعيات ، والحسن بن الصباح شيخ الباطنيين .

١٥٠ حانت ساعة النصر ١٩٦٩ :

كتاب جديد يصف كيف سيكون الانتصار القريب ، والامل المرتجى ، والظفر المطلق على العدو الاسرائيلي .

ق.ل.

٢٠٠ المعارك العربية الثلاث :

وصف لمعارك العرب الثلاث مع اسرائيل : ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ .

١٥٠ الله اكبر :

يا لثارات الشهداء في فلسطين
الفدائيون في ميدان المعركة : حياتهم ، جهادهم ، تضحياتهم وكيف يعيشون .

١٠٠ جاكلين كنيدي :

صورة كاملة لسيدة البيت الابيض السابقة .

١٠٠ اليتيمة الحسناء :

رواية غرامية عاطفية تاريخية مثيرة وقعت حوادثها في القرن السابع عشر بفرنسا .

١٠٠ طرزان :

صدر من هذه المجموعة ستة كتب حتى الآن ، وثمن الكتاب الواحد ليرة لبنانية واحدة .

١٠٠ ارسين لوبين :

صدر من هذه المجموعة ستة كتب حتى الآن ، وثمن الكتاب الواحد ليرة لبنانية واحدة .

٣٠٠ ارسين لوبين :

مجموعة كبيرة لثلاث من رواياته الرائعة .

من التراث العربي

مجموعة جديدة تقدم للقارىء أروع ما في التراث العربي من روعة وجمال وحضارة وعلم وأدب وشعر ونثر .

مع دراسات لكل كتاب وشروح وتفسيرات وتعليقات تساعد القارىء العادي والتلميذ ، وطالب البكالوريا .

في هـذه المجموعة تجـد كنوز الادب العربي معروضة في شكل عصري جديد يساعد القارىء ، ويشجعه على القراءة من حيث تقسيم الموضوع ، وتنظيم الفصول ، وتبويب الابواب . وكل هذا في حلة جديدة وإخراج جميل ، وسعر لا يجارى .

وهذه الكتب تصدر في حجم كبير في ٢٦٠ او ٢٧٠ صفحة وغلاف ملوّن وطباعة انيقة وتبويب لطيف يجذب النظر ، ويسهّل القراءة .

أما ثمن الكتاب الواحد فأقلّ من سعر امثاله اضعافاً .

راجعوا مكتب عمر ابو النصر في بناية درويش ، شارع سوريا ، او الشركة العربية للتوزيع للحصول على كل المعلومات .

اللزوميات

أو

لزوم ما لا يلزم

لأبي العلاء المعرّي

شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء

- الديوان الفلسفي الوحيد في اللغة العربية
- تجد فيه النقد المثير اللاذع لكل شيء في الحياة
- كما تحس في أبياته رغبة الشاعر في اخفاء اعتقاداته ومذاهبه الفلسفيّة عن عامة الناس، وجماهير القراء.

قدّم له وأشرف على اختياره وتصحيحه

عمر أبو النّصر

تحت الطبع :

عنترة بن شداد

قصة في مجلدين



قصة البطولة والتضحية والحب
والشجاعة والحقد والكرم في صحراء العرب

أشرف على تهذيبها وتنسيقها واختيارها مع المحافظة
على مصادرها واخبارها القديمة :

عمر ابو النصر

من التراث العربي :

آثار الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر
الأديب العربي الخالد الكبير

قدم له وأشرف على
تنظيمه وتقسيمه
عمر أبو النصر

حياته ونشأته وأثره وآثاره
رسالته في ذم أخلاق الكتّاب
رسالته في القيان
رسالته في فضل هاشم على عبد شمس
رسالته في صناعة القواد
رسالته في النساء
رسالته في الشارب والمشروب
رسالته في بني أمية
رسالته في العباسية

المرأة والسياسة في العهد العباسي

ملكتان في بغداد

الخيزران أم هارون الرشيد
وزبيدة زوجته

تاليف : نابيا ابوت
الاستاذة المساعدة في المعهد الشرقي للدراسات الاسلامية
جامعة شيكاغو — الولايات المتحدة

ترجمة :

عمر ابو النصر